الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-

الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم
المفكر الموسوعي والوطني الثائر
1992 - 1927

بمناسبة تخرج الدفعة العشرين
جمادى الثانية 1428 هـ - جويلية 2007م

نيابة مديرية الجامعة للتكوين العالي والتكوين المتواصل والشهادات

معلومات الاتصال بالجامعة :

- عنوان الجامعة :
  - نهج قدور بومدوس ص.ب 137 قسنطينة 25000
  - بريد 20 أوت 1955 ص.ب 408 قسنطينة 25000
- العنوان الإلكتروني : E-MAIL

USIEAK.1@.IST.CERIST.DZ

- موقع الجامعة في شبكة الانترنيت :

WWW.UNIV-EMIR.DZ

المصالح المركزية :

- رقم الهاتف: – المحول – 031.92.21.34
- الفاكس : 031.92.21.41 (الخارج)
- التلكس : USIEA.DZM 92.954

تم الطبع بشركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع – عين مليلة
الهاتف: 032 .44 .92.00
الفاكس: 032.44.94.18
www.elhouda.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .

سورة الأحزاب الآية : 23

صدق الله العظيم

الدفعة العشرون

مولود قاسم نايت بلقاسم

الإشراف العلمي والتقني

- د. إسماعيل سامعي
- بشير فاضلي
- محمد فؤاد سعد الله
- خالد عميرش
- الشريف ربعي
- نعيمة رواس
- صبرينة علاق
- فضيلة عمراني

كلمة أ.د. عبد الله بوخلخال

مدير الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

- مولود قاسم نايت بلقاسم -

1927 -1992

((إن المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم، كان رجل مبادئ، ومواقف صريحة، تحلى بخصائل نادرا ما تجتمع في إنسان واحد، وعرفه الناس – من أقارب وأحباء – بالصرامة، والشجاعة، والثقافة، والفكر، والوفاء للوطن، والأصدقاء. . .))

(فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة 2005)

تميز احتفال الجامعة هذه السنة (جويلية 2007) بتخرج الدفعة العشرين (20) بازيد من 500 طالب وطالبة يتشرفون بحمل اسم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم – رحمه الله –.

وهذا التشريف هو سنة حميدة أقرها المجلس العلمي للجامعة، منذ سنة 2001م تسمية الدفعات المتخرجة بتواريخ ناصعة ورموز وطنية بارزة لأن المجلس العلمي يعتقد أن الأمم والشعوب الحية منذ قديم الحقب والأزمان تعتز بعظمائها من الشهداء والمجاهدين والمقاومين، والعلماء والمفكرين والمصلحين والسياسيين. . . وبما تركوه من آثار وأفكار وبصمات في ذاكرة الأمة، بأعمالهم وسيرهم وسلوكاتهم ومواقفهم . . . حتى يكونوا منارات شاهقة يسترشد

بها الشباب في حاضرهم ومستقبلهم، وتأسى بمناقبهم وبطولاتهم ومواقفهم المشرفة لأمتهم ووطنهم وقيمهم الحضارية والإنسانية . . .

ومن هؤلاء الذين تشرفت دفعات سابقة بحمل أسمائهم:

الشيخ أحمد حماني (جوان 2002)، الشيخ الفضيل الورتلاني (جوان 2003)، الرئيس هواري بومدين (جوان 2004)، والأستاذ مالك بن نبي (جوان 2006)، وكل متخرج يحمل معه شهادة شرفية وكتابا تذكاريا حول شخصية الدفعة التي تتشرف بحمل اسمها.

وإذا اختار المجلس العلمي للجامعة هذه السنة الأستاذ مولود قاسم –رحمه الله– فليس من أجل ما قدمه في حياته منذ نعومة أظفاره– وهو تلميذ بمدرسة أقبو إلى أن التحق بالرفيق الأعلى سنة 1992 نتيجة الأزمة والفتنة التي وقعت فيها الجزائر– من خدمات جليلة للجزائر والعربية والإسلام فحسب، بل لإدراكنا للمهمات النبيلة المتميزة التي كلف بها في أثناء الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال داخل الوطن وخارجه، والتي أداها على أحسن وجه وبامتياز رغم الصعوبات والعراقيل التي كانت تواجهه، وأحيانا من أقرب الناس إليه في مجال أداء مهامه.

ومهما يكن من أمر فلن نفي– في هذا التقديم المقتضب– بمناقب الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، وسأترك لمن يريد الاستزادة الاطلاع على الكلمات والبحوث والمقالات والانطباعات المتضمنة في هذا الكتاب التذكاري، وكلها قيمة وصادقة ووفية للأستاذ، منها :

كلمة فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، في الملتقى الوطني حول شخصية مولود قاسم نايت بلقاسم في 27 مارس 2005.

وكلمات الأساتذة: أحمد بن نعمان، عبد الرزاق قسوم، ومحمد الصغير بلعلام، عايدة حباطي، سعاد بيطاط، بوبكر بعداش، محمد الهادي الحسني، الأخضر شريط، بلقاسم شتوان، ومسعود فلوسي

جزاهم الله خيرا وسدد خطاهم، بالإضافة إلى مقتطفات من أقوال الأستاذ مولود قاسم، توضح مواقفه الثابتة والصارمة، مدة حياته، من خلال مؤلفاته الشخصية، أو ما صرح به في ملتقيات الفكر الإسلامي المختلفة أو في لقاءاته ومسؤولياته ومهامه المختلفة وهي كثيرة وذات نوعية، وهذه الأقوال والآثار تبين بوضوح ودقة وصراحة مواقفه في الاجتهاد، واتخاذ المبادرة، والاعتماد على العقل والمنطق، والتأمل بعمق في الأشياء والأحداث التي يعيشها، والنقد البناء، والرد بشدة على الأخطاء والانحرافات، والجهل، والتعصب . . .

وكان لا يتسامح أبدا مع الإهمال والتهاون، والتلاعب بالتاريخ الوطني، واللغة الوطنية، والإسلام، والشخصية الوطنية بكل أبعادها الأمازيغية والعربية والإسلامية. وكان دائم التمسك برموز الأمة باعتبارها سر وحدة الأمة، وسلامتها وقوتها وعزتها وكرامتها .

رحمك الله يا أستاذنا، وجعلك ذخرا لنا وللأجيال القادمة ونموذجا حيا جعل الجزائر دائما في قلبه وعقله أينما كان وحيثما وجد .

قسنطينة في 16 جوان 2007

أ . د . عبد الله بوخلخال
مدير الجامعة

تقـــــــديم

د. إسماعيل سامعي

نائب مدير الجامعة للتكوين العالي والتكوين المتواصل والشهادات

بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن تقديم كتاب عن حياة العلامة الوطني الغيور على تاريخ وطنه وهوية شعبه، ولغة أمته ليس بالأمر الهين، ذلك أن الكتابة عن عملاق من عمالقة الفكر كالأستاذ العلامة مولود قاسم نايت بلقاسم تعد ضربا من المجازفة، ومغامرة أخوف ما فيها أن لا ترقى إلى مستوى الرجل، ولا تفيه حقه، غير أنه قد يشفع لنا العلامة الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، وكذلك القراء الكرام عندما نكون متواضعين وعلميين في طرحنا لاسيما ونحن نقدمه إلى الشباب المثقف المتعلم الذي أحبه من أعماقه خاصة عندما ترجم أو أنزل حبه هذا إلى مستوى الفعل بإنشاء التعليم الأصلي في السبعينات، وفسح له مكانا واسعا ضمن ملتقيات الفكر الإسلامي التي كان يشرف عليها وينشطها، وعلى صفحات مجلة الأصالة التي أسسها ليؤصل لهذا الشباب الذي هو روح الأمة، ومكونها الأساسي، وعنصر هام من عناصر استمرارها ورقيها.

كم كان العلامة المفكر مولود قاسم نايت بلقاسم حريصا على أصالة الأمة، وهويتها، وعلى محاربة الجهل بجميع أشكاله، وإحلال العلم المحل الأول في جميع المجالات، وكم كان يؤلمه الانحراف عن القيم التي ظل طول حياته يدافع عنها، ولم يكن أبدا لين الأريكة في شأنها.

تلكم هي ملامح الشخصية التي تتشرف جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بأن تطلق اسمها على الدفعة العشرين للطلبة المتخرجين في نهاية السنة الجامعية 2007/2006 والتي كان المجلس العلمي للجامعة قد أقرها في بداية هذا العام الجامعي.

إن هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه مقالات علمية لأساتذة باحثين، وذكريات وانطباعات لمن عاشوا وعايشوا هذا الرجل يعكس لا محالة حرص الجامعة على إحياء

مآثرنا وبعث أمجادنا التاريخية إسهاما منها في المجهود المبذول في هذا المجال لا سيما من المؤسسات العلمية والباحثين الأكاديميين.

إن الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم تعددت مواهبه، واهتماماته، ولكنها كلها كانت تتركز حول تاريخ الجزائر، وتراثها قصد إزاحة ما علق به من شوائب، وما حاوله الأعداء من تشويه، ومن ثم الإسهام في إعادة ما ضاع منه، فملتقيات الفكر الإسلامي المؤسسة الهامة التي أسسها وأدارها ومجلة الأصالة التي وضع خطتها وحدد وجهتها تكاملت مع مشروعه للتعليم الأصلي كانت لولا معاكسة الظروف مشروعا حضاريا أصيلا لجعل الجزائر ضمن المجموعة العالمية بعطاءات لا بمستوردات، والأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم يؤمن إيمانا قويا بأن ولوج باب العالمية يبدأ من المحلية، يقول "فبقدر بروز إنيتنا وقوة أصالتنا إذن تكون لنا، لشخصيتنا بين الأمم ويتضح تميزنا في المجال الدولي، وتبرز مساهمتنا في المجهود البشري العام "، ويضيف الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم: " وكل شعوب الأسرة البشرية، فبقدر تمايزها عن بعضها في شخصيتها الثقافية وفي إبداعها الفني، وفي إنتاجها الزراعي أو الصناعي، يكون ثراء الإنسانية ككل، وتكامل جهودها، والفائدة العائدة عليها في مجموعها من مجموعها "[1].

وإذا كان الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم قد أولى اهتماما لشخصية الجزائر الدولية، فإنه في الوقت نفسه كانت له رؤية شاملة لتاريخ الجزائر رغم أن ثورة التحرير كانت تسكنه لأنها الهزة التي أحدثت تغييرا عميقا لا في الإنسان الجزائري فحسب بل في شعوب المغرب وإفريقيا، وكثيرا من شعوب العالم، فقد كان ينتقي عباراته التي تترجم أفكاره ورؤاه فقد كتب في مقدمة كتابه "ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر" قائلا: " لا ننسى طبعا من بينهم، قبلهم وبعدهم أولائك الإخوة الذين صنعوا هذا الحدث العظيم، أول نوفمبر"[2] . فعبارة لا ننسى أصبحت شعار الكثير من الجمعيات، والاحتفالات، والملتقيات ، فالنسيان آفة الذاكرة التاريخية، لاسيما إذا انصب الاهتمام بوعي أو بدونه على مرحلة من المسار التاريخي دون أخرى، فالتاريخ وحدة متكاملة، فعندما وجه تحيته لأولئك الذين قدموا أنفسهم على

---

1 - إنية وأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، (قسنطينة مطبعة البعث، 1973/1395): 11.

2 - (قسنطينة: دار البعث 1984/1404)، 14

مذبح الحرية كتب يقول: " وتحياتنا العاطرة إلى شهداء كفاحنا التحريري على مر العصور"[1].

فإعادة كتابة تاريخنا لا ينبغي أن تقصي حلقة من حلقاته لأن ذلك من شأنه إحداث ردود فعل سلبية تكون نتيجتها انفصام في الشخصية التاريخية للوطن، وللمواطن معا، وهي جرثومة يجب القضاء عليها في أفكارنا وأعمالنا، وقد ترجم ذلك الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم في نشاطه المتنوع والمتكامل، فملتقيات الفكر الإسلامي كانت قد درست تاريخ الجزائر منذ القدم، وحتى العصر الحديث، ومحاور مجلة الأصالة كانت تتناول تاريخ الجزائر في جميع مراحله، وفي شتى عناصره، وهو أمر غاية في الأهمية لاسيما إذا عرفنا أن تاريخنا تعرض إلى تشويه مغرض من طرف الكتاب الغربيين عموما، والفرنسيين خصوصا طيلة قرن وربع قرن، كما شارك في هذه المآسات من بني جلدتنا، والذين تواصلوا مع الاستدمار الفرنسي كما كانوا يعرفون ببني وي وي، ونعتهم مولود قاسم نايت بلقاسم: " بالقوم التبع من أصحاب القنانير، عبيد الشوائع والدنانير النائمين وقوفا لا يطردون عن أعينهم الزنانير، سواء منهم المفتون وشيوخ العرب "، والباشاغاءات، وسائر المندوبين والأعيان البيغاءات من النواب والديبوتيات والسيناطورات، وترجمانات وخواجات الأدمنستراطورات، والقياد والشنابط ذوي الطرطورات سواء منهم الجهال المعممون المبرنسون، أو الدكاترة المطربشون المفرنسون، لأننا نجدهم دوما في الميدان يمسحون الأحذية، ويداسون كالديدان، إذ كانوا كالألف لا شأن عليه، كما يقول الكسائي وسيبويه، وتؤكده تجارب ابن مسكويه "[2].

إن أمثال هؤلاء من بني جلدتنا هم الأخطر لا على شخصيتنا فحسب، ولكن على منظومة القيم في مجتمعنا ودولتنا بشكل أو بآخر، فهم أداة تعطيل، ووسيلة هدم إذا وجدوا غفلة أو استكانة، فالأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم كان يدرك أننا نعيش في عالم يسيطر عليه الأقوياء، وأن الاستدمار كالأفعى له ألف وضعية، ولذلك لا بد من التنبيه إلى هذا الخطر، كما أنه كان يدرك أن الجزائر تعيش مرحلة إعادة البناء والتشييد خلال السبعينات فترة الحرب الباردة، وتصارع القوى العظمى، فلا بد من تأمين مسار التنمية بتأمين الداخل قبل الخارج.

---

1 - نفسه 14

2- ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا، ص:22

وهكذا عاش الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم ملتزما بقضايا أمته الكبرى، وطموحها الأعمق بمشاركته في معركتي التحرير والبناء والتشييد مسخرا قواه العقلية والنفسية لرسم تقاليد دولة لا تزول بزوال الرجال.

ونحن إذ نقدم هذا الكتاب، ونقول هذا الكلام في حق رجل علامة خدم العلم والفكر والدين والوطن في بلدنا الجزائر بإخلاص، ومنهجية علمية، فإننا نكون قد وفينا دينا نراه في أعناقنا ثقيلا إزاء رجالنا الذين كانوا رجالا يقتدى بهم، ونبراسا يستضاء به، عملوا على تحريرنا وتثقيفنا، ورفع مستوانا الاجتماعي والاقتصادي، ونشعر في الختام أن ما قدمناه لا يفي الرجل حقه كاملا لكنه يعد خطوة في الاتجاه الصحيح.

وختاما نسأله عز وجل أن يتغمد روح فقيدنا برحمته وأن يسكنه فسيح جنانه وأن يلهمنا صواب جادته.

الدكتور. إسماعيل سامعي

معالم من حياة المفكر الثائر

مولود قاسم نايت بلقاسم

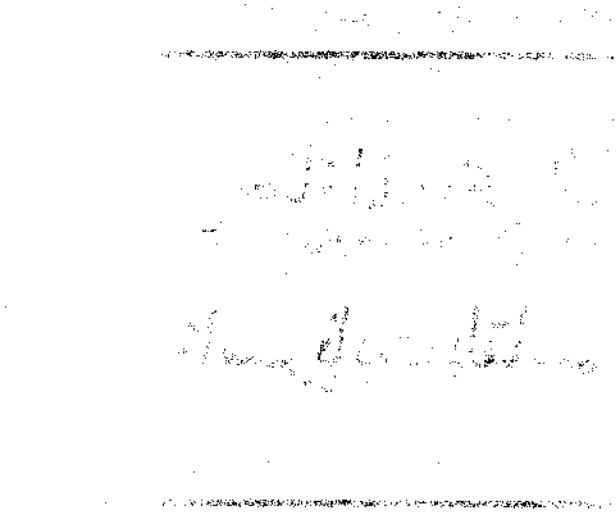

كلمة فخامة رئيس الجمهورية
السيد عبد العزيز بوتفليقة
في افتتاح الملتقى الوطني حول شخصية مولود قاسم نايت بلقاسم

(الجزائر، الأحد 27 مارس 2005)

بسم الله الرحمن الرحيم،

و الصلاة والسلام على أشرف المرسلين،

وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين،

أصحاب المعالي والسعادة،

حضرات الأساتذة الأفاضل،

أيها الضيوف الكرام،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تعتز الأمم بعظمائها من العلماء والمفكرين والسياسيين وتفتخر بهم، وبما تركوه من بصمات في عصرهم، سواء بأعمالهم أو بسيرهم، وتقيم لهم الاحتفالات، لتبقى ذكراهم خالدة في الأذهان، فتتأسى الأجيال بمناقبهم، وبما سجلوه لوطنهم وثقافتهم. لأنهم هم الذين رفعوا راية الحضارة فيها، وأسمعوا كلمتها، وجعلوا لها مكانة عالية بين الأمم، بل إن الأمم تقاس درجة حيويتها ورقيها بمدى اهتمامها ببناة حضارتها، فهم الذين يكتنزون عبقرية الأمة، ويترجمونها في أعمال خالدة، حتى أن بعض سلوكهم في الحياة، هي محصلة لروح الأمة، وتجسيد لما تكون عليه القدوة والمثال.

والأمم التي هزل تاريخها هي تلك التي ضربت عن ذكر مفكريها وعلمائها صفحا، ورمتهم حيث رمتهم الأيام التي لا تبقي إلا على كل عزيز قوي، وما العزة إلا بالعلم، وما القوة إلا بالمآثر التي خلدها العلماء والمفكرون.

وإذا خلد التاريخ رجال السيف، وسجل فتوحاتهم، فلأن وراءهم أصحاب فكر يسندونهم، فالسيف ليس سوى وسيلة لتحقيق الهدف، ولولا ذلك لما ترك السيف غير دماء وخراب.

وإننا إذ نحتفل بمفكرينا، ليس من أجل ما قدموه في حياتهم من خدمات جليلة، وبما تحلوا به من صفات حميدة فحسب، ولكن للبرهنة على مدى إدراكنا لمهمتهم النبيلة في ترقية شعوبهم، وللتأكيد على متابعة مسيرتهم، ولإبداء قدر اهتمامنا بتنمية وطننا، وتطوير مجتمعنا، ولتقييم المعادلة بين الإنسان ووطنه، فإذا كانت الأوطان تنبت الرجال، فهي لا تورق ولا تزهر وتزدهر إلا بهم.

وللجزائر رجالات كثر، خليق بنا أن لا نقف في احتفائنا بهم ذاكرين ومذكرين فحسب، بل علينا أن ننكب على أثرهم نتأمل ونتفرس، وننقب ونستلهم، لنحظى بما نحن في أمس الحاجة إليه.

ومن الذين تركوا بصمة من فكرهم في تاريخ الجزائر السياسي والثقافي، الصديق، والرفيق، والمناضل، والعالم الموسوعي، مولود قاسم نايت بلقاسم، جلبه رب العزة بنعم رحمته، وأفاض عليه من غدق ما سقى به عباده المتقين.

فقد ولد ثائرا، إذ بدأ نضاله منذ كان تلميذا في المدرسة بقريته المطلة على مشارف آقبو، قريته الهادئة المنقطعة لتقاليدها الجزائرية الصرفة، التي تقدس العلم والعلماء، وتجوع فيها الأسر من أجل أن ينهل أبناؤها من ينابيع المعرفة.

استوعب مولود ثقافة الكتاب، بما آتاه الله من حافظة لا تعادلها قوة غير ذاكرته، وبطموح يفل الراسيات، فتعلم القرآن الكريم الذي بترتيله تحل العقدة من اللسان، وقرأ مبادئ الفقه، فأحاط بكل ما كان يدرس في المدارس والزوايا، وكعادة أبناء عصره وملته يمم وجهه نحو صروح العلم في تونس والقاهرة لينهل العلوم على كبار شيوخها وفحول المعرفة فيها، أيام النهضة العربية هناك: وما إن أجيز من قسم الفلسفة بشهادة ليسانس، بجامعة القاهرة، حتى أبحر نحو باريس، والتحق بجامعة السربون، لتتفتح له آفاق جديدة على علوم ومعارف أوسع، ويستفيد من مناهج الدراسة العصرية، ومن الجدل الفكري الجاد، بين المدارس المختلفة في أوروبا، خاصة المدارس الفلسفية الألمانية ذات الاتجاه العقلاني، وتعمق في فلسفة فخته، وهيجل، وكانط، وغيرهم.

ازداد تعلقه بما كتبه هؤلاء عن الأمة الألمانية، وعن أمجادها السالفة، وعن ضرورة نهضتها المستقبلية، وقد كتب فصولا ضافية عن فيخته كان يود أن يتقدم بها كأطروحة لنيل الدكتوراه، ولكن يبدو أن اندلاع ثورة التحرير الوطنية، والتي التحق بها مبكرا، والمناصب التي تقلدها والمهمات التي قام بها قد حالت دون ذلك.

فقد عين ممثلا لجبهة التحرير الوطني، ثم للحكومة الجزائرية المؤقتة في معظم العواصم الأوروبية التي كان بها من قبل، كالسويد، وألمانيا، وغيرهما، واندمج في مجتمعاتها دارسا للعديد من لغاتها، فاستوعب ثقافتها وفنونها، وتأثر بما شاهد فيها من جد وكد وتقدير للعمل، والإنتاج الفكري المادي.

وقد جمعتنا رسالة بناء الجزائر المستقلة في العديد من المناسبات، فكان موظفا ساميا بوزارة الخارجية، وإطارا برئاسة الجمهورية، ثم وزيرا للشؤون الدينية والأوقاف، لمدة طويلة حقق خلالها إنجازات أفادت المنظومة التربوية والثقافية عامة. وكان في مقدمتها الملتقيات الإسلامية التي كانت تعقد سنويا، ومجلة الأصالة، وما أدخله من إصلاحات على الإدارة، وإنشاء المعاهد الإسلامية في المدن الكبرى، وكان رحمه الله يشرف على كل صغيرة وكبيرة، فيما هو مسؤول عنه بدقة وصرامة أسلوبه المعهود، مما أعطى لتلك الإنجازات طابعا جديا متميزا. وعكف على جمع ونشر محتويات تلك الملتقيات العالمية، في كتب هي اليوم واحدة من أهم مصادر التفكير، و المراجع في العديد من القضايا التي تعنى بالإسلام كفكر، وحضارة، وفقه، وعبادة، وما إلى ذلك من الأبعاد الكثيرة في ديننا الحنيف، وحرص على رجمتها إلى الفرنسية، فاستفاد منها الجمهور الواسع من المثقفين

والطلبة. واعتنت مجلة الأصالة بهذا الفكر في كافة جوانبه، وأوصلته عبر صفحاتها إلى جل شرائح القراء. وأصبح لملتقيات الفكر الإسلامي بعد دولي، يشد إليه العلماء الرجال من كل القارات.

كما اعتنى مولود قاسم برسالة المسجد، وبدوره الحضاري، والتربوي، والديني، والتوجيهي، في المجتمع، ورفع من مستوى ما كان يقال في خطبة الجمعة بهدف نشر الثقافة الإسلامية بوصفها أداة تنموية، ووسيلة لتجنيد المجتمع من أجل أن يتفقه في دينه، والرفع من قيمه ومثله، وإشاعة السلم والخير، والتحلي بالتسامح والتكافل بين الناس، وليس منبرا للتزمت والتطرف والترويج للفرقة، وزرع البغضاء والشنآن وتأليب الناس بعضهم على بعض، وتحريف القول، واستغلال الدين لتحقيق مطامع دنيوية، ومطامح سياسية، وأغراض ما أنزل الله بها من سلطان، وكلف الأئمة بمحو الأمية، واشتغل بتكوينهم وتحسين وضعيتهم الإدارية بناء على شهاداتهم العلمية، وسعى إلى ترسيم معلمي القرآن بعدما كانوا مهملين، وأصبح لهم راتب، ونظم للجميع دورات تربص في فترات تحددة، وأنشأ لهم مراكز تكوين في مختلف المناطق.

واهتمت الوزارة أيضا في عهد الأستاذ مولود قاسم بالمخطوطات المتعلقة بتاريخنا، فسهر شخصيا على نشرها منها: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لمحمد بن سحنون الراشدي "، ودليل الحيران وأنيس السهران" لمحمد بن يوسف الزياني، وقام بتحقيقها المرحوم الحاج المهدي البوعبدلي. وألف بعض الكتب منها :

- إنية وأصالة
- أصالية أم انفصالية
- شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية
- مآثر فاتح نوفمبر وردود الأفعال الدولية في الداخل والخارج...

وله عدد من المقالات في مجلة الأصالة وغيرها. وبصفة عامة كان المرحوم يمتاز بثقافة موسوعية، وبمطالعة مستمرة، وكانت له مكتبة خاصة تعج بالكتب قديمها وحديثها.

لقد تبلورت أفكاره في مؤلفاته وتصريحاته التي تميزت بالجمع بين الأصالة والمعاصرة، وكان يرى استحالة الفصل بينهما، حيث دعا إلى (أن يكون الإنسان ابن عصره مع البقاء على أديم مصره، دون أن يصبح نسخة غيره).

وكان يقصد بالأصالة، التعلق بالعقيدة والقيم الرفعية، والحضارة التي اكتسبناها من التراث والتاريخ، وحفظت لمجتمعنا شخصيته، ومكنته من مقاومة الاستعمار، ولا تعني الأصالة في نظره التحجر والركود، وإنما تقبل التجدد والتطور، ومسايرة العصر الذي نعيش فيه، وكان رحمه الله متأثرا بآراء جمال الدين الأفغاني، ومدرسة النهضة الحديثة، وركز على بعض الآيات الكريمة منها: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** (سورة الرعد – الآية 11). وهي نفس الآية التي كان صديقه الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله يتناولها بالشرح والتحليل في أحاديثه الفرنسية والعربية في بيته يومي السبت والأحد. ركز على هذه الآية إيمانا منه بأن تذليل المستحيلات، وإحداث المعجزات التي تغير مصائر الناس، إنما تأتي من عمل رجال شعبنا ونسائه، إذا هم عقدوا العزم على تجسيد ما في خبايا صدورهم، من طموحات شخصية ووطنية في آن واحد، فشمروا على سواعدهم، وحزموا أمرهم، وتوكلوا على الله.

ولما كان شاهدا على عصره، رأى رؤية العين الجهود التي بذلها الألمان لإعادة بناء بلدهم بعد نكبتها في الحرب العالمية الثانية. أصبح لا يثق بشيء أكثر مما يثق في العمل الدؤوب الذي لا يعرف الكلل ولا الكسل، متصديا لكل الصعاب والتحديات لتذليلها وقهرها قهرا، فكان يجزم بأن الشعب الألماني العظيم سيقنا في فهم الرسالة القرآنية وما فيها من عبر للعالمين، وطبقها تطبيقا محكما، فكان يؤكد بإلحاح على الآية الشريفة: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**.(سورة التوبة ، الآية 105)

كما حث رحمه الله على الاجتهاد، واتخاذ المبادرة، والاعتماد على العقل، والتأمل، والنقد البناء، وكان يرد بشدة على الأخطاء، ويحارب الانحرافات، والجهل، والتعصب، و لم يتسامح مع الإهمال والتهاون، واعتنى عناية خاصة بالتاريخ الوطني، واعتبره العنصر الأساسي في إعداد الشخصية الوطنية، وعقد له ملتقيات كثيرة تناولت الثورات التي وقعت في أنحاء القطر، في عهد الأمير عبد القادر، والمقراني، والشيخ بوعمامة، إلى ثورة أول نوفمبر المباركة، وانشغل أيضا باللغة العربية، وأدبها، حيث اعتبرها رمز وجود الأمة، وسر وحدتها، وإذا ضعفت أو أهملت، تحولت الأمة إلى مجرد شتات.

لقد سهر على سلامتها ودعمها بجميع الوسائل، وعندما أشرف على مجلسها الأعلى، مهد لتأسيس المجمع والجامعة الإسلامية، ونجد اليوم مجمع اللغة العربية ومجلسها الأعلى بالعاصمة، وجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، و لم يهمل اللغات الأجنبية، بل

حرص على الدعوة إلى تعلمها لأنها تفتح لنا نوافذ على العالم، وتساعد على الحوار بين الثقافات والحضارات.

يمكن، والعلم عند الله، تصنيف الفقيد في الذين أشارت إليهم الآية الكريمة في سورة الأحزاب: ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**﴾ (الآية 22).

إن المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم،كان رجل مبادئ ومواقف صريحة. تحلى بخصائل نادرا ما تجتمع في إنسان واحد، وعرفه الناس من أقارب وأحباء بالصرامة والشجاعة، والثقافة والفكر، والوفاء للوطن، والأصدقاء.

وله خصائص كثيرة، سيذكرها حتما بالتفصيل الدارسون والباحثون في هذا الملتقى.

ذروني الآن أيها الإخوة الكرام، وإن كنت أعلم يقينا بأني ما أتيتكم بجديد حول سي مولود في مداخلتي هذه. ذروني استدعه إلى مجمعكم الموقر هذا، لأذكره بالقليل، القليل من أحداث الماضي التي تجول الآن في ذهني وتزدحم فيه، وتدفعني إلى التعبير بصراحة عما أكن له شخصيا من مودة وصداقة.

وما دام معنا وإن لم يبد للعيان، فإني أستأذنكم في مخاطبته مخاطبة الصديق للصديق، وكيف لا أتذكرك أيها العزيز،وقد عاشرتك زمنا ليس بالقليل، وعرفتك عن كثب منذ استقلال الجزائر. كنت تعاشر كل قادة الثورة والشخصيات الجزائرية في داخل السلطة وخارجها، الحكام منهم والمعارضين. كنت صديقا للجميع، مستقلا في رأيك، لا تميل إلى معاداة أحد منهم، تتحفظ عن رأي هذا أو ذاك دونما إشاحة، تنصت إلى الجميع دون تفضيل، ولا تتكلم إلا أن تقول قولا فصلا، لما كان لك من دراية بالأمور، معظم الأمور.

لقد كنت بالرغم من هدوئك الظاهر وابتسامتك التي كانت ترافق دائما نكتك الطريفة، ولكني أجزم بأنك كنت شديد التمسك بأفكارك، ثابتا في التشبث بمواقفك تكسو وجهك مسحة من التأثر العنيف حين تتحاور مع رفاقك، وكثيرا ما تتحاور معهم، ولكن دون الإساءة إلى أحد. تبقى متربعا في كل الحالات على عرش قناعتك لأنك قبل أن تصل إليها كنت تجمع لها كل الحجج والبراهين، وتعززها بالمرجع وبالسند والدليل.

أراك ما تزال بمعطفك الأزرق القديم الذي شهد أيامك كلها، وشهد عليها حلوها ومرها، وكأنه جزء لا يتجزأ من شخصيتك المتواضعة النادرة.

لك أحباب يحبونك ويقدرونك، ولك خصوم لا يكرهونك، ويحترمونك لما كنت تثير لديهم من تساؤل واستغراب في المكتب كما في البيت. كنت دائما محاطا مطوقا بالكتب، والمجلات، والملفات المختلفة، والمنشورات.

لست أدري كيف كنت تجد ضالتك في تلك الغياهب المتراكم فيها العلم طبقا فوق طبق، ولكن في جميع الظروف كنت كما عهدتك على موعد دقيق مع ما يطلب منك من إسهام في قضية أو أخرى. أما الجرائد العربية، والفرنسية، والانجليزية، والألمانية، وحتى السويدية منها، كانت كلها تلتقي يوميا في رزمة ثقيلة الحمل بين إبطك الأيسر، ومعطفك الأزرق، وأنت في طريقك من المكتب إلى البيت، ولا أدري أين ولا كيف تجد الطاقة يوميا، دون كلل ولا ملل، لحمل وتحمل ما في العالم من أحداث وكوارث، وما تنقله الصحف من أخبار ثقيلة ومضنية، وكأنك تحمل تبعات الدنيا بين الصدر والذراع الأيسر، وتنوء بها كما ناء المسيح الذي شبه لهم بصلبيه في صبر وتجلد.

كانت نفسك تطمئن إلى شلة صغيرة من الأصدقاء وتستروح برفقتهم، انتقل كثير منهم إلى جوارك. لا أحالك إلا مستأنسا بمحمد الشريف الساحلي، والدكتور عزوز الخالدي، ومالك بن نبي، ونعم الأنيس هم.

أو تذكر يا مولود، يوم كنا في اليمن الشقيق في شطره الجنوبي آنذاك، والتقينا بإخوة من حضرموت، ونطقوا بلهجة استغربتها أنا واستغربتها أنت بنفسك قائلا: "إني أفهم هؤلاء القوم، إني أستوعب كل ما تفوهوا به، وأنا في حيرة من أمري. لست أدري إن كان فهمي للغتهم يأتي مما آتاني ربي من معرفة للغة العربية، أم من معرفة للأمازيغية، وأنت تعلم أني أتقنها وأجيدها.

أو ما زلت تذكر يا مولود يوم كنا في لقويره في الصحراء الغربية المجاورة لنواديبو في موريطانيا الشقيقة، والساعة متأخرة ليلا، وأنت تبحث عن هوية الصحراويين والغربيين سائلا على حين بغتة ذلك الشيخ الوقور، صاحب الدكان، أو أنتم من المغرب أم من موريطانيا في أصولكم. فأجاب بدون ترو وبأسرع من البرق، وكأنما كان ينتظر منك السؤال: لا هذا، ولا ذاك، نحن من أولاد دليم من الجزيرة العربية. لقد كان ظمؤك يدفعك إلى طرح أسئلة دقتها تسبب أحيانا بعض الإحراج.

أو لا تذكر، حين كنا في هانوي والجنرال الأسطوري جياب يشرح على الخريطة للوفد الجزائري بإسهاب وإطناب وقائع معركة Dien Bien Phu، ثم وقف مترددا وقال

بشيء من الخجل وهو يشير إلى تلة معينة : "أيها الإخوة، في هذه الربوة لقينا ما لقينا من معاناة من جراء المقاومين آنذاك". ثم سكت، وكان في صمته عفة الآسيويين الذين يقدرون الرجال حق قدرهم، حتى في حالة الخصومة بل الحرب.

وسألته يا مولود: "لماذا كانت المقاومة شرسة إلى هذا الحد "؟ وليتك لم تسأل، ولم يجب، إذ التفت إليك جياب البطل وعلى شفتيه ابتسامة وادعة حلوة لا تخلو من أسف وحزن: "لأن الجنود كانوا مغاربة يا صديقي"، وكان يريد أن يقول لأن الجنود كانوا جزائريين.

كم من مرة فاجأتنا فيها يا أخي، وكم كنا نتعلم من أسئلتك الدقيقة. إن ظمأك للمعرفة لا تضاهيه إلا سعة العلم التي لا حدود لها، وكنت دائما، مهما أرويت عطشك، تعلم جيدا أن ﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾. (سورة يوسف ، الآية 76)

ما زلت أراك يا مولود في اللجنة المركزية للحزب العتيد، تزأر من على كرسيك، زئيرا منددا بالانحرافات والبدع من حيث أتت، وأنى كان مصدرها، وكنت تحذرنا وفي تحذيراتك ما يشبه الإنذار والوعيد، وكم تنبأت يوم ذلك بما كان لا بد له أن يحدث، وكأنه وحي يوحى إليك، أو إلهام من رب العالمين نطق به الضمير المتأجج، فتنبأت بمستقبل الوطن بما كان على ربك حتما مقضيا .

إن وطنيتك المتوهجة، وحبك للغة العربية وتبحرك فيها، قد جعلاك تأنف من تغليف الأطماع والأغراض بستار من تلفيق المعاني وتزييف الكلمات المتعارف عليها، والتي تعج بها قواميس اللغة، فكنت ترفض تلك الكلمات، وتستعمل بدلها الألفاظ الدالة على الواقع كاشفا بذلك الهدف الحقيقي، فلم تقبل أبدا بكلمات المحتلين التي حادوا بها عن معانيها ومدلولاتها، فلفظة الاستعمار التي حولتها إلى لفظة الاستدمار. وكانت في محلها لأن الاستعمار لم يكن في الواقع إلا استدمارا، وقد تبعك في استعمال هذا اللفظ الكثير ممن رفضوا تحريف الكلم عن مواضعه وتحويله عن الواقع المعيش، ولعلك كنت على حق بل أنت على حق، إذ بلغت بها رسالة للأجيال القادمة.

أيها الصديق العزيز، لقد كنت مهتما بك أكثر مما كنت تظن، و كنت أتتبع أخبارك من الخلان الأوفياء ممن رافقوك حتى في قريتك النائية، وممن درسوا معك في تونس والقاهرة، فكثيرا ما كنا نتجاذب أطراف الحديث عنك، فيذكرون لي مناقبك هنا وهناك. حدثني أحد محبيك، وهو من أقرب المقربين إلي، عن تمردك ضد الأجنبي، وأنت لما تـــزل

طفلا في قريتك، وعن دخولك سجن آقبو المرة بعد المرة، لمجاهرتك بحبك لوطنك، ولتحريض أقرانك على عدم رفع علم المحتل في المدرسة التي كنتم ترغمون على رفعه في أعياده القومية، وكيف انتسبت إلى الحركة الوطنية، وجاهرت بذلك مما جعل السلطات المحتلة تضعك تحت رقابة شديدة في حلك وترحالك، لم توضع إلا على كبار الزعماء.

وتلك الحادثة التي جرت لك مع أستاذ التاريخ بالقاهرة، حين كنت تشرح له ما صنع الاحتلال في بلادك من مآس، وكيف حاول بكل طرق المسح والمسخ والطمس، محو هويتها وتاريخها، وأخرجت جواز سفرك لتبرهن له على ما تقول، فبادرك بقول لم تكن تنتظره من أستاذ تاريخ: "عندك جواز فرنسي، وجنسية فرنسية " يا بختك. وكيف انتفضت غضبا، وانتفخت أوداجك، وكدت تضربه بل كدت تأكله أكلا لولا أن صد عنك بسرعة، و لم يسكن عنك الغضب سنوات لم توجه فيها كلمة واحدة لذلك الأستاذ الخفيف الظل. وكم حدثني عن سيرتك التي كانت كلها مسكا وعطرا، فلم تله كما يلهو رفقاؤك حين تطغى عليهم فورة الشباب.

مولود، أيها الأخ العزيز، أو ما تزال من الدنيا في هم مقيم، وقد رأيت ما جرى في وطنك الحبيب. أو ما تزال الأسئلة الدقيقة المفاجئة تتزاحم على شفتيك. أسعيد أنت بما أصبحت عليه بلادك، وهي تصلح ذات بينها وتلم شملها، وتضم جهود أبنائها منطلقة في تنمية شاملة أخرتها عنها آفة الإرهاب سنوات وسنوات، أم تراك استقر بك الحال، وهدأ البال، وحال بينك وبينها حجاب، فانقطعت عن السؤال، وعن رد الجواب.

رحم الله فقيدنا مولود قاسم، وأسكنه فسيح جنانه، مع الصديقين من عباده.

وإذ أرحب بالضيوف الكرام، وأتمنى لهم إقامة طيبة، أسال الله تعالى أن يوفقكم في أعمالكم، ويسدد خطاكم لما فيه الخير والفلاح.

والسلام عليكم ورحمة الله.

د. أحمد بن نعمان

وحدة الجزائر في قلب وعقل " مولودها" الثائر!!

بـــناء على ما أعرفه عن المرحوم مولود قاسم أو" مولود الجزائر" كما أسميته في كـــتابي عـــنه ســـنة 1993، بعنوان" مولود قاسم نايت بلقاسم: حياة وآثار، وشهادات ومواقـــف"، ومـــا خـــبرته عن حياة هذا الرجل الكبير، ملازما له ومرافقا لعدة سنوات وضـــعتنا فيها الظروف على نفس الدرب، للاضطلاع ببعض المهام والمسؤوليات في أهم المراحل، وأدق المفاصل، في عملية البناء الوطني، واستكمال تحرير النفوس والأذهان بعد فك بعض القيود عن الأبدان...

أشـــهد أنـــه لم يستأثر موضوع باهتمامه، ووضعه في مقدمة أولوياته الوظيفية والفكـــرية والثقافية والسياسية أكثر من التعريب واللغة العربية ... لما كانت تحمل هذه اللغـــة لديه من معان وتمثله من رموز سياسية وسيادية ودينية، وما تحويه من كنوز ثقافية وتاريخية وعلمية وحضارية، وما كان لها عنده من دلالات وذكريات وثيقة الصلة بمراحل الكفاح الوطني المتواصل من أجل تحقيق الاستقلال الكامل، كوسيلة وكغاية سيادية سامية في الوقـــت ذاته، باعتبارها مقوما أساسيا من مقومات الهوية والسيادة والوحدة الوطنية، والـــتي يـــتوقف على وجودها وقوتها بقاء الأمة وزوالها كما هو معلوم في عرف رجال الاجـــتماع والسياسة والحضارة، وهو واحد منهم بكل المقاييس، كما سيتبين من كلامه الذي سنورده نصا وروحا بعد حين في هذه الدراسة المناسباتية.

وســـأنطلق من كلامه الموثق الذي شاركته في قوله أو تطبيقه لسنوات عديدة، وأشـــاركه اليوم في إبرازه والتعريف به غائبا وشاهدا حتى لا"يؤمم" في قريته أو يحنط في "عرشـــه" أو يتخذ "سجلا تجاريا" من غير أهله، ولغير أهدافه، بل يترك" مولود الجزائر" نجما ساطعا ينير درب كل الأجيال من أبناء وطنه وأمته التي قضى كل حياته دفاعا عنها واعتزازا بمجدها ورفعا لشأنها بين الأمم، وقد رحل عن دنياها وفي نفسه شيء كثير عن حاضرها وعن مستقبل وحدتها!!

وللخوض في هذا الموضوع بما يتطلبه من تحليل وتفصيل لأهم جوانبه المتداخلة سياسيا وسياديا ووطنيا وقوميا وتاريخيا وثقافيا ودينيا وقانونيا ... فقد اعتمدت على تلك الشهادات والحقائق الناطقة الساطعة المجسدة لمواقفه الوطنية الرائعة التي تفحم الأعداء، وتفرح الأصدقاء والشهداء، وتفضح المرائين والمنافقين السفلة، وتنبه الغافلين والجهلة الذين يخلطون أو لا يفرقون بين الغاية والوسيلة، والأمة والقبيلة، والوطنية والبطنية، والجنسية والهوية، وترد بالدليل القاطع والبرهان الساطع على أولئك المتعاملين والمتحاملين أو المتواطئين والمتلاعبين الذين يعدون الخيانة وجهة نظر وشطارة، والتخلي عن الشرف من أجل العلف مهارة، واعتبار الجريمة " غنيمة حرب" وتجارة، وخدمة أهداف العدو في تدمير وحدة الشعب والوطن سياسة وتطورا وحضارة!

وأبدأ باللغة العربية والشخصية الوطنية، وتعثرها أو تأثرها بأفعال بعض المقاولين والوكلاء الذين يقول لهم وعنهم ما يلي في مقابلة له مع صحيفة "الجزائر الأحداث" عدد 1985/01/03 م. "... إن المشكل يكمن في ذوات الأشخاص أنفسهم، فبالفعل هناك حاجز نفسي موجود، فسكان بعض البلاد الإفريقية المسماة فرانكفونية وأنجلوفونية لا يتكلمون إلا لغاتهم، ولهجاتهم المحلية، وسكان أوروبا كلهم يتكلمون بلغاتهم الوطنية، وكذلك الأمر بالنسبة للمصريين والسوريين والعراقيين والكوريين والفيتناميين والإيرانيين و الأفغان والأتراك والألبان، ولكننا نحن المغاربة والجزائريين على وجه الخصوص، ومع معرفتهم للعربية لا يتكلمون في معظم الأحيان إلا بالفرنسية، حتى وإن تعلق الأمر بأشياء بسيطة لا تستدعي معرفة مصطلحات تقنية متطورة .. لماذا ؟!

إن هذا مظهر من المظاهر الأكثر وضوحا لفقدان الشخصية والذوبان، وإذا كانت هناك صعوبة فإنها تكمن في إرادة التطبيق، وبالخصوص في هذه الظاهرة النفسية ... هذا المنحدر السهل .. المنحدر غالبا ما نجهل إلى أين سيرمي بنا ! ".

وردا على حجة أو "نكتة" انعدام المخابر اللغوية لتعلم اللغة العربية في الجزائر بالنسبة للموظفين الكبار والصغار يقول: "إن كل هذا الكلام ليس جديا ويهوي من تلقاء نفسه . إننا في الجزائر لا نتعلم اللغة الصينية أو اليابانية ... إننا نتعلم لغتنا الوطنية، فلسنا إذا بحاجة إلى المختبرات اللغوية من أجل ذلك. فالفرنسيون والألمان والسويديون والروس والألبان وغيرهم لا يتعلمون لغاتهم الوطنية في مختبرات اللغة ! إن هذا غير وارد في أي مكان على الإطلاق! إن المختبرات اللغوية تستعمل في تعليم اللغات الأجنبية غير المستعملة في البلد،

إننا لا نستعمل هذه المختبرات لتعليم اللغة الفرنسية في الجزائر، فكيف نستعملها في تعليم العربية ؟! هذه السخافة لا يوجد لها مثيل في العالم بأسره !!"

وردا على أولئك المتلاعبين بمصير الأمة والقضية الوطنية والدين والهوية باسم الثقافة والانفتاح، والذين كانوا يمثلون رؤوس الردة في أيامه وهم ما يزالون حتى أيامنا هذه يعتبرون اللغة مجرد وسيلة وأداة طيعة (صالحة أو طالحة) وأن الفرنسية "غنيمة حرب" ثمينة، يقول ردا على هؤلاء وأولئك في مقدمة كتابه " إنية وأصالة : "... وإذا كانت ثقافة أمة من الأمم جزء من الثقافة العالمية فإن لامتلاك هذه الثقافة العالمية يجب على كل إنسان أن يعتمد أساسا على ثقافة هي ثقافته ...

والثقافة تشترط التربية وتتوقف عليها، وأن أداة هذه التربية وحاملها، وقناتها، وحافظتها التي تلوثها بلوثها، وتكيفها بطبيعتها هي اللغة كما يقول الفيلسوف الألماني الكبير "فيخته"، ومن هنا نراه يصف اللغة بأنها القوة الطبيعية الأولى في الأمة، ونراه بناء على ذلك يجعل أركان شخصية أية أمة من الأمم ثلاثة هي: اللغة والدين والتاريخ لغرس حب الوطن.

وبينما نجد اليوم كبريات الدول الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا تتناقش وتقوم وتقعد لموضوع اللغة، ويقولون في فرنسا مثلا إن اللغة هي الجنسية، نرى أناسا عندنا يقولون إنها مجرد أداة، وأن اللغة العربية كأداة على وضعها الحالي هي غير طيعة، وغير صالحة، وغير مناسبة، وأنها باختصار لا تفي بالمقصود ! وتساءل منذ سنين بعض هؤلاء ممن يرون أنهم وحدهم المطلعون على الموضوع والمهتمون به، المختصون فيه، المتمكنون منه، وربما أيضا المسئولون عنه! (ويقصد هنا وزير التربية الوطنية في عهد بومدين السيد مصطفى الأشرف وجماعته ...) يقول: تساءل هؤلاء عن الفرق بين الثقافة والتربية، وعن ماهية اللغة هل هي شكل أم محتوى، وأجاب هؤلاء بكل حزم وجزم : " أن اللغة ليست إلا أداة وحيث أن الإنسان العاقل يختار لنفسه الأداة التي تؤدي الغرض، فالعربية في نظرهم ليست هذه الأداة !"

وعن هذه الأداة التي يطلقون عليها الآن صفة " غنيمة الحرب " فإننا نناقشهم فيها بمنطقهم نيابة عن الأستاذ مولود قاسم، فنسألهم أن يجيبونا بمنطقهم " الغنائمي " هذا على الأسئلة الملحة التالية التي تطرح نفسها طرحا على كل مواطن نبيه في هذا الوطن:

أولا: إذا كان المهزوم في الملحمة الجهادية الخالدة التي خاضها الشعب الجزائري العربي المسلم هو فرنسا، والمنتصر هو الشعب الجزائري، فهل الأخير فجر الثورة من أجل

استرجاع استقلاله وسيادته ومقومات شخصيته الوطنية التي قضى العدو كل حياته في محاولة استئصالها، ليتم له تسوية سكان الجزائر بسكان فرنسا، وصيانة وحدتها الترابية (من دانكيرك إلى تامنراست) كما كان يقول ؟ .. فهل الحرب الطاحنة بين الشعب الجزائري وفرنسا قامت من أجل الاستقلال وتنمية مقومات البقاء لهذا الاستقلال مستقبلا، أم قامت أصلا من أجل مساعدة فرنسا على تحقيق أهدافها في الجزائر "المستقلة"، بعد أن فشلت في ذلك طوال وجودها العسكري المباشر ؟!

فإذا كان الجواب بالنفي فإن الطرح " الغنائمي" هذا يصبح مهزلة ملغاة!، وإذا كان الجواب بالإيجاب (!؟) فيجب أن يقر هؤلاء " المغتنمون " معنا بأن ثورة نوفمبر كانت ثورة فرنسية ثانية بعد الثورة الفرنسية الأولى سنة 1789م.

وإذا كان الأمر كذلك فيجب – حتما – اعتبار فرنسا هي المنتصرة والجزائر هي المنهزمة، وبالتالي حق للمنتصر تغيير أو إلغاء بيان نوفمبر " الانعزالي" لأن مفجري ثورته (كما يبدو من نصه الصريح الذي سنتعرض له بعد حين في سياقه) قاموا ضد فرنسة وتنصير الشعب الجزائري من أجل استرجاع مقومات هويته وممارسة سيادته وتأكيد انتمائه القومي والديني (العربي الإسلامي) ... الذي حرم منه رسميا بحد السيف والصليب طوال 130 سنة !، وحينئذ يجب أن يطلق على الفرنسية في الجزائر "هزيمة الحرب" أو " جريمة الحرب" وليست غنيمته، وذلك بحجة أنه لا يعقل أن يخوض عاقل على وجه الأرض حربا ضارية ضد عدو جائر، وبعد أن ينتصر عليه (كما يقر أصحاب المنطق الغنائمي السقيم الذين لم يكن لأغلبهم دور في تحقيق هذا النصر ...) ينصبه سيدا عليه ويسلمه مفاتيح الدار والمصير والتبعية الثقافية والسيادية المذلة والمخزية !!

وإذا كان هذا غير ممكن الحدوث حسب المنطق البشري السليم فإن الأمر لا يخرج عن أحد احتمالين اثنين:

إما أن يكون المنتصر الحقيقي في الحرب هو فرنسا وليس الجزائر، وفي هذه الحالة تكون الفرنسية " غنيمة حرب" للمنتصر و"هزيمة حرب" للمنهزم بطبيعة الحال وهو الجزائر، وإما أن يكون المنتصر هو الجزائر والمنهزم هو فرنسا، وفي هذه الحالة تكون اللغة العربية هي غنيمة الحرب المسترجعة والمفتكة من فوهات مدافع العدو، وتكون الفرنسية هي هزيمة الحرب ، لكونها ظلت على الدوام تمثل أساس الرهان في المعركة الحضارية والسياسية والسيادية، ومعركة الهوية، بين الطرفين المتحاربين على الدوام منذ الأمير

عبد القادر وبوعمامة وفاطمة نسومر والمقراني والحداد في الأولين إلى بلوزداد وبن بولعيد وبن مهيدي وعبان والأمين دباغين وبن خدة في الآخرين! !

ثانيا: إذا كان منطق الغنيمة هذا – فرضا – يقضي بأن يغتنم المنتصر كل شيء (مادي ومعنوي) من العدو، مثل قطع السلاح وغيره (ولنعتبر اللغة سلاحا وقد استعملها أبناء نوفمبر كذلك لمحاربة العدو بسلاحه) فهل يغنم المنتصر السلاح لدعم ترسانته الوطنية (ضد العدو) أم يستعمله ضد نفسه بتصويبه إلى نحره، كما هو واضح بالنسبة لأصحاب "غنيمة الحرب" عندنا ؟! وهو عكس ما فعله المجاهدون الحقيقيون الذين حاربوا وهزموا المعتدين بلغتهم دفاعا عن لغة الشعب والدين !!

ثالثا: إذا كانت اللغة التي تعتبر بكل المقاييس روح الشعب الذي يتحدث بها (كما يقول فلاسفة الحضارة الكبار في العالم ..) من الأمور التي تدخل ضمن الغنائم التي يسبيها المنتصر من المهزوم ... فلماذا لم تغنم ألمانيا والفيتنام اللغة الفرنسية ؟ ولم تغنم كوريا اللغة اليابانية ؟ ولم تغنم فرنسا ذاتها اللغة العربية (مع أنها أممت كل شيء !) بعد احتلال الجزائر والسيطرة على مقدراتها (سنة 1830)، كما هو معلوم ؟ وقبل هذا وذاك، لماذا لم يغنم الغرب عموما، وإسبانيا على وجه الخصوص، اللغة العربية (وقد كانت يومئذ لغة الحضارة والعلوم والفلسفة والثقافة الراقية في كل أقطار العالم بدون منازع) إثر سقوط غرناطة والهزام العرب النهائي في الأندلس سنة (1492) ؟ بل أليس العكس هو الذي حصل حيث عمد المنتصر الوطني الإسباني إلى كل الوسائل لاستئصال رموز العربية والإسلام من المساجد وشاهد المقابر، لاسترجاع وحدة التراب والشعب الإسباني، في ظل وحدة الهوية " اللاتينية المسيحية " التي كانت عليها قبل (8) قرون خلت (!؟)، أم إن إزابيلا وفيرناندو، ودوبرمون، والماريشال بيجو ... كانوا جميعا أقل وطنية وعصرانية وذكاء، وأقل حرصا على سيادة ومصلحة ومستقبل أممهم ودولهم من أصحاب "غنيمة الحرب" في الجزائر المعاصرة!؟

رابعا: وإذا كانت اللغة مجرد وسيلة (محايدة) كما يدعون للتقدم التكنولوجي في زعمهم ... فلماذا يحاربون بشراسة محاولة اعتماد اللغة الإنجليزية في المدرسة الجزائرية، كمجرد لغة، للانفتاح بها على كنوز التطور العلمي والتكنولوجي الهائل المكتشف بها أصلا، والمدون بها أيضا، ويفرضون اللغة الفرنسية الدخيلة والعليلة على أبنائنا في السنة الثانية ابتدائي (كما حصل سنة 2005)، ونورد هنا نص هذا الخبر المنشور في جريدة الشروق

اليومي بتاريخ 2005/02/18 تحت عنوان: "فرنسا مرتاحة لتعديلات المنظومة التربوية في الجزائر"، جاء في المقال حرفيا ما يلي: "أكد سفير فرنسا بالجزائر خلال زيارته لولاية سطيف، أن فرنسا مرتاحة للتعديلات التي عرفتها المنظومة التربوية في الجزائر خاصة فيما يتعلق بإعادة الاعتبار للغة الفرنسية التي أصبحت تدرس ابتداء من السنة الثانية ابتدائي، وهو الأمر الذي ستدعمه فرنسا وتعمل على تشجيعه ماديا ومعنويا. السفير الفرنسي الذي شرع في زيارة شراكة وتعاون إلى ولاية سطيف أكد على لسان مستشاره الثقافي بأن التعديلات الأخيرة التي ستشرع في تجسيد برنامج دعم التعليم في الجزائر في مختلف الأطوار، حيث تم تخصيص صندوق تعاون لتكوين 2000 أستاذ في اللغة الفرنسية سيخضعون لعملية رسكلة (أي فرنسة من جديد مثلما وقع بعد سنة 1830) على حساب فرنسا التي ستسعى لتدعيم اللغة الفرنسية في الجزائر وذلك بحكم العلاقات التاريخية التي تجمع البلدين، كما أن الاهتمام سينصب أيضا على التعليم العالي أين تعتبر الفرنسية الأكثر استعمالا خاصة في مجال البحوث، ولذلك تم فتح فضاء تبادل وتعاون بين الجامعات الفرنسية والجزائرية ..." وهكذا أصبح هؤلاء الوكلاء "الغنائميون" يفرضون لغة عدو شهدائنا فرضا على أبنائنا بميزانية دولتنا وعلى طلابنا في الأقسام العلمية بالجامعات الوطنية بدل الانجليزية، اللغة العلمية الأولى في العالم، مع العلم أن هؤلاء الطلاب درسوا باللغة العربية، فيعيقونهم بهذا الإجراء الظالم عن مواصلة الدراسة باللغة التي درسوا بها طوال حياتهم فيصبحون أميين في الجامعة، بما ينجر عن هذا الإجراء " الاستحلالي " من ظلم في حق المتفوقين منهم فيصبحون معوقين اجتماعيا ومعقدين نفسيا وربما " إرهابيين " سياسيا، نتيجة هذا الظلم الشنيع الواقع في حقهم وحق وطنهم وحضارة أمتهم، علما بأن أمثال ابن خلدون وابن رشد وابن سينا وابن الهيثم والبيروني وكل العباقرة الذين درسوا ودرسوا أوروبا وعلموها معنى الحضارة والعلم بكل فروعه المتقدمة في ذلك الوقت، لم يتخرج أي واحد منهم في كامريدج أو الصربون، بل درسوا ودرسوا باللغة العربية وحدها في بغداد وقرطبة وبجاية وفاس وبقية الحواضر ومراكز الإشعاع العلمي والحضاري الأخرى. ولذلك فقد كان من المفروض بل ومن الواجب أن يواصل هؤلاء الطلبة تعليمهم باللغة العربية ذاتها في الجامعة، ولكن أصحاب "الغنيمة الجريمة" يرفضون بل يحاربون دخول اللغة العربية إلى الأقسام العلمية في الجامعات الوطنية – كما هو حاصل حتى الآن – مع العلم أن العربية هي الأقدر على ذلك من اللغة

الفرنسية، لأن هذه الأخيرة لا تعدو كونها مجرد ناقلة عن اللغة الانجليزية مثلها في ذلك مثل بقية لغات العالم في العصر الحاضر، وحجتنا في ذلك أننا إذا فقدنا بعض العلم – افتراضا – لو درسنا العلوم باللغة العربية فلا نفقد على الأقل الروح الوطنية والسيادة والحضارة، كما هو حاصل بالفعل من وراء تشبثهم المشبوه بلغة جلادي الشعب الجزائري المظلوم دون أي مقابل يذكر لا علميا ولا أخلاقيا ولا وطنيا !!

خامسا: إذا كانت اللغة مجرد وسيلة (كما يغالطون) فلماذا لا يعتمد الفرنسيون (أسيادهم) اللغة الإنجليزية في جامعاتهم، وكذلك الألمان واليابانيون والأسبان والطليان والروس والكوريون والإيرانيون والأتراك واليهود (في إسرائيل) اللغة الانجليزية أيضا في جامعاتهم وإداراتهم العمومية، ويوفرون على أنفسهم مشاق وأخطاء وأموال الترجمة إلى لغاتهم الوطنية والقومية!؟ أم أن الجواب يكمن- كما نعتقد – في وجود أسباب غير معلنة من وراء الاستماتة في دفاعهم وفرضهم "لغنيمة حربهم" على الشعب الجزائري مثلما فعل أسلافهم منذ مطلع الاحتلال كما أسلفنا ...

وللإجابة هنا على أي اعتراض محتمل من طرفهم يقول: كيف التوفيق بين هذا الكلام عن اللغة العربية وعلاقتها بالوطنية ... وبين حقيقة معيشة أثناء الكفاح المسلح وقبله في الحركة الوطنية، حيث كانت الأغلبية من رجالها (خارج رجال جمعية العلماء المسلمين) من المتعلمين باللغة الفرنسية، وقد حاربوا فرنسا وجاهدوا بإخلاص كأحسن ما تكون الحرب وأفضل ما يكون الجهاد، تماما مثل كل الوطنيين الآخرين ... بحيث لم يكن يجرى الفرز في الوطنية وحب الوطن والتضحية في سبيله في ذلك الوقت بين المتعلم بالعربية والمتعلم بالفرنسية ... وعن توضيح هذه المسألة ورفعا لأي التباس حول هذا الموضوع الحساس نقول: إنه يمكن تقسيم النخبة أو الطبقة المتعلمة باللغة الفرنسية من الجزائريين إلى فئتين أو نوعين:

النوع الأول: تنطبق عليه جميع الصفات والأحكام التي أطلقت عليه وتطلق عليه دائما، فهو قد تفرنس وحارب لغته القومية واحتقر أبناء وطنه، وانجذب كلية نحو الثقافة الغربية، وكاد يذوب في المجتمع الفرنسي على الرغم من أن الأوروبيين المستعمرين في الجزائر ظلوا في قرارة أنفسهم ينظرون بعين الاحتقار إلى كل جزائري مهما قلدهم، ومهما أظهر ولاءه لهم، ومهما تبرأ من أصله في الوقت الذي كان وما يزال ينظر هؤلاء المتفرنسون المستلبون بنفس النظرة إلى أبناء وطنهم (الجغرافي) باعتبارهم محافظين، متخلفين، همجيين،

متعصبين، لا متسامحين! بل "ظلاميين" أعداء التقدم والعصرنة، والديمقراطية والنظام الجمهوري (الفرنسي!!)

النوع الثاني: على قلة عدده وندرة معدنه فقد بقي مرتبطا بواقع شعبه وأمته، محافظا على دينه ومقومات هويته محبا للغته الوطنية (رغم جهله لها) وهذا النوع النادر من الوطنيين لم يزده تعلم الفرنسية إلا كرها للاستعمار وتصميما على مكافحته، وقد استعمل اللغة الفرنسية في ذلك الكفاح مجرد وسيلة بالفعل (في ظل حرمانهم الجائر من لغتهم القومية تعلما وتعبيرا).

وأورد هنا هذه الرسالة الخطية المترجمة عن اللغة الفرنسية بعث بها العقيد المجاهد عمرو أو عمران من استوكهولم (السويد) في 1958/12/09 إلى المجاهد الهادي المشيرقي رئيس لجنة مناصرة الشعب الجزائري أثناء الثورة (بليبيا الشقيقة) نقلا عن كتابه (قصتي مع ثورة المليون شهيد- دار الأمة الجزائر 2000م):

الأخ العزيز الهادي ... "فكرت أن أحكي لك عن أخباري حتى أطمئنك أولا..ثم لأحييك بالرغم من المسافة البعيدة التي تفصل بيننا وبين إخوتنا الليبيين والذين برهنوا لنا أمام الله وأمام التاريخ على تأييدهم القوي للقضية الجزائرية أولا.. وعلى روحهم الوطنية تجاه بلدهم وتجاه إخوتهم العرب بالرغم من الصعوبات الكبيرة التي تواجههم .. وإني لأكتب لك الآن بالفرنسية ليس حبا فيها .. لكنك تعلم أني لا أقدر على الكتابة باللغة العربية .. وهذا ليس خطئي بل تأثير امبريالي عميق الأثر.. وربما يأتي اليوم الذي نتعلم فيه لغتنا العربية العزيزة .. واليوم يبدو الأمر صعبا إذا أضفنا المشاغل الزائفة الأخرى التي تأخذ من وقتنا واهتمامنا .. وإنني فخور جدا لأنني وجدتك أخا صادقا بالقلب لا باللسان.."

شتان بين هذا الطراز النادر من الوطنيين الذين كانت ألسنتهم وأقلامهم الفرنسية ترجمانا صادقا عن مشاعرهم العربية والوطنية النابضة، وقد استشهد منهم من كتبت له الشهادة، وبقي منهم من بقي صامدا مجاهدا يحارب المستعمر بلغته في المجال السياسي والفكري دفاعا عن مقومات الأمة وثوابت هويتها وفاء بالعهد وإنجازا للوعد، واستمرارا في الجهاد الصادق تحقيقا للاستقلال الأكبر... شتان بين أصحاب هذه الإرادة الفذة والوعي الوطني الرفيع ... وبين المغالطين والخونة الذين يتخذون من اللغة الفرنسية غاية في ذاتها لإذلال شعبهم، تملقا لأسيادهم، وادعاء كاذبا على التاريخ الحي للأمة والوطن!!

وعن علاقة اللغة العربية بالإسلام والثقافة الوطنية في الجزائر يقول الأستاذ مولود قاسم في مقابلته مع صحيفة "الجزائر الأحداث" الآنفة الذكر: " إن اللغة العربية والإسلام كل واحد لا يتجزأ، ولكون اللغة العربية لغة القرآن فإن لها روحا خاصة بها، و"فيخته" يقول: "إن اللغة ليست مجرد أداة فهي ذلك النهر الغزير، إنها رابطة قوية بين عناصر الأمة الواحدة، إنها الرابطة الروحية والفكرية... إن اللغة واحدة من مكونات شخصية كل أمة، ولكنها تعبر عن المكونات الأخرى ... فالإسلام بالنسبة لنا ليس ذلك الطابع الأخلاقي اللاهوتي فقط، بل هو الدولة هو ثقافة وحضارة تربطنا ببلاد أخرى، إنه حضارة من أعظم الحضارات، والعربية المرتبة به عضويا ليست هي التي تؤخر، بل إن من يتحدثون بها هم المتأخرون، فالإسلام دين ديناميكي والعربية هي المعبر الأساسي عن هذا الدين".

وهذا الكلام تقره أحدث الأبحاث العلمية التي قام بها متخصصون في العديد من مراكز البحوث والجامعات في العالم، حيث أثبتوا أن الثقافة تتضمن، فيما تتضمنه من محتويات، الجانب الفكري والمعنوي في الإنسان، ومن ثم فإن علاقتها باللغة تصبح أكثر من عضوية، كما أن اللغة ليست مجرد أداة فقط للتفاهم بين الناس كما يظن بعض الجهلة. وإنما هي الوسيلة المثلى التي تمكن الإنسان من أن يتجاوز وجوده البدني والمادي إلى وجوده الفكري، وهي التي تنقل له أفكار الأجيال السابقة وتراثهم، لأنها هي الوسيلة الوحيدة التي تسجل تلك الأفكار وتحفظها بأمانة له، ليطلع عليها ويضيف إليها وتبقى الفكرة ككرة الثلج التي تزداد كبرا كلما ازدادت تدحرجا.

ولولا اللغة التي بواسطتها تتصل أفكار الأجيال بعضها ببعض لضاعت أفكار البشر منذ الخليقة وتجددت الحياة البدائية للجماعات جيلا بعد جيل، وهنا نلمس علاقة اللغة بالتاريخ والثقافة معا كما يقول الأستاذ مولود ...

ويمكن الجزم أيضا بأن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل الأفكار فحسب، وإنما هي ذات ارتباط وثيق بالأفكار التي تنقلها، وذات تأثير فيها، وتأثر بها، وكل لغة تحمل أفكارا ومعاني وأحاسيس لا تدرك إلا بتلك اللغة.

وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير الكاتب الوطني الجزائري المرحوم مالك حداد الذي توقف عن الكتابة باللغة الفرنسية قائلا مأثورته الخالدة : " بأنه يشعر أنه منفي بأفكاره وأحاسيسه العربية في اللغة الفرنسية التي لا تعبر عنها ... " !!

كمـــا يؤكـــد ذلك الفيلسوف الألماني "فيختة" بقوله : "إن اللغة تؤثر في الشعب الذي يـــتحدث بها تأثيرا لا حد له، يمتد إلى تفكيره وإرادته وعواطفه وتصوراته، وإلى أعماق أعماقه، وإن جميع تصرفاته تصبح مشروطة بهذا التأثير ومتكيفة به".

والملاحظ أن كل الأدوار والوظائف التي تقوم بها اللغة في المجتمع نجد لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالثقافة.

فالعناصـــر المعنوية كالدين والتاريخ والقانون والآداب، لا تعرف إلا باللغة وفي اللغة، وكذلك العناصر المادية لها علاقة باللغة لأن هذه العناصر المادية في حقيقة الأمر هي عناصر فكرية مجسدة في أعمال، أي قبل أن تكون أشياء ملموسة كانت أفكارا، ومن ثم كانت لها علاقة باللغة، وباعتبار أن الثقافة ملازمة للمجتمع ... فإنها أيضا ملازمة للغة، لأن اللغة هي الأخرى لا تكون إلا في المجتمع، ويستحيل وجود مجتمع بدون لغة تربط بين أفراده ...

وتظهـــر العلاقة التكاملية بين اللغة والثقافة في أن الثقافة تساعد على تطوير اللغة وإثرائها والتأثير فيها – سلبا أو إيجابا – بما تحققه من اختراع في جوانبها المادية وسمو في الإنتاج الفلسفي والفكري والأدبي، وما لذلك الإنتاج الثقافي (المادي، والمعنوي) من أثر في إغـــناء اللغـــة بالمفردات والمعاني السامية والمضامين التي تزيد اللغة ثراء وقوة. كما أن نضـــوب معـــين الثقافة وتوقفها عن الاختراع المادي والإنتاج الفكري يؤدي حتما إلى وقوف تطور اللغة في الدلالات والمعاني، ويضيق أفق اللغة وتعجز عن التعبير عن الأشياء المستحدثة التي لم يكن لثقافة تلك اللغة فضل في اختراعها.

ونظرا لأن ثقافات المجتمعات والأمم يختلف بعضها عن بعض في القيم، كما قال الأستاذ مولود، فإن كل لغة تحمل للسامع معاني تثير في نفسه انفعالات تختلف لدى أفراد المجـــتمع الذين يتحدثون تلك اللغة عنه لدى أفراد مجتمع آخر غريب عنها، ذلك أن اللغة تحمـــل مضـــامين فكرية وشحنات انفعالية تترك في السامعين آثارا مختلفة، ويؤكد هذه الحقـــيقة العلمية الفيلسوف العربي الدكتور زكي نجيب محمود بقوله : " اللغة هي نفوس أصحابها وقلوبهم، وعقولهم جميعا، هي مرآة حياتهم في ظاهرها وفي باطنها معا، إنه لولا اللغة لاندرج الإنسان مع الحيوان الأعجم في عالم البكم، وإذا لم تكن للإنسان لغته فماذا يكشـــف عن حقيقته حيا ناطقا عاقلا عالما شاعرا ؟ إنها هي حياة الفرد موصولا بأبنائه وأبناء أبنائه إلى ما شاء الله لأمة أن يمتد بها تاريخ ..." إلى أن يقول:

" اللغـــة هـــي الوسيلة الأولى لربط الصلة بين إنسان وإنسان آخر، يعاصره، أو يســـبقه، في الـــزمن أو يلحق به، فإذا كنا نريد للعربي اليوم أن يكون موصول الوجدان بالعربي الذي مضى، فإن أهم ما يحقق تلك الصلة هو اللغة المشتركة بينهما".

ولتنبيه الغافلين وهز نفوس الجامدين وفضح المتخاذلين وهداية المسترشدين الضالين يقول الأســـتاذ مولـــود قاسم في مقابلة له مع مجلة "الجزائرية" (عدد 130) : " نحن نعلم من الدراســـات النفســـية والسوسيولوجية، ومن تجربتنا الشخصية اليومية، أن المنحدر دائما أسهل وأن الصعود يكلف نوعا من العناء والتعب وبذل الجهد ...

آن الأوان لتحطيم هذا الحاجز السيكولوجي والتخلص من هذه العقدة، للانطلاق إلى العمـــل بلغتنا الوطنية والعودة بها إلى الوضع الطبيعي كسائر البلدان ذات الأوضاع الطبيعـــية، ويكفـــيني أن أذكر لكم آخر تجربتين في نقطتين من العالم مرتبطتين بنا بصفة مباشرة، وإن كان هذا الارتباط مع الأسف سلبيا في كليهما.

النقطة الأولى: هي فرنسا التي، وإن لم يسبق لها أن تعرضت في تاريخها الطويل لأية محاولة مســـخ للغـــتها وثقافتها، نجدها اليوم تحرص كل الحرص على تعزيز موقع لغتها، وعلى ضـــمان الحصانة لها، وتأكيد مناعتها أمام هجوم الاصطلاحات الأنجلو-أمريكية عليها، ولهذا نجد رئيس الجمهورية الفرنسية الحالي (فرانسوا متران) يؤكد على التدابير التي كان قـــد اتخذهـــا أسلافه السابقون، فينشئ في 1984/03/12 ثلاثة مجالس عليا لحماية اللغة الفرنسية وهي: المجلس الأعلى للفرانكوفونية ويرأسه هو نفسه، أما المجلسان الثاني والثالث فهما: المندوبية السامية للغة الفرنسية والمجلس الاستشاري للغة الفرنسية ... وعندما طرح مشروع المرسوم للمناقشة في البرلمان الفرنسي، انتقد الوزير الفرنسي الأول (جاك شيراك) "صيغة حسن الاستعمـــال" وهي (le bon usage) وقـــال عن الصيغة اللائقـــة هي (le belle usage)، أي الاستعمال الفصيح البليغ الجميل ...

ونحـــن لا نطلب من أنفسنا الاستعمال الجميل للغتنا الوطنية في هذه المرحلة ولا حتى الاستعمال الحسن، بل مجرد الاستعمال لا غير وهذا أضعف الإيمان!

والنقطة الثانية : المثل الصهيوني ، فالصهاينة الذين توافدوا إلى فلسطين المحتلة من القارات الخمـــس، بعثوا اللغة العبرية من القبر، وهي التي ماتت منذ ما يقرب من 2000 سنة ... فقـــرروا أن يحيوها وقد أحيوها بالفعل، فأصبحوا لا يشتغلون بها في الإدارة فحسب بل يدرسون بها حتى أحدث العلوم في معهد وايزمان للذرة، في فلسطين المحتلة، وعندمـــا

تعوزهـــم الاصـــطلاحات التقنية الدقيقة يرجعون إلى اللغة العربية ليشتقوا منها ألفاظا عصرية ...

فإذا كان أعداؤنا يعمدون إلى لغتنا فكيف نقول نحن أهلها أنها متخلفة، متجمدة، لا تصـــلح للعصر. هذا أغرب الأمور، ويدخل ربما في عداد كتاب أبي زكريا القزويني " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات !؟"

وعن علاقة اللغة بالسيادة يضيف الأستاذ في المجلة نفسها، مجيبا عن سؤال حول الموضـــوع: " أغـــرب ما نصادفه في جولاتنا الميدانية عبر كافة ولايات الوطن أن بعض المؤسســـات الرسمية أو الخاصة تكتب اللافتات بالفرنسية فقط، أو بالفرنسية فوق اللغة الوطنية، ودائما ننبه برفق وليونة وشيء من المزاح الخفيف ويحل المشكل بإزالة تلك المناظر الـــتي تلطـــخ وجهنا، والعودة بها إلى الوضع الطبيعي، أي الكتابة باللغة الوطنية فقط في الأمـــاكن الـــتي لايسمح بالكتابة فيها باللغة الأجنبية أو الكتابة بهذه الأخيرة تحت اللغة الوطنية أو بعدها في الأماكن التي ينص القانون (المرسوم الرئاسي) على جواز الكتابة فيها بلغـــة أو لغـــات أجنبـــية، ولكن في كل الحالات تكتب هذه اللغات بعد أو تحت اللغة الوطنية".

وفي هذا السياق من الحديث عن اللغة والسيادة، وكشاهد مرافق له أروي هذه الحادثة للتاريخ بالمناسبة: فقد حدث سنة 1984 عندما كنا نقوم بزيارات ميدانية تفقدية لمختلف ولايات الوطن في إطار مراقبة تطبيق برامج تعميم استعمال اللغة الوطنية في ذلك الوقت (هو بصفته مسؤولا عن المجلس الأعلى للغة الوطنية برئاسة الجمهورية وأنا بصفتي مستشارا مكلفا بهذه المهمة لدى وزارة الداخلية ...)، وذات مرة عندما كنا نقوم بزيارة لإحـــدى الولايـــات (وهي ولاية بسكرة الحالية) لاحظت فوق مدخل المطار العسكري الـــذي حطـــت بنا الطائرة فيه، لافتة كبيرة مكتوبا عليها بأحرف بارزة باللغة الفرنسية وتحـــتها اسم المؤسسة بالأحرف العربية (التي كان دستور الدولة الجزائرية وما يزال ينص على أنها اللغة الوطنية والرسمية !!".

فلفت نظره إلى هذا المنظر المؤذي حقا لكل من يعرف قيمة التضحيات من أجل الاستقلال الوطني الحقيقي أو يعرف قيمة ومعنى السيادة الوطنيـــة في أبجديتها الأولى ...

فنظر الأستاذ إلى اللافتة باستغراب وبعد لحظة من الوجوم (والاحتراق الداخلي) أمسك المسؤول المحلي الكبير الذي كان في استقبالنا من يده وقال له : انظر المأساة ! انظر المهزلة مشيرا بيده إلى اللافتة، فنظر صاحبنا بكل اندهاش وتعجب دون أن يفهم شيئا! فقال له الأستاذ مولود وبنبرته المعروفة: " ألا ترى الخزي والعار!؟ ألا ترى المهزلة والمأساة !؟ ألا ترى الفسخ والمسخ والنسخ ...؟" فقال له المسؤول الكبير في استغراب: لم أفهم ما تريد! فأجاب الأستاذ: ألا ترى وضع هذه اللافتة المخزية... !؟ فقال له: نعم إني أرى اللافتة ولكن لا ألاحظ فيها أي شيء غير طبيعي! فقال له الأستاذ بلهجة حادة وصوت مرتفع: ألا ترى وضع السيادة الوطنية في اللافتة ؟ فأجاب المسؤول معلقا على ذلك بقوله: لا أرى أي عيب في ذلك، فلغتنا نعتز بها جميعا ولا يهم أين تكتب من فوق أو من تحت، فهذه مسألة شكلية والأمر سيان أن تكتب العربية من فوق أو من تحت، فنحن نحب لغتنا وليس عندنا عقدة !! وهنا عاجله الأستاذ ببداهته المعهودة وكلماته الرصاصية المخترقة، قائلا له : "هل يستوي عندك الأمر عندما تكون أنت تحت الفرنسي، أو يكون الفرنسي تحتك ؟! فحينئذ فقط فهم المسؤول الكبير الدرس، وطأطأ رأسه، ووعدنا بتغيير كتابة اللافتة بما يتفق مع مواد الدستور والسيادة الوطنية !!

وعن ربطه بين ثورة أول نوفمبر واستكمال الاستقلال الوطني بتحقيق السيادة اللغوية وتطبيق الدستور في مادته الثالثة ... يقول في مقابلة له مع جريدة "النصر" بتاريخ 1986/11/01: " إن المجمع الجزائري للغة العربية هو أول نوفمبر ثان كما سميته في المجلس الشعبي الوطني بعد التصويت بالإجماع على القانون الذي أنشأ هذا المجلس (ويقصد هنا قانون استعمال اللغة العربية المغبون والمقهور ثم المقبور بعد ذلك منذ يوم 07/05 من سنة 1992م حتى الآن)، قلت إنه أول نوفمبر ثان في المجال الثقافي، بل هو أول نوفمبر الأول في الواقع، لأننا نعود به من بعيد من المحو والذوبان والنسخ والفسخ والمسخ إلى الذاتية والهوية إلى أن نكون نحن أنفسنا".

والأهداف الواردة في البيان فيما يخص الجانب المتعلق بالثقافة والهوية واللغة التي هي أساس التميز والاختلاف عن العدو الدخيل دينا ولسانا، وأساس المطالبة بالاستقلال عنه، وكسب القضية ضده في المحافل الدولية بالموازاة مع الملاحم العسكرية في الساحة الجهادية التي أعادت أمجاد بدر وأحد واليرموك وحطين والناصر صلاح الدين في العصور الذهبية لأمتنا الإسلامية الناطقة بالعربية!

فممـــا ورد في البـــيان الخالد الذي هو في متناول الجميع وبلغة واضحة يفهمها الصـــغير والكبير لا يشوبها أي إبهام ولا يلفها أي ظلام ، فهو بيان من حسن الحظ قاطع وصـــادع في عباراته التي لا تقبل أي تأويل أو تضليل، حيث يقول البيان حرفيا في هذا الخصوص:

الهدف :الاستقلال الوطني بواسطة :

1- إقامـــة الدولـــة الجزائـــرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية (أي غير الشيوعية وغير اللائكية) ولا سيادة بدون سيادة لغوية .

2- تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي العربي الإسلامي، ونلاحظ هنا الإعلان الصريح عن الانتماء الطبيعي والهوية الوطنية ذات الأصل الثقافي والبعد الجغرافي والطبيعي (العربي الإسلامي، وليس الإفريقي أو المتوسطي أو حتى النوميدي، فضلا عن الروماني أو اللاتيني أو "الفرنكوشوني") .

3-" احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني "، ونلاحظ بجلاء هنا عدم وجـــود كـــلمة "لغـــوي" في البند وهو ما يعني صراحة أن البيان النوفمبري الوحدوي والســـيادي يقر حرية الاعتقاد وتعدد الأديان داخل المجتمع الواحد ، كما هو شأن كل الـــبلاد الإسلامية في العالم، وكما يقره الإسلام ذاته ﴿لا إكراه في الدين﴾ (سورة البقرة، مـــن الآية 256)، ولكن البيان يرفض التعدد اللغوي الرسمي، لأنه هو الفيصل القاطع في السيادة وإن التلاعب فيه أو التلاعب به سيؤدي حتما إلى ما لا يقبل التعدد على الإطلاق ألا وهو الهوية، لأن الإنسان الجزائري وأي مواطن عربي في أي قطر من المحيط إلى الخليج لا يمكن أن يكون عربيا وغير عربي في الوقت ذاته، أو يكون عربيا مسلما في نوفمبر تحت الاحتلال ويصبح غير ذلك في زمن الردة و "الاستحلال" وخيانة البيان في أهم بنوده كما هو واقع الحال.

4- وتفاديا لاحتمال المستقبل "الغدار" والمتقلب الأطوار، نجد البيان وبحس وطني منقطع النظير يستشف من وراء السنين ما يدور في أيامنا هذه من محاولة التلاعب بأسس الكيان والهوية الثقافية والانتماء الأصيل لغير هوية الأمة المحمدية ... فيقول محرروه في أحد بنوده مطالبين فرنسا حرفيا: ((بالاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ملغية بذلك كل القرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري)).

وهـــذا الرفض القاطع من البيان معناه صراحة أن للجزائر هوية وشخصية متميزة تـــتكامل فيها كل المقومات التاريخية والجغرافية واللغوية والدينية والثقافية التي تجعلها غير فرنســـية وتمد بالتالي أبناءها المخلصين بمشروعية المطالبة بالاستقلال وإفحام ساسة فرنسا بالحجج الدامغة في المحافل الدولية، وإذا لم تكن لغة الشعب الجزائري هي اللغة الفرنسية ، كمـــا ينص البيان، و لم يكن دينه هو المسيحية كما ينص البيان أيضا، فما هو بديل هذه اللغـــة وبديـــل هذا الدين غير العربية والإسلام المؤكدين في البندين (1 و 2 المذكورين سابقا).

وإذا قال بعضهم إن اللغة المقصودة في البيان ليست العربية لتحيلهم على نص نشيد فـــداء الجزائر لحزب الشعب الجزائري الذي ينتمي إليه كل مفجري ثورة نوفمبر الخالدة والقـــائل في أحد مقاطعه : " فلتحي الجزائر مثل الهلال، ولتحي فيها العربية "، ويجسده شعاره الخالد المطبوع على بطاقات انخراط المناضلين في كافة أنحاء الوطن وهو " الإسلام ديـــنـــا ، الجزائـــر وطـــنـــا ، العربية لغتنا ". وهو الشعار ذاته الذي كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد وضعته عند تأسيسها سنة 1931م وهو ما يثبت وحدة الهدف لكل الوطنيين مع اختلاف الوسائل والبدائل حسب المراحل.

وزيادة على ذلك فهل يعقل أن نكون عربا بدون عربية ومسلمين بدون إسلام؟؟ وبعبارة أوضـــح وأفصح، فهل يمكن لفرنسا أن تكون فرنسية بالألمانية أو الإنكليزية ؟ أو تكون إسبانيا أسبانية بالعربية التي لم تتخذها "غنيمة حرب" بعد انهزام المسلمين في الأندلس إثر سقوط غرناطة سنة 1492م، وقد كانت اللغة العربية هي اللغة الأولى في العالم بأسره في ذلك الوقت مثل اللغة الإنكليزية اليوم.

وعن مقومات هذه الشخصية التي يتحدث عنها البيان، يقول الأستاذ مولود قاسم في كتابه "إنية وأصالة": ((أما مكونات هذه الشخصية، أما أركان هذه الأصالة، التي تمثل التضـــحية مـــن أجلها ما سميناه بالأصالة ،فهي اللغة، والدين، والتاريخ، وحب الوطن، والـــثقافة المتأصلة، والتقاليد وذكريات الأجداد، التي يخلدها التاريخ الضارب بجذوره في أعمـــال الدهر، والباسقة فروعه إلى عنان السماء، الممتد بساطه عبر السهول، والوديان، والجـــبال، والصـــحاري، والوهاد، والأنجاد، التي هي كلها السجلات الخالدة للأجداد الأمجاد.

فإذا ما ظهر لك أن الحياة ستحلو لك بنفس الدرجة، أو يكون مذاقها مرا بنفس الدرجة، تواجدت في نفس الظروف في بلدك أو في أي بلد آخر من العالم، فليست لديك إذن تلك الأحاسيس التي تطرب لها الروح، وينتشي بها العقل، مهما كان عقلانيا.

وإذا لم يكن لديك استعداد، إذا ما نال منال من ركن من أركان شخصيتك، ومكون من مكونات ذاتيتك، وعنصر من عناصر إنيتك وأصاليتك، أو لحق مساس باسم بلدك، مولد أبيك وولدك، ولم تثر إنسانيتك أو آدمك، ولم يستنكر عقلك ويفر دمك؛ ولم يجند العقل والروح إذ يغلي، ولم يتملكه الغضب المشروع ليملي، فأنت ليس لك إذن من آدم حظ، ولأنت إذن حيوان فظ، غليظ القلب والسلبي الأناني، ولست من النوع الإنساني!".

فإذا لم تأخذك تلك القشعريرة الرهيبة عند مغادرة وطنك لمدة، مختارا، وخاصة مضطرا؛ وإذا لم تساورك عيناك بذرف قطيرات من ماء الحياة والموت: دموع التأثر، حسب المناسبة عند المغادرة، أو العودة أو أثناء الغربة، من فرح أو ترح، كمثل تلك القشعريرة التي أخذت الرسول صلى الله عليه وسلم عند مغادرة مكة مهاجرا، أي مضطرا، وإذا لم تطرب وأنت في الغربة عند العثور على صوت بلدك في الإذاعة، أو سماع لغتك في شارع، أو رؤية اسمه في جريدة أو كتاب، فأنت ليست فيك إذن قطرة من حب الوطن ولا من وطنية . وليست فيك أدنى رائحة ولا أريحية إنسانية، وإنما تعيش كأنهم حيوان، بل أنت أضل!"

وعن اللغة والدين وحب الوطن والتضحية في سبيلهما يقول في الكتاب ذاته ((إني بلغتي التي كانت تناغيني بها أمي، وتقص لي بها القصص جدتي، ويتفاهم بها جميع سكان قريتي، أو حيي في بلدتي أو مدينتي، وأتناغم بها مع أبناء وطني، وأتناجى بها مع أبناء وطني، وأتناجى بها مع آبائي وأسلافي، وأقرأ بها تاريخ وأمجاد أمتي، ومنقوشة بها جدران وصخور بلادي، ألقنها أولاد أولادي، وأبلغ بها رسالتي إلى أندادي، وأفاخر بها أضدادي.

إني بديني الذي تربطني روحانياته وعقلانيته بالمولى، وبأهلي، ووطني، وبأمتي، وبالإنسانية كإنسان. وإني لبتراث أمتي هذه، مرتبط بتقاليدها ليس فقط كإنسان أي حيوان مفكر، ولكن أيضا كعضو حي مثل أي عصفور مرتبط بسربه متعلق بنوعه : وحدة مستقلة وفي الوقت نفسه جزء لا يتجزأ من كل)).

ويضيف قوله : " لقد كتب جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في جريدتهما (العروة الوثقى) أن الخائن ليس فقط الذي يبيع وطنه وإنما هو ذلك الذي في استطاعته أن يفعل شيئا لصالحه و لم يفعل".

وقال (فيخته) قبلهما بقرن بعد أن تكلم عن اللغة والدين والتاريخ: " إن الوطني هو الذي يعمل على تحقيق هدف الإنسانية قبل كل شيء في أمته الذي هو عضو منها، إن الوطن خالد وأن الذي لا يحب وطنه ليس له وطن، وإني لأرثي كل الرثاء لمن لا وطن له".

فالأمم إذن بشخصيتها، وبأصالتها، التي هي ضمان هذه الأصالة؛ إنها كذلك بالوعي بذاتها والشعور بنفسها، والاعتزاز بقيمتها، والتمسك بما يميزها عن غيرها: تلك هي أصالة الأمم التي تمثل في الوقت نفسه أثرها وثراءها وإسهامها في المجهود الحضاري والفكري البشري المشترك.

وإن مجرد القول أو القبول بالتبعية في أي ميدان كان، وبالانفصال عن القيم، والتهاون في تعزيز مكونات تلك الشخصية، وعدم العض بالنواجذ على عناصرها، والاسترخاء في التشبث بمقوماتها، التي هي اللغة والدين والتاريخ لغرس حب الوطن ... أقول إن مجرد التهاون في التشبث بهذا كله لهو ذوبان الشخصية، بل وأكثر من هذا كله إنه موات الأنا فضلا عن الإنية، إنه انفصام الشخصية !!).

وقد عبر عن ذلك الأستاذ مولود قاسم أحسن تعبير، كما رأينا، وهو نفسه ما كان قد استشرفه قادتنا الروحيون وعلماؤنا الوطنيون المستنيرون، حيث كان قد صاح ابن باديس ورفاقه منذ أكثر من نصف قرن، بهذا الخصوص:

فجاء على لسانه تنويها بروح الأمة ودفاعا عنها، مثل مولود قاسم، قوله: ((اللغة العربية هي الرابطة بين ماضي الجزائر المجيد، وحاضرها الأخر، ومستقبلها السعيد، وهي لغة الدين والجنسية والقومية ولغة الوطنية المغروسة)) (عن جريدة البصائر عدد 22 يونيو 1939). وجاء على لسان الشيخ البشير الإبراهيمي الشيء الكثير، نذكره هنا هذا الموقف الشامخ وهذا الدفاع المستميت عن اللغة العربية والصحافة الوطنية الناطقة بها في وجه إدارة الاحتلال في ذلك الوقت، وهو كـــلام ينطبق بكيفيـــة عجيبة على الصحافة

العربية في جزائر اليوم، وكأن شيئا لم يتغير في البلاد منذ الثلاثينيات (...) ونترك الكلام للشيخ الذي استشف هذه الاستمرارية العجيبة في "الاستحلال" فيقول: ((جاهدت هذه الأمة في سبيل لغتها جهادا متواصلا..كان من ثمرات النصر فيه هذه النهضة التعليمية التي ولـــدت الكتاب والشعراء والخطباء والوعاظ، وهي نهضة لم تعتمد الأمة فيها إلا على ما في نفسها من حيوية موروثة، ولم تلتمس فيها عونا من أجنبي، بل لم تلق من الأجنبي إلا المعارضة الحادة والتثبيط القاتل، وكان من نتائج هذه النهضة إلحاح الأمة في المطالبة بمظهر سياســـي وطني للغتها، وهي أن تكون رسمية في المدارس والدواوين والأقلام والأحكام، وأن يعترف لها بمكانتها في وطنها، وأن تمحي عنها تلك الوصمة التي لم تسب لغة بأشنع منها، وهي "أنها أجنبية في دارها")) (أنظر آثار البشير الإبراهيمي).

كمـــا جـــاء ما يدعم هذا القول أيضا على لسان الشيخ محمد خير الدين حيث يقول:" تسن القوانين لصالح الأقلية ولا يحسب للأكثرية أدنى حساب. يمتهن شعب كامل ويرمي به في بحر لجي من الفقر والمرض والجهل، فلا يراعى مستقبله ومستقبل أبنائه..." (عن كتاب حوليات الثقافة العربية لساطع الحصري، المجلد الثاني، ص 569-570).

ويؤكده كذلك ما جاء على لسان الكاتب والمؤرخ الكبير توفيق المدني في مقال لـــه بعنوان (بين الموت والحياة) حيث يستكشف لنا الغيب هو كذلك وكأنه ينادينا من قبره اليوم دفاعا عن قانون اللغة العربية المقبور، وقانون الأسرة المسلمة المبتور والمقهور في جزائـــر العبور والقبور اليوم، نكاية في مبادئ ثورة نوفمبر الظافرة التي كادت أن تحولها الخيانة المقنعة اليوم إلى سحابة صيف عابرة. فيقول هذا المجاهد الكبير منذ 77 سنة وكأنه يخاطبنا اليوم من تحت قبة البرلمان بكل شجاعة وإيمان وإتقان: " فالمسألة الموضوعة أمامنا الآن هـــي مسألة المحافظة على الإسلام والعربية، وهذه المحافظة هي البرنامج الوحيد الذي يجب أن يكون برنامج الجزائر بأسرها في حاضرها ومستقبلها...ثم يقول ... وكأن الجزائر اليوم غير شاعرة بتلك الحقيقة الرهيبة القاسية التي تراها رأي الأعين أمامنا، كأنها ليست شاعرة بأن الإسلام في الجزائر سائر في طريق الموت، وكأنها ليست شاعرة بأن العربية في الجزائـــر ســـائرة في طريق الاضمحلال، وكأنها ليست شاعرة بأنها إن فقدت إسلامها وعربيـــتـــها فقـــدت كـــل شيء ولم تنـــل كـــل شيء (عن جريدة الإصلاح، عدد 27 فبراير 1930).

... والحقيقة التي يجب التأكيد عليها هنا هي أن الديمقراطية والتعددية السياسية إذا كانت مطلوبة وضرورية للتطبيق الديمقراطي الحقيقي (كما هو الشأن في كـــل الدول والأمم المتحضرة في العالم)، فإن التعددية اللغوية المفروضة مرفوضة من كل الأحزاب الوطنية الحقيقية في العالم، لأنها لا تستقيم مع أية وحدة منشودة للشعب والأمة !!

والدليل الوطني على ذلك أنه مثلما لا توجد دولة ذات علمين أو عملتين أو نشيدين وطنيين ... لا توجد أمة موحدة بلغتين متداولتين رسميا ووطنيا، وفرنسا (في فرنسا) أوضح نموذج وأمثل قدوة على ذلك! كما حدثنا عنها الأستاذ مولود قاسم (في النص المذكور آنفا)، حيث توجد بها عشرات اللهجات واللغات الإفريقية والآسيوية والأوروبية المختلفة المتداولة بين الأفراد محليا، أو في النطاق الأسري، أو الاجتماعي الضيق (بما فيها العربية والقبائلية والشلحية والشاوية والبروطونية والكورسيكية ...)، ولكن لا سيادة ولا استعمال لأية لغة في الإدارة أو أجهزة الإعلام الرسمية من غير ترجمة شفوية أو كتابية إلى اللغة الوطنية والرسمية هناك !!

ونعتقد أن السبب الأساسي الذي أدى ويؤدي إلى هذا الضعف الثقافي والانفصام في الشخصية، يعود إلى هذه التعمية والضبابية في الرؤية والنظر إلى مقومات الشخصية والهوية والمتمثلة في اعتماد الدولة حتى الآن لتلك التعددية والازدواجية في الخطاب وفي الواقع، والتي ستؤدي بالبلاد إلى عواقب وخيمة، عبر عنها الأستاذ مالك بن نبي في كتابه " مشكلة الثقافة في العالم الإسلامي" منذ ثلث قرن، حيث قال ما نصه : "... لقد أحدث الاستعمار العديد من الظواهر ومن بينها ظاهرة خاصة نتيجة للظواهر السابقة وهي ظاهرة الازدواج اللغوي التي تترك أثرها ومفعولها المباشر على الظواهر الثقافية الأخرى في البلاد، ونذكر نموذجين للازدواج اللغوي تركه الاستعمار وما يزال قويا إلى الآن (1970) وأول هذه البلدان مصر: حيث اللغة الانجليزية تؤثر وتستحوذ على ميدان حي من الميدان الفكري في المجال حيث تدرس العديد من المواد العلمية بها، غير أن هذه الازدواجية لا نجد لها أثرا إلا في المجال الفكري العالي والثقافة الراقية لطبقة عليا في المجتمع ... والبلد الثاني الذي يعيش الآن ازدواجية لا مثيل لها في العالم هي الجزائر. حيث أنها لم تتوقف عند حد المجال الفكري الجامعي وإنما امتدت إلى كل المجالات الحيوية الأخرى والحياة اليومية للمجتمع، والازدواج هنا أخطر بكثير لأنه ازدواج شعبي على مستوى القاعدة العريضة للمجتمع".

وللذيـــن يعترضـــون من أصحاب " غنيمة الحرب" على هذه الأحكام بحجة أن المصلحة العليا للأمة والوطن تفرض التطور والانفتاح على اللغات ... إلخ.

نقـــول إن هذا الكلام الذي لا يرفضه مبدئيا إلا ساذج، ولا يقبله دون مناقشة أيضا إلا ســـاذج أو جـــاهل أو متواطئ ... يذكرني بشعار "دوبورمون" الذي رفعه بعد "حادثة المـــروحة" مع الداي حسين والذي يفيد بأنه أتى بجيوشه لإضاءة كهوفنا الإفريقية بأنوار فرنســـا "التحضيرية" في إطار المصلحة المشتركة للراكب والمركوب معا ! وهنا لابد أن أتوقـــف عـــند الشطر أو الجزء الأول من حجة الاعتراض ألا وهو "المصلحة العليا للأمة والوطن"، وهو الشعار الذي ذهب ضحيته عشرات الآلاف من الجزائريين الأبرياء في هذا الوطن في العقود الأخيرة... !!

لاشـــك أن لكـــل كائن حي عاقل في هذا الوجود مصلحة، سواء كانت هذه المصـــلحة خاصـــة أو عامة، فردية أو جماعية، دنيوية أو أخروية، عليا أو دنيا، وطنية أو "استحلالية".

ومثلما توجد المصالح المتنوعة توجد أيضا أشكال مختلفة من التضحيات بالمصالح الجماعـــية والعامـــة، أو التضحية بالمصالح العليا للوطن والأمة من أجل المصالح الفردية والفئوية والمخططات الاستعمارية الجديدة ... وعلى هذا الأساس فإن للشهداء والمجاهدين والوطنيين، وحتى المواطنين العاديين مصالح وتضحيات ... وكذلك للاستعمار والعملاء والخونة الكبار والصغار مصالح وتضحيات أيضا !! والعيب هنا ليس في وجود المصالح أو ارتباط كل فئة بمصلحتها والتضحية في سبيلها، ولكن الخطر الداهم الذي يمثل أشنع أنواع التـــزوير للواقـــع والتزييف للتاريخ هو قلب الأدوار رأسا على عقب، وانتحال صفات " المصـــالح الوطنـــية العليا" خبثا وغشا وخداعا ونفاقا، كمحاولة تغليف المصالح الفردية بالمصـــالح العامـــة، والمصالح الدنيا والدنيئة بالمصالح العليا، وتغليف مخططات الاستعمار بالعقلانية والموضوعية، وتغليف الخيانة بالوطنية، والعمالة بالعبقرية، والاستبداد بالأغلبية، والانقـــلاب بالانتخاب، وخدمة الفرنكفونية بالانفتاح على "اللغات" الأجنبية، وضرب الثوابت الوطنية بادعاء إصلاح المنظومة التربوية والقانونية (...).

فـــلماذا لا يقـــتدي هؤلاء المدعون لوطنية عندنا زورا وبهتانا، بتعامل الوطنيين الفرنسيين أنفسهم مع قوانين اللغة الفرنسية التي أشار إليها الأستاذ مولود قاسم، في نصه الآنف الذكر، أو الاقتداء كذلك بالتطبيق الصارم لقوانين اللغـــة العبريـــة في إسرائيل التي

ينتمي شعبها إلى أكثر من 120 قومية وجنسية أصلية، إلى يهود فرنسا وألمانيا وبولونيا والاتحاد السوفييتي سابقا ...) علما أن كل هؤلاء الأقوام لا يجمعهم تحت قبة الكنيست أو دواليب الإدارة والمحيط وأجهزة الإعلام والمؤسسات التعليمية والعلمية (من الحضانة حتى معهد وايزمان للدراسات الذرية ...) سوى اللغة العبرية الوطنية والرسمية الوحيدة المطبقة هناك بالفعل (ليس بالقول والنفاق) بحكم احترام مبدأ دولة القانون في هذا البلد الذي يوجد له مجلس أعلى للقضاء ومحكمة عليا تحميه وتعاقب (دون استثناء) كل المتلاعبين به ابتداء من أبسط موظف إلى أعلى لواء في الجيش ورئيس الوزراء، بل ورئيس الدولة العبرية ذاته !!

فهذا هو معنى السيادة الحقيقية والهوية الثقافية المرتبة أساسا باللغة الوطنية والرسمية. فلماذا إذن لا يقتدي دعاة الوطنية المظلومة والانفتاح على اللغات الأجنبية عندنا بفرنسا ذاتها أو إسرائيل (النموذج الديمقراطي والتكنولوجي الحي والوحيد في عالمنا العربي)، فضلا عن اليابان وألمانيا الرائدتين في هذا الخصوص، دون تخلف عن الركب الحضاري والتكنولوجي للدول المتقدمة، كما يدعي خطباء وزعماء العولمة (المحلية والجهوية) و" غنيمة الحرب" عندنا في الجزائر !!

ولقد عبر عن هذا التضليل أو التدليس المدروس والمدسوس الأستاذ الدكتور أبو بكر سعد الله في مقال له حول إصلاح المنظومة التربوية المنشور في جريدة " الشروق اليومي" بتاريخ 2004/10/03، نورد منه حرفيا هذه الفقرة المؤكدة علميا ومنطقيا وحضاريا لما نحن بصدده من كشف التضليل والتحريف والتزييف للتاريخ والواقع، فيقول: " كان أصحاب التصحيح الثوري مدركين لضرورة الرقي باللغة العربية بعد الاستقلال باعتبارها ثابتا من الثوابت الوطنية، فعملوا على زحزحة تدريس اللغة الفرنسية تدريجيا في المدرسة الابتدائية حتى جعلوها تدرس ابتداء من السنة الرابعة، أما خبراء عهد "المصالح أو المصالحة الوطنية" فرأوا عكس ذلك، وجعلوا تدريس اللغة الفرنسية ينزل (بدون تدريج) من السنة الرابعة إلى السنة الثانية، وقاموا بذلك بعد إعداد مخطط على المقاس ظل سرا إلى اليوم سموه "إصلاح المنظومة التربوية" وما هو بإصلاح. كما أن خبراء هذه المنظومة في السابق كانوا يؤمنون بأنه لا تناقض بين تدريس الرياضيات والعلوم باللغة العربية لتحتل مكانتها بين اللغات العالمية الأخرى، وبين التفتح على العالم الخارجي، أما خبراء" المصالح أو المصالحة الوطنيـــة" فهم مقتنعون بأن العلة، كل العلة، في التعليم عندنا

تكمن في تدريس الرياضيات باستخدام الرموز العربية، وتكمن أيضا حسب دعواهم، في تدريس العلوم باللغة العربية.

وكأن اليابان ثاني دولة في المجالين الاقتصادي والتكنولوجي يدرس أطفاله وطلبته العلوم بلغة أخرى غير اليابانية ... بل تعليم اللغات الأجنبية باليابان يبدأ من سن 12 سنة. وهل إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وهولندا وبولندا وغيرها تدرس العلوم بغير لغاتها ؟!"

وهـــنا نقـــول لهؤلاء الذين ما فتئوا يرددون (جهلا أو تجاهلا واستخفافا بعقول الناس) ضرورة الانفتاح على اللغات الأجنبية وكأنهم "اكتشفوا البارود" : إن هناك فرقا جوهريا (كالفرق بين العلم والجهل والموت والحياة)، بين تعلم اللغات الحية وغير الحية، والتعليم باللغات الأجنبية في الجامعات الوطنية. ولا نتصور عاقلا واحدا يحب الخير لوطنه يرفض تعلم اللغات الأجنبية وإتقانها سواء من الناحية الدينية أو الثقافية أو الاجتماعية أو السياســـية والاقتصادية، ولكن في المقابل لا نتصور عاقلا واحدا يحب الخير لوطنه وأمته يقبل التعليم باللغات الأجنبية (...) على حساب اللغة الوطنية والسيادة الوطنية والإشعاع الحضاري للوطن بين الأوطان والأمم !!

فهـــناك فرق قاتل بين استعمال اللغات الأجنبية في مجال البحث والانفتاح على العالم الخارجي في عصر الفضاء والفضائيات، وطي المسافات بين الكواكب والقارات في لحظات، واستعمالها في قطاعات السيادة والإدارة والهوية والشخصية، كما أن هناك فرقا أيضا بين اللغة الأجنبية المفيدة والبريئة، والجرثومة الأجنبية المقيتة والمميتة، وأن هناك فرقا أيضـــا بين اللغة الأجنبية الضرورية واللغة الأجنبية الثانوية. فبالنسبة لعلاقة اللغة الأجنبية بالســـيادة الوطنية، يمكن أن نذكر أحسن مثال لذلك هو العملة الوطنية بالنسبة للعملات الأجنبية، مهما تكن هذه العملة أو تلك ضعيفة أو قوية !!

فمثـــلما لا نتصور دولة ذات سيادة محترمة في العالم تقبل رسميا بتداول العملات الأجنبية داخل التراب الوطني مباشرة دون تحويلها إلى العملة الوطنية، لا نتصور أيضا دولة في العـــالم تـــرفض- عند الاستطاعة — أن تكون خزانتها مليئة بشتى العملات الأجنبية الصعبة وغير الصعبة !

ومثـــلما تحـــدد الدول السيدة مجال الاستعمال للعملات الأجنبية داخل البلد في البنوك والمناطق الحرة، كذلك تحدد مجال استعمال اللغات الأجنبية في المخابر والجامعات والمناطق السياحية وغيرها ...

فبالنسبة لعلاقة اللغات الأجنبية بالبحث العلمي والتقدم التكنولوجي (حصان طروادة) عندنا، نقول إن البحث العلمي في مرحلة ما بعد التدرج، بقدر ما هو ضروري لكل دولة تطمح إلى أن توجد لها مكانا محترما بين الدول المتقدمة في العالم، بقدر ما لا يتأتى هذا البحث المتعمق بلغة أجنبية واحدة ووحيدة، ولذلك فمنطق الدولة المتحضرة في هذا المجال الحيوي يقتضي من ساستها (إن كان ينطبق عليهم مفهوم الوطنية كما آمن بها وطبقها الأستاذ مولود قاسم) أن ينتهجوا أسلوب النحلة الشغالة، فيوجهوا مجموعة من أبناء الوطن النابغين (وهم لا يتجاوزن نسبة 3% من مجموع أفراد المجتمع) إلى التخصص في اللغات الأجنبية الحية والمفيدة ليتولوا مهمة الترجمة والنقل من تلك اللغات المتقدمة تكنولوجيا (كل فيما تتميز به من مخترعات) إلى اللغة الوطنية للبلد والتي تصر دائما وأبدا على أن تكون هي وحدها لغة التعليم أو التحصيل داخل الوطن، مثل فرنسا في فرنسا، وألمانيا في ألمانيا، واليابان في اليابان، والصين في الصين، وأنجليترا في أنجليترا، وإسرائيل في إسرائيل، وكوريا في كوريا، وروسيا في روسيا ... وليست وحدها اللغة المتعلمة بطبيعة الحال كما ذكرنا، عملا بمقولة : ((لكل لسان إنسان))، وفي هذه الحالة لا يوجد حد (على المستوى الفردي) لإتقان أي عدد من اللغات الأجنبية (بعد اللغة الوطنية) إلا حد القدرة الذاتية للإنسان في حد ذاته التي لها حدود بشرية لا تتعداها !

ويمكن حصر المقاييس الوطنية والسيادية للتعامل باللغات الأجنبية فيما يلي :

1- أن يكون للغة الوطنية مكان الصدارة في الإدارة والحياة العامة، والاستعمال اليومي الشفهي والتحريري.

2 – أن تغرس المناهج التربوية في نفوس الناشئة حب الوطن، وحب اللغة الوطنية كمبدأ لا يقبل المساومة والنقاش، مثلها في ذلك مثل العلم الوطني والاستقلال والسيادة الوطنية.

3 – يفضل من يجيد اللغة الوطنية (عند الاختيار) على من يجيد اللغة الأجنبية، وذلك في الوظائف العامة، وفي معدّلات النقط التي تعطى للطلبة في الامتحانات، كأن يرتفع الحد الأدنى لعلامة الرسوب في اللغة الوطنية (كما هو الحال في ألمانيا مثلا)، ويلغى أو يخفض نسبيا الحد الأدنى للرسوب في اللغة الأجنبية الأولى.

4- أن يقتصر استعمال اللغة الأجنبية على المجال الدراسي والبحث العلمي، وتبعد اللغة الأجنبية من الاستعمال في الحياة العامة وفي الإدارة والإعلام والثقافة بكل فروعها (كما هو الحال في فرنسا مثلا)؛ فإذا توفرت هذه الشروط وروعيت بإخلاص، وطبقت بتزاهة

من طرف المعنيين بشؤون البلاد، فلن ينجم عن "الانفتاح" اللغوي وإتقان اللغات الأجنبية أي ضـــرر على السيادة الوطنية واللغة القومية، بل وعلى الاستقلال والوحدة الاجتماعية والسياسية للمجتمع على وجه العموم.

وإذا حـــبا الله المجـــتمع ببعض المتفوقين عقليا من ذوي القدرات اللغوية العالية، فيجب أن يستغلوا علميا، كالنحلات الشغالة لإنتاج العسل للجميع، بما ينقلونه من شتى اللغات الأجنبية عبر القارات إلى اللغة الوطنية ليمثلها الملايين من أفراد الشعب العاديين في المؤســـسات التعليمـــية والتكوينـــية باللغة الوطنية وحدها. وهنا نؤكد بأن الدراسات والبحوث العلمية والنفسية واللغوية (حتى في فرنسا ذاتها) أثبتت أن العلم لا يمكن أن يفهم وأن ينتشـــر إلا في نطاق اللغة الأصيلة أو " اللغة الأم" ... فالعلماء الكبار وحدهم هم الذين يحتاجون إلى اللغة الأجنبية لإتمام بحوثهم ودراساتهم، أما الذين دونهم فلا يدركون المعرفة العلمية إلا بلغتهم الأصلية... وخذ كوريا واليابان وفرنسا وألمانيا والصين وإسرائيل أمثلة حية على ذلك، بما لا يحتاج إلى مزيد من أي بيان أو برهان ناطق في الميدان!!

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن تجارب الدول والأمم المتطورة والمتحضرة هل يكون بالصـــعود إلى الأعـــلى وارتقاء المعالي وتحشم التضحيات كما كان شأننا مع الاستقلال السياســـي الـــذي لم يُعرف لتضحياتنا من أجله مثيل في التاريخ المعاصر؟... أم الاقتداء يكون بالهبوط إلى ما دون الحضيض بالدعوة إلى الإدمان على مصّ ضرع البقرة الفرنسية بـــالذات والتشـــبث بذيلها، والتبّرك بزبلها في منتهى الذلّ والتبّعية تحت غطاء الانفتاح و"المصلحة العليا"، نعم هي مصلحة عليا ولكن مصلحة من ؟!

ومثـــلما ربـــط الأستاذ مولود قاسم العربية والتعريب بالهوية في الماضي يربطها بالاستقلال والشخصية الوطنية في الحاضر والمستقبل: وفي ذلك يروي عنه أحد مساعديه المقربين (وهو الأستاذ المهدي القاسمي) شهادة ناطقة صادقة فيقول: (وإن أنس من الأيام فلا أنسى ذلك اليوم الذي كنت في توديعه بالقاعة الشرفية بمطار هواري بومدين الدولي وكان متوجها إلى قرطبة لحضور مؤتمر الحوار بين الحضارات ... وقبل دخولنا بهو القاعة اصطادت عيناه الثاقبتان أنامل موظف التشريفات وهي تنتقل من اليسار إلى اليمين فانطلق نحـــوه كالســـهم ليجد الموظف وقد سجل البيانات المتعلقة به على بطاقة الخروج باللغة الفرنســـية، فسحبها منه بشدة، ونهره قائلا : ((أبعد ثلاثين سنة من استعادة الاستقلال، مازلنا ندون أسماءنا وتواريخ ميلادنا وجنسيتنا باللغة الفرنسية ؟! أيتطلب ذلك تكنولوجية

عالية ليست في متناولنا ؟! وتوجه نحوي قائلا وقد بلغ به الغضب أشده : ((لن أسافر إلى إسبانيا، لقد عدلت عن السفر، ولن أغادر الجزائر ببطاقة كُتبت باللغة الفرنسية))، و لم ينتظر تعليقي بل توجه مسرعا نحو سيارته وهمّ بالركوب فلحقت به وقلت له: ((ولكن ياسي مولود لقد أخبرت المنظمين هناك في قرطبة بوصولكم وهم في استقبالكم...؟)) فأجاب على الفور: ((قل إننا مازلنا مستعمرين، قل لهم إن الجزائر لم تحصل على استقلالها بعد، سنحضر مؤتمراتكم عندما نستعيد استقلالنا)) (أنظر النص الكامل لشهادة الأستاذ المهدي القاسمي في كتابنا "مولود قاسم، حياة وآثار شهادات ومواقف" الصادر عن دار الأمة الجزائر 1993)..

وما قاله فعلا هو كلام صادق نقره عليه ونشاركه فيه، ونختم الحديث عن ذكراه العطرة بهذه الفقرة المأخوذة من مقدمة كتابه " إنيّة وأصالة " التي تعبر أصدق تعبير عن رأيه وتجربته، وفكره، وموقفه، من موضوع الهوية والسيادة الوطنية في الجزائر وحب الوطن، بكل أبعاده الراهنة والمستقبلية، حيث يقول بأوضح العبارات وأفصحها : ((إن الأمم بشخصيتها! إنها كذلك بالوعي بذاتها والشعور بنفسها، والاعتزاز بقيمها، والتمسك بما يميزها عن غيرها ... تلك هي أصالية الأمم التي تمثل في الوقت نفسه أثرها وثراءها وإسهامها في المجهود الحضاري والفكري البشري المشترك ...)).

وإن مجرد القول أو القبول بالتبعية في أي ميدان كان، وبالانفصال عن القيم، والتهاون في تعزيز مكونات تلك الشخصية، وعدم العض بالنواجذ على عناصرها، والاسترخاء في التشبث بمقوماتها، التي هي اللغة والدين والتاريخ لغرس حب الوطن ... أقول إن مجرد التهاون في التشبث بهذا كله لهو ذوبان الشخصية، بل وأكثر من هذا كله إنه موات الأنا فضلا عن الإنية، إنه انفصام الشخصية !!)).

تلك هي مكانة اللغة العربية كمقوم للاستقلال والسيادة والشخصية والوحدة الوطنية لدى الأستاذ مولود قاسم – رحمه الله – الذي غادرنا إلى دار البقاء منذ أكثر من عقد ونصف عقد، وفي نفسه شيء كثير من تلك الآمال المتعلقة بسيادة اللغة الوطنية التي أخذها معه إلى القبر وتركها لنا ذكرى وأمانة دون أن يسعد برؤيتها مجسدّة، ولو جزئيا، في الواقع الوطني المعيش، وهو ما يشعرنا أصلا بثقل المسؤولية المشتركة معه وطنيا والمتوارثة معه أيضا سياسيا وثقافيا بأن نكون جديرين بالوفاء للنهوض بهذه الأمانة الثقيلة والمهمة النبيلة، ولعل من علامات ذلك مبادرة الشرفاء الأوفياء من الزملاء والأصدقاء

لتنظـــيم مثل هذا الملتقى التكريمي ذي المستوى التنظيمي البديع والمحتوى العلمي الرفيع، للـــتفكر والتدبر في كيفية بعث تلك الآمال والأحلام ولو بالكلام، بالنسبة لمعشرنا نحن "المخربشـــين الذيـــن لا يملكون من وسائل التغيير سوى أساليب التعبير (بأوسط الإيمان وأضـــعفه) من باب الذكرى والتذكير وإرضاء الضمير، بصرف النظر عمّا قد يلوح في الأفـــق أو في آخـــر النفق من أية بارقة أمل في التغيير بالنسبة لهذا الموضوع الخطير الذي يـــتوقف عليه تقرير وبقاء وحدة المصير كما كان يريده، ويكافح من أجله فقيد الجزائر و((مولودها)) الكبير!؟

الجزائر في 07 ماي 2007

مولود قاسم: السمفونية العذبة العازفة دوما على النغم الوطني

أ.د. عبد الرزاق قسوم
جامعة الجزائر

في حياة فقيدنا مولود قاسم، جوانب متعددة، من الخصوبة والعظمة، مما جعل الحديث عن كل جانب منها مدرسة نموذجية تستحق التحليل والتعليل.

ففيها الجانب الإنساني بعلاقاته الاجتماعية، وانفعالاته العاطفية، وتفاعلاته المجتمعية، وهو هو جانب خصيب، ذو مواقف، فيها الدمعة والابتسامة، كما أنه على أهميته وقيمته يبقى من اختصاص أسرته، وأصدقائه، يوم يتحدثون عنه أو يكتبون ذكرياتهم أو مذكراتهم، فيسجلون لنا — ولاشك — نماذج إنسانية تستحق أن تتخذ قدوة في هذا الميدان الحيوي المفعم بالحب لشعب هو أحوج ما يكون اليوم إلى معاني وقيم الحب والتضامن، والتعاون، والتآخي.

ولكن في حياة فقيدنا جانب عظيم آخر، هو الجانب الفكري، العلمي، الثقافي، بكل مقوماته، وخصوصياته، وهو يعني الباحثين، ومحبي الثقافة والعلم، مما يجعل تناوله في ندوة لاتحاد الكتاب يحظى بالأولوية على باقي الجوانب.

غير أن هناك صعوبة منهجية يصطدم بها من يتصدى للبحث في هذا الجانب، جانب فكر مولودنا قاسم نايت بلقاسم، وتتمثل هذه الصعوبة في اتساع الشعب، وتعدد المجالات التي يحتويها هذا الفكر، ففي كل منحى من مناحي العظمة، ملتقى بمكونات علمه وثقافته، مما يذكرنا بحكمة بالغة للكاتب المبدع أحمد حسن الزيات، يقول فيها: هناك رجلان يربكان الكاتب إن هو حاول الكتابة عنهما، أحدهما الذي لا تجد فيه ما تقول، وثانيهما الذي لا تستطيع أن تختصر فيه ما يجب أن تقول، وهذه هي الصعوبة المنهجية التي واجهتني وأنا أهم بالحديث عن مولود قاسم.

ففقيدنا، شجرة للمعرفة، تعددت أغصانها، شامخة في الأعالي نحو الأفلاك، ضاربة الأصول في الأعماق، تلتقي كلها على ما سماه هو بالإنية والأصالة، فاستحق بذلك وصفه بالسمفونية العذبة، العازفة دوما على النغم الوطني، وفي ذلك يكمن كل معنى الأصالة.

إن الإنـــية والأصالة إبداع فكري وإيديولوجي انفرد به في العصر الحديث، فيما أعلم، مولود قاسم، وأضحى اليوم مذهبا يمكن وصفه بالمذهب الإنوي، والأصالوي، إن صح الاشتقاق..

وأولى خصوصيات هذا المذهب، الوفاء للسلف، لا بالمعنى السلفي الإيديولوجي، ولكن بمعناه العقلي والفلسفي أي التنقيب والحفر في ذاكرة الماضي وعظمائه، لانتفاعه بما لديهـــم مـــن كنوز، قابلة للإحياء والبعث لمعايشة عصرنا المتجدد بكل معطيات تطوره وتقدمه.

ومـــن هـــنا جاء مصطلح الإنية الذي انتقاه فقيدنا مولود قاسم من الفيلسوف المســـلم العظيم الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا في كتابه: " الإشارات والتنبيهات " الذي حلل فيه ثنائية الجسم، والنفس، فأثبت بأدلة فلسفية استقلالية النفس عن البدن قائلا: إنك عندما تشعر بإنيتك تقول إني، وإنيتك تلك المتميزة في وجودك الحقيقي...

وقديما قيل أيضا:

وأقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وحديثا جاء الكوجيتو الديكارتي لينطلق من هذه الإنية العقلية، حينما أكد على مقولة أنا أفكر إذا أنا موجود..

إن هذه الخاصية في المنهج الإنوي كما أسلفنا، تسلمنا أيضا إلى خاصية أخرى، هـــي خاصية الثقافة الموسوعية التي هي من خصائص منهج القدماء، والتي جسدها مولود قاســـم، فالموسوعية الثقافية تتجلى عند فقيدنا في جمعه بين ما يبدو نوعا من التضاد بين الفلسفة والفقه، أي بين العقل والنقل، وأيضا بين العربية والألمانية، والإنجليزية والفرنسية، وكلها أضداد لا تجتمع إلا في عقل مولود قاسم .

إضافة إلى ذلك خاصية الأصالة كقاعدة لكل معرفة، ولكن الأصالة التي لا تعني الجمود، والخمود، على حد مصطلحه، وإنما تعني الوقوف على نقطة صلبة ثابتة هي الماضي المجيد، وهي التاريخ المضيء، وهي الوطنية الثابتة، وكل ذلك في تعايش مع القيمة

الإنسانية بنبل أخلاقها، وسمو علمها، وشمولية تقنياتها للإعلاء من قيمة الإنسان، والإنسانية في غير ما تعصب، أو إقصاء، أو تمييز.

لذلك وجدنا في فكر مولود قاسم، التوجه العقلي الذي ينقذ الفكر من الضلال، فتجلى لنا ذلك في تكوينه الفلسفي، وهو ما يعني لونا منهجيا متميزا من ألوان المعرفة الإنسانية، ومما يعكس هذا التوجه، إشادته بمقولة الحرية كبعد إنساني لا يمكن إثبات التشخصن بدونه ... و من شدة تعلق فقيدنا بالمنهج العقلي، اختياره ضمن الأصالة لمدرسة المعتزلة لبحثه الجامعي المسجل في جامعة السوربون، ومفهوم الحرية بالذات عند المعتزلة.

هكـــذا نجده في كتابه " أصالة أم انفصالية"، و من خلال إحدى مداخلاته في الملـــتقى الثاني عشر للفكر الإسلامي بباتنة، يقول: أنا أحب التحديد، وحتى الحرية محددة والحـــرية محددة لدى المعتزلة، ولدى ديكارت، ولدى كانط، فحريتك تنتهي عند حدود حقوق الآخرين...

وإضافة إلى منهجه العقلي، ضمن الثقافة الموسوعية، نلمس في ثقافة مولود قاسم، هذه الأسلوبية الجزلة والأنيقة التي تأخذ من القديم سلامة الأداء، وسجع المترادفات، وأناقة الدلالة... مما يدلل على تعمق في اللغة يضاهي أسلوب فطاحلها، كالجاحظ، وأبي حيان التوحـــيدي عند القدماء، وأحمد حسن الزيات، والبشير الإبراهيمي عند المحدثين، مع تميز يـــنفرد به عن الجميع، وهو نهله من ينابيع إنسانية أجنبية يدعم بها حكما، أو يوضح بها فهما.

وإذن فـــإن الموســـوعية الثقافية التي نسجت فكر فقيدنا مولود قاسم، قد ظلت متفتحة دوما، على هموم الأمة، وقضايا الوطن، فكل انشغالات الفقيد، واهتماماته إنما هي للإسلام وللجزائر كما قال ابن باديس من قبله.

وإذا كـــنا لا نســـتطيع في حفـــل تأبيني كهذا، يلفه هول الفاجعة، ويثقل جوه الإحســـاس بفـــراغ مهول لاختفاء مولود من الأندية الثقافية، إذا كنا لا نستطيع تناول محطات البناء الفكري لدى مولود قاسم، لأن ذلك سيكون موضوع الباحثين الجامعيين، والـــنقاد الأدبـــيين فلا أقل من أن نحاول هنا تقديم عينات ونماذج لمحتوى فكر فقيدنا من حيث المضامين والأسلوبية، والتوجه المجتمعي.

إذا كانت هذه هي حالة الأمة، وإذا كانت الأصالة هي إحدى مقدمات العلاج، فأين تكمن الإنية ؟ وما هي عناصرها ؟

لقد سبق أن بينا كيف أن الإنية هي الوعي بالوجود عند ابن سينا، وعند ديكارت وأمثالهما ... أما عناصر الإنية كما يحددها الفقيد مولود قاسم، فهي اللغة، والدين، والتاريخ، وحب الوطن، والثقافة المتأصلة، فالإنسان يمتحن بمدى التزامه بهذه العناصر، ومدى وفائه لها ... وكل مواطن في هذه خاضع لمدى نجاحه في امتحان الوطنية يضعه فقيدنا على النحو التالي:

"فإذا لم يكن لديك استعداد، إذا ما نال منال من ركن من أركان شخصيتك، ومكون من مكونات ذاتيتك وعنصر من عناصر إنيتك وأصالتك، أو لحق مساس باسم بلدك، مولد أبيك وولدك، ولم تثر إنسانيتك أو أدمك.. ولم يستنكر عقلك و يفر دمك، ولم يجند العقل والروح إذ يغلي، ولم يتملكه الغضب المشروع ليملي، (إذا لم يتم كل ذلك) فأنت ليس لك إذن من آدم حظ، ولأنت إذن لحيوان فظ، غليظ القلب والسلبي الأناني، ولست من النوع الإنساني. بين الإنسان والحيوان إذن الانتماء الواعي للوطن، والذود عن كل ما ومن فيه "...

إن الأصالة عند مولود قاسم حفاظ الإنسان على أصله وفصله، و الأصالية هي ضمن هذه الأصالة..

فالأمم إذن بشخصيتها وبأصالتها وأصاليتها، فإذا انتقلنا إلى مكونات العقل كالذوق مثلا وجدنا لفقيدنا سبحات وشطحات على لغة المتصوفة .. فهو يدعو إلى التعامل مع الفنون الجميلة " كمقوم من مقومات الذوق ولكن مع تحديد دقيق لمعنى الفن".

فإذا كان دعاة " الفن للفن " عندنا في الفنون من موسيقى ورسم، ونحت، لا يأخذون منها إلا الشكليات، كإطلاق الذقون والشعور الطويلة، ونوع من اللباس الشاذ، فإن هذه الفنون، بالنسبة له هي وسيلة ناجحة وفعالة للدفاع عن قيم الأمة، وتعزيز أصالتها، وإبراز شخصيتها، والتعبير عن آمالها، وآلامها، وتحفيزها نحو الأمام، فعل ذلك بيكاسو، وبيتهوفن، وبونسكو، الذين وظفوا الفن للحياة.

إن الفنون إذن – كما يضيف – هي سلاح ذو حدين: فإما لتقوية الأمة، وتعزيز قيمها، وتحصينها، أو لتذويبها وتخنيثها، وتأنيثها، وبث الانحلال فيها، والتعجيل بانهيارها.

أما الدين كمكون للعقيدة، فقد تناوله الفقيد، بنفس الموضوعية العلمية، والمنطقية العقلية، حينما تصدى لمن وصفهم بالمتعاملين، الذين يقولون بأن الإسلام كان ثورة روحية واجتماعية في زمان ما، أما الآن فقد انتهى دوره. يقول مولود قاسم بهذا الخصوص:

" إن الإسلام هو الذي ابتدع أحسن النظم الاقتصادية والاجتماعية، فجعل طلب العلم فريضة كباقي الفرائض السماوية، وجعل حبر العلماء مساويا لدم الشهداء، وجعل دية الذي يموت جوعا، في عنق الأمة كلها".

إن هذا الإسلام يستطيع أن يتجدد حكمه اليوم إذا ما تجدد المسلمون، ويستطيع أن يعيد إليهم عزهم وتماسكهم إذا ما اعتزوا واستمسكوا به. وما كان بالأمس ممكنا فهو اليوم أسهل...

وأخيرا تم هذه المداخلة بمقوم آخر من مقومات الشخصية وهو المقوم العلمي، أو الثقافي، ممثلا في الجامعة، هذه القلعة المقدسة التي تبني العقول في شتى المجالات والحقول.

إن مولود قاسم يربط الجامعة بالإسلام، للعلاقة الاشتقاقية التلازمية بين الجامع والجامعة فيكتب قائلا: تحت عنوان: " نظرة جامعة على الجامعة " وعن دور الإسلام في تطويرها من جامع إلى جامعة، وكيف لم تعد شمسها طالعة، وبدورها كما ينبغي ضالعة، بل أصبحت لكل إهانة بالعة، ولتقاليدها قالعة و لسلطتها بنفسها خالعة، وأمام كل شرذمة هالعة.

وهكذا لم تعد مكانتها لامعة، ولا إدارتها للفوضى قامعة، وزميعة غدت زامعة، ولم تعد لصوتها سامعة، بل في رضا بنديت (ويعني به كوهين بنديت)، الطالب الذي كان خلف حركة الطليعة في 1968 بفرنسا، طامعة فاستحقت هذه الدراسة الجامعة، بعزم وعين دامعة.

إيه سيدتنا الجامعة ! أتبقين في ضلالك هامعة ؟؟

فلقد قل فيك المحتوى، وانخفض لديك وكاد ينضب المرتوى، ويصبح المعين الزلال المستوى، وللطلاب الجادين هو المكتوى، وللأخلاق والسلوك هو الملتوى.

هكذا إذن، بهذا البحث، رسمت لوحات الدافع الثقافي، والفني، والعقدي: لعقل وذوق مولود قاسم.

لذلـــك فلا أعتقد أنني كنت مخطئا حينما وصفته بالدوحة الكثيفة، أو السمفونية العذبة العازفة دوما على النغم الوطني.

أيها الإخوة !

هذا هو مولود قاسم ... الأديب في خلق، والمثقف في التزام، والإيديولوجي في وطنية، وإننا مهما كتبنا ومهما تحدثنا فلن نفيه حقه. فلقد أعطى لهذا الوطن كل ما يملك، مـــن عرق ودم، وحبر، فلندعه للتاريخ الذي سينصفه ولا شك، ونستودعه الله الذي لا تضيع ودائعه.

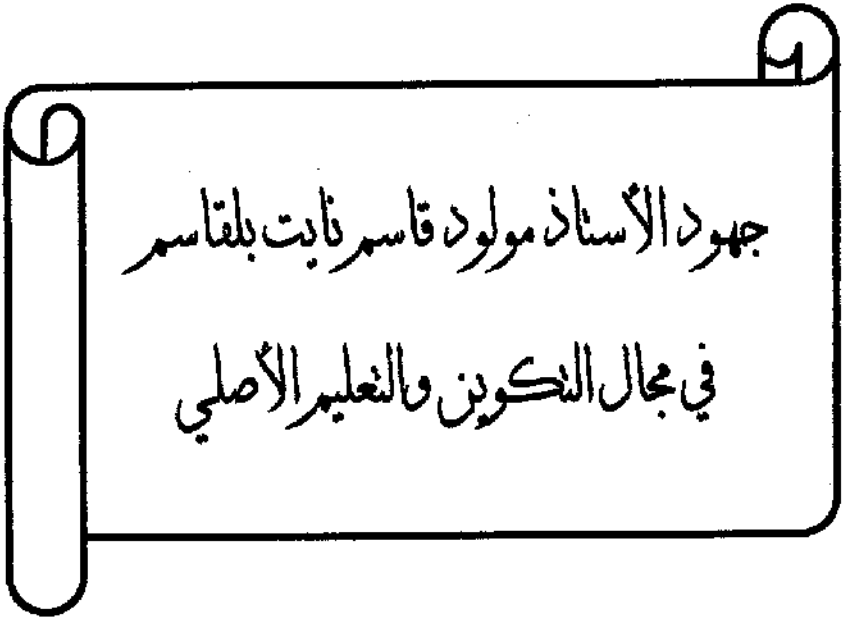
جهود الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم
في مجال التكوين والتعليم الأصلي

تجديد المؤسسات الدينية وترقيتها

(التكوين والتعليم)

أ.محمد الصغير بلعلام

المجلس الإسلامي الأعلى – الجزائر–

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

أيها السادة عندما طلب مني الأستاذ الشيخ أبو عمران رئيس المجلس الإسلامي الأعلى واللجنة المشرفة على تهيئة هذا الملتقى أو هذه الندوة عن المرحوم الصديق الأخ مولود قاسم نايت بلقاسم، أن أشارك بإعداد دراسة عنه في إحدى النقاط المدرجة في جدول الأعمال، ترددت كثيرا، وكنت أقدم رجلا وأؤخر أخرى كما يقال، و لم يستقر رأيي وأعزم الأمر إلا بعد تفكير طويل دام أياما وذلك لسببين :

1) إن الأخ المرحوم مولود قاسم تربطني به رابطة الصداقة والأخوة والزمالة عشناها سنوات طوالا من العمل معا في وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، وإن كانت هذه الصداقة تمتد جذورها إلى ما قبل ذلك بكثير، إلى العلاقة الحميمة التي كانت بين والدينا رحمهما الله منذ أن كنا أنا وإياه طفلين صغيرين نغترف من مائدة كتاب الله في جوامعنا وزواياتا ونتعلم عن شيوخنا، ونأخذ منهم العلم والعمل معا. وإن كان الأمر كذلك فإن أخشى ما أخشاه أن لا أوفي له حقه في هذه الكلمات القصيرة المقتضبة والمحددة بالموضوع والزمن، وليس هناك ظلم أسوء من ظلم صديق لصديقه ولا ذنب أعظم من ذنب الرفيق ولا إثم أكبر من إثم الأخ، إذا قصر في إعطاء صورة حقيقية صادقة ناصعة، محيطة بكل جوانب ما طلب منه، وبكل ما يعرف عنه وله من صفات خلقية علمية سلوكية ومواقف.

2) إن شخصية الأخ مولود قاسم فريدة وغريبة في نفس الوقت، هذا الذي ولد في قرية من قرى جبال القبائل من واد الصومام من عائلة متوسطة الحال إن لم أقل إنها أقل من ذلك في زمن مظلم دامس ناء فيه المستدمر بكلكليه على وطننا وأمتنا وأغرقنا في ظلمات بعضها فوق بعض، ظلمات القهر والذل والجهل والجوع والمرض وكل الآفات التي يمكن

أن يتعرض لها شعب من المستدمر، ولم يكن هم أبائنا سوى الكد والكدح وبذل الجهد للتقليل على العيال من ذلك كله.

في مثل هذه الظروف وفي مثل هذه البيئة وهذه الأوضاع يترعرع أخونا مولود ويرسله أبوه إلى الجامع لحفظ كتاب الله، وهذا الأب ليس عالما ولا طالبا ولا متعلما بل ربما لا يعرف كتابة اسمه مثله في ذلك مثل كثير من آبائنا رحمهم الله، ولم يكن يرجو لولده منصبا أو وظيفة أو مركزا يدر عليه الأموال ويجلب له الخيرات، لأن طالب القرآن أو عالم الدين واللغة لم يكن لهم مستقبل في زمن كان المستدمر صنف تعلم العربية وتعليمها في خانة الجرائم التي يعاقب عليها القانون.

في مثل هذه البيئة وفي مثل هذه الظروف والأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية، نشأ الأخ مولود فهو لم يكن من عائلة علمية ، أي لم يرث العلم عن آبائه ولم ينشأ في بيئة علمية ينتقل منها العلم من الأب إلى الابن ولم يكن أيضا من عائلة ميسورة الحال فهو ابن فلاح يعيش من كده وجهده ومما تجود عليه قطع أرضية صغيرة بل وقد اضطرت الظروف والده إلى الهجرة إلى بلاد المستدمر لكسب قوت عياله.

وقد أصر الوالد الفلاح على السعي بابنه ككثير من آبائنا أيضا إلى آخر مرحلة يمكن أن يصل إليها ويبلغ بها الهدف المنشود، والهدف المنشود في تلك الفترة في حياة وطننا هو حفظ القرآن واكتساب معلومات فقهية ولغوية يستطيع بها صاحبها أن يتصدى للإمامة والإفتاء في إحدى قرى المنطقة.

فذهب بابنه إلى زاوية سيدي يحي العيدلي بتمقرة وكانت هذه الزاوية في تلك الفترة من أشهر زوايا منطقة القبائل الصغرى، وكان شيخ هذه الزاوية آنذاك هو شيخنا الجليل العالم العامل الشيخ الطاهر أيت علجت أطال الله في عمره، ولم يكن الشيخ الطاهر مدرسة علم فقط بل أهم من ذلك، كان مدرسة للوطنية وما أكثر ما سببت له وطنيته من متاعب من السلطة وأذنابها بلغت ذروتها عندما أجبر شيخنا على مغادرة الزاوية، وكان ذلك على ما أذكر سنة 1949، فعنه أخذ تلامذته مبادئ حب الوطن والذود عنه والتضحية من أجله وإعلاء شأنه والموت دونه ورفع راية الجهاد في سبيل الله والوطن.

ومن هذا الكأس رشف الأخ مولود الرشفة الأولى من كأس الوطنية هو والكثير من زملائه وقد استشهد العديد منهم في ثورتنا الكبرى 1954، إذا لقد انفتحت أمام أعين المرحوم في تمقرة أبواب كثيرة ومتعددة، أبواب علم وعمل، وكد واجتهد وإخلاص ووفاء

وجرأة و.. ووطنية. لقد أصبح شابا يافعا، و لم تعد المنطقة تسعه بل الوطن كله، فرحل إلى تونس ثم القاهرة ثم فرنسا...الخ ووجدناه بعد هذا الترحال الذي لا يكاد يستقر به المكان، عالما متبحرا بل دائرة معارف حية، لقد أصبح ذلك الفتى المنحدر من منطقة لا يكاد أهلها يعرفون حتى العامية، أصبح يتقن خمسا من أمهات اللغات الأوروبية ويقرأ بأكثر من عشر، باختصار أصبح لا يحتاج إلى مترجم في طول أوروبا وعرضها. لقد كان عالما عاملا جادا ثائرا جسورا لا يثنيه شيء عما يعتقد أنه الحق ولا يعرف المواراة والنفاق والتملق.

ومما كان كل ذلك هو الذي دفع بالرئيس بومدين – رحمه الله – إلى تعيينه على رأس وزارة الأوقاف كما كانت تسمى آنذاك لعله يبعث فيها حياة جديدة وهو الذي يعرفه حق المعرفة فقد كانا صديقين حميمين قضيا معا سنوات في القاهرة. لقد كانت وزارة الأوقاف في قائمة الوزارات التي تكونت في أول حكومة بعد استعادة السيادة الوطنية، لها هيكلها ولها إطاراتها وموظفوها... الخ، لكنها كما نعرف نحن كلنا أبناء تلك الفترة كانت على التماس كما يقال، بل كان ينظر إليها بكثير من الازدراء والسخرية، وإذا ذكرت أثارت الضحك عند بعضهم أو اللامبالاة عند الآخرين فهي وزارة الفاتحة أي الأموات تارة ووزارة المقابر تارة أخرى وثالثة وزارة الأحباس، وحكيت كثير من النكت السخيفة عليها وعلى القائمين بها، مع أن الذين أسند لهم منصب الوزير شخصيات كبيرة معروفة ذات وزن ثقيل في النضال الوطني والجهاد وفي العلم والمعرفة فمن يجهل أحمد توفيق المدني المناضل السياسي العريق في القطرين، وهو المؤرخ الكبير صاحب كتاب (حرب 300 سنة)، وصاحب أول كتاب عن جغرافية الجزائر، والصحافي اللامع في منبر السياسة العالمية في جريدة البصائر الغراء لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومثل ذلك يقال عن الدكتور التيجاني هدام الطبيب الأستاذ، الجراح الكبير وهو من حفظة القرآن ومن لهم علم واسع في الشريعة، ونفس الشيء يقال عن الأستاذ العربي سعدوني – رحمه الله –.

ولكن ماذا يستطيع أن يفعل هؤلاء إذا كانت الإمكانيات قليلة أو معدومة، وإذا كانت الأبواب مغلقة والوسائل شحيحة، ومع ذلك فقد حاول هؤلاء الإخوة أن يقدموا بما استطاعوا به من عمل فيعينوا الأئمة في المساجد ووزعوا طلبة القرآن على المساجد والكتاتيب وقدموا لهم ما استطاعوا من مساعدات حسب ما عندهم من إمكانيات بل إن

الشيخ توفيق المدني حاول أن يخترق هذا الحصار الذي ضرب حوله فاقتحم ميدان التعليم، في حدود ضيقة ولكنه فرض هذا التعليم على الدولة والمجتمع. وكانت تلك المعاهد هي النواة الأولى لثانويات التعليم الأصلي فيما بعد، كما أنشأ مجلة " المعرفة " وهي أول مجلة ثقافية شهرية صدرت باللغة الوطنية بعد استعادة السيادة الوطنية.

أما الأخ سعدوني فقد بذل جهدا مشكورا في توسيع مجال التعليم الديني بإنشاء معاهد جديدة في بعض الولايات، وأنشأ مجلة (القبس) التي خلفت مجلة " المعرفة " وهو أول من بادر بعقد ملتقيات التعرف على الفكر الإسلامي.

وربما كانت هذه الأوضاع التي ذكرناها هي التي أدت بالرئيس بومدين إلى تعيين الأخ مولود قاسم على رأس هذه الوزارة لإحداث ثورة فعلية في هذا القطاع، إذ كان تعيينه فعلا ثورة حقيقية، قد يتصور بعضنا أن الأخ مولود استقبل هذا التعيين بلهفة وغبطة وسرور، فمن لا يفعل ذلك وقد أسند له مثل هذا المنصب؟ لكن سي المولود لم يكن من تلك الطينة، بل كانت له طلبات لدى الرئيس أو مقترحات إن لم نقل شروطا حتى يقبل بالمنصب، وكانت أول هذه المطالب هو تغيير اسم الوزارة من وزارة الأوقاف إلى وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية (لأن التعليم هو الأساس وهو الوسيلة الأولى في بناء الأمة، على كل هو شرط عمل الوزارة وإلا فلا) فقال بومدين " ربما سيعترض البعض فقلت وافقني أنت وأنا سأجيب على المعترضين، وما الفائدة من الشؤون الدينية بدون تعليم " [1].

وبمجرد أن نصب على رأس الوزارة رسميا كان القرار الأول هو تغيير اسم الوزارة ثم تلاه قرار جذري هام هو منع استعمال اللغة الأجنبية في الوزارة في كل ما يصدر عنها من رسائل وتعليمات وقرارات، وأن الوزير لا يمضي على أي وثيقة مكتوبة باللغة الأجنبية، ثم كان القرار الذي يليه هو عدم الإجابة على أي مكتوب يرد إلى الوزارة من المؤسسات الحكومية باللغة الأجنبية، ثم كانت الخطوة الثالثة هي رد كل مكتوب سيصل إلى الوزارة باللغة الأجنبية إلى صاحبه. قد نتساءل لماذا هذا الموقف الذي يراه بعض منا ثانويا أو على الأقل ليس بهذه الأهمية ؟ لهؤلاء أقول إن المرحوم يرى (أن اللغة هي رمز

- مأساة التعليم الأصلي مجلة الإرشاد ماي 1992..

وجود الأمة وبقدر أصالة اللغة أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا أو مجرد شتات)[1].

وكان هذا الموقف كافيا لأن يثير ضجة حوله وعليه، ولكن الأخ مولود نعرف وكما يعرف كل من اتصل به وعايشه أنه شخص لا تثنيه عواصف الدنيا كلها عن مواقفه التي يعتقد صحتها ولو اقتلعته من المنصب الذي أسند له والذي لم يكن يسعى إليه. ثم بعد ذلك كله وغيره من الإجراءات التي اتخذها وقام بها لإصلاح مسار الوزارة وضبط الاتجاه والأهداف، شرع في إنجاز العملية الكبرى التي كرس لها جل وقته طوال فترة وجوده في هذه الوزارة ، وسأتطرق في هذه العجالة إلى ثلاث نقاط :

- السلك الديني
- الجامعة الإسلامية
- التعليم الأصلي

1 – لقد كان المسجد منذ فجر الدعوة هو محور حياة المسلمين وهو مركز دائرة نشاطهم فهو دار للعبادة وهو جامع للتعليم وهو دار الفتوى وهو مركز القيادة في الحروب بل هو مركز إعداد الجيوش ماديا ونفسيا عندما ينادي داعي الجهاد ولقد كانت مساجدنا أصدق مثال على ذلك، إذ كانت المراكز التي انطلق منها مجاهدونا طوال تاريخنا الحافل بالصراع والمعارك الطاحنة لصد العدو ودحره أمثال الأمير عبد القادر رئيس المجاهدين ولالا فاطمة نسومر والشيخ بوعمامة والشيخ الحداد وغيرهم كثيرون.

ولقد أدرك الاستعمار الفرنسي البغيض ذلك ووعي الدرس جيدا وتيقن أن الخطر كل الخطر هو المسجد فعمد إلى الاستيلاء عليها ووضعت تحت تصرف سلطاته التي هدمت الكثير وحولت الباقي إلى كنائس وبيع وثكنات عسكرية....الخ، وصادرت الأوقاف الإسلامية التي كانت تمول المؤسسات الدينية والتعليمية في البلاد بقرار أصدره كلوزيل بتاريخ 07 ديسمبر 1830 تحتوي هذه الأوقاف على مليوني هكتار من أجود الأراضي الزراعية و 2000 عمارة وبناية، ثم عمدت بعد ذلك إلى تعيين عملائها فيما تبقى من المساجد، وليست لهؤلاء أي صلة بالدين ولا بالمسجد في كثير من الأحيان .

---

1 - محاضرة حول اللغة والشخصية في حياة الأمة ألقاها مولود قاسم في 29 ماي 1968 في النفق الجامعي..

ولقد سجل الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله على صفحات البصائر الغراء كيفية اختيار رجال الدين في العهد الاستعماري فقال: " أما رجال الدين عندنا فقد اختارهم حكومة لائكية متسلطة وما اختارهم إلا بعد أن ارتضتهم بميزانها لا بميزان الإسلام وراعت فيهم شروطها لا شروط الإسلام وما رأيناها تحفل في هذه الوظائف بالعلم ولا بالكفاءة الدينية وإنما تحفل بشيء واحد هو ما يسمى (بالدوسي)".

وفي السنوات الأولى من استرجاع السيادة الوطنية وبعد إبعاد أئمة المستدمر أو انسحابهم ونظرا لتسارع وتيرة بناء المساجد وخاصة من المواطنين ونظرا للحاجة الملحة لمن يؤم الناس في هذه المساجد، وبما أن من تتوفر فيهم شروط الإمامة شحيحة، فقد حشيت ودكت بكل من هب ودب من المندسين فيها والمتطفلين عليها من طلبة العلم المزيفين ومن الدجالين المشعوذين ومن لفظتهم بعض القطاعات فاتخذوا الدين تجارة ومكسبا يأكلون به أموال الناس بالباطل.

فكان لزاما على الوزارة أن تجعل حدا لكل ذلك وأن تتخذ موقفا جريئا من الحالة التي عليها السلك الديني حتى لا يتفاقم الخطر على العلاج، فأمر الأخ الوزير رحمه الله في بداية مشواره بالوزارة بمعالجة هذه القضية بتصفية هذا الإطار وتنقيته من كل الشوائب التي شابتهن وإعادة الصفاء والنقاء له ليتبوأ من جديد المكانة اللائقة ويتصدى لأداء الدور الهام المنوط به في حياة شعبنا وفي مسيرته الظافرة نحو مستقبل أفضل.

ثم بعد إتمام التصفية جاءت المرحلة الحادة الأولى وهو العمل على إصدار القانون الخاص برجال السلك الديني الإسلامي أقول الإسلامي لأن هناك عددا من رجال الدين المسيحي يتقاضون رواتبهم من الوزارة ولم يكونوا معنيين بالقانون الجديد، وكان الأمر الخاص الذي يتضمن هذا القانون قد صدر سنة 1389هـ الموافق لـ1969م ولكن كان في سبات عميق في أدراج الوزارة ولم ير النور إلا في بداية 1972 على ما أذكر بعد جهد جهيد من الأخ مولود قاسم وطرق الأبواب بعنف، وقد أصبح بموجب هذا القانون رجلا لسلك الديني يتمتع بكل حقوقه كموظف في الدولة مثل الراتب القار والمنح العائلية والضمان الاجتماعي والترقية والإجازات والعطل....إلخ

ومن قبل أن يصدر هذا القانون أي منذ استعادة الاستقلال إلى هذا التاريخ كان هذا الإطار لا يتقاضى إلا منحة مؤقتة قد تتأخر وقد تنقص حسب ما يتوفر من الأموال

في خزينة الوزارة. أما طلبة القرآن أي معلمو القرآن وعددهم يفوق الألفين فإنه كانت لا تصل إلى أيديهم إلا منحة شهرية قدرها 100 دينار. وكما قلت آنفا لم يكن من السهل إخراج هذا القانون إلى الوجود بل تطلب من الوزير ومن مساعديه في الوزارة كفاحا مريرا وصراعا عنيفا واصطدم بمعارضة شديدة في أعلى هرم السلطة آنذاك، وجوبهنا بحجج ظن أصحابها أننا أي فريق الوزارة لن نستطيع تجاوزها، أذكر منها:

أ- قيل لنا كيف تطلبون منا أن نقدم راتبا شهريا يساوي راتب أستاذ أو معلم التي تبلغ ساعات عمله أحيانا 8 ساعات في اليوم، لشخص لا يتجاوز الوقت الذي يؤدي فيه عمله 25 دقيقة في اليوم، أي أن الإمام في نظره يصلي بالناس خمس صلوات وكل صلاة تستغرق 5 دقائق و 5*5=25 ، فكان الجواب أن مهمة الإمام تتعدى ذلك بكثير فهو زيادة على ذلك يقوم بدروس الوعظ والإرشاد وتحفيظ القرآن للبنات والبنين وتنظيم دروس الفقه والحديث ومختلف العلوم الإسلامية واللغة التي كانت مساجدنا عامرة بها من قبل، وسيأتي في توضيح مهمة الإمام عندما نتناول مسألة تكوين الأئمة.

ب- قالوا إن الوظيف العمومي لا يمكن أن يوظف أحدا إلا إذا كان يملك شهادة يثبت بها مستواه العلمي كما أن سن التوظيف لا يمكن أن يتجاوز 35 سنة حسب القانون نفسه، فقلنا أما بالنسبة للسن فإن الإمامة ليست عملا إداريا وظيفيا يقوم بها أي شخص في أي عمل كان، وإنما الإمامة هي قيادة وتوجيه وسلوك وأخلاق، وقد يصعب أن تتوفر هذه الصفات في من لم يبلغ بعد سن النضج العقلي والفكري، وقد نجد هذه الصفات عند شاب يافع ولكن في الغالب لن نجدها إلى فيمن تجاوز الأربعين. ولعل لهذه الأسباب لم تنزل الرسائل على الرسل إلا في الأربعين.

أما إثبات المستوى فإن الوزارة ستنظم دورات تكوينية وتدريبية يشرف عليها أساتذة مختصون وأغلبهم من الأزهر الشريف، في سيدي عبد الرحمان اليلولي وفي تلاغمة وفي أدرار وفي غيرها من معاهد التعليم الأصلي وبعض المساجد، ثم تجرى امتحانات إثبات المستوى لجميع أعضاء السلك الديني باستثناء على ما أذكر 6 أئمة لأنهم كانوا من العلماء الكبار المعروفين بعلمهم الغزير وتمكنهم في علوم الشريعة بمختلف فروعها وبعد إجراء امتحانات إثبات المستوى كما نص القانون الآنف الذكر صنف الأئمة 3 أصناف:

(1) إمام ممتاز ويتقاضى راتب أستاذ ثانوي،
(2) إمام خطيب ويتقاضى راتب أستاذ تكميلي
(3) إمام الصلوات الخمسة ويتقاضى راتب معلم ابتدائي.

ثم يأتي بعد ذلك المؤذن والحزاب فقد صنفا في رتبة المساعد في سلك التربية الوطنية. أما من يملك شهادة معترفا بها فإنهم يرسمون حسب شهادتهم، قد بلغ الذين شملهم هذا القانون عند بداية تطبيقه 2200 وعدد المساجد التي كانت موجودة آنذاك أي على المستوى الوطني فقد بلغ حوالي 6000 مسجدا.

المدرسة الوطنية لتكوين الإطارات الدينية بمفتاح

بعد صدور القانون الأساسي للسلك الديني وترسيم الأئمة الذين شملهم هذا القانون فقد بقي أكثر من نصف مساجد الوطن غير مؤطر رسميا:

أ- لانعدام الكفاءات وشحها

ب- انعدام المناصب المالية

ولذا سارعت الوزارة إلى تفادي هذا النقص بإنشاء المدرسة الوطنية لتكوين الإطارات الدينية بمفتاح، والهدف من هذه المدرسة هو تخريج إطارات دينية عصرية تكون على علم بما يجري من حولها وتلم بأشتات الثقافات المتعددة والمتباينة في المنهج والتفكير والهدف، حتى تتمكن من مجابهة مشاكل اليوم العصرية التي يتعرض لها المواطن والمجتمع وحتى تستطيع أن تؤدي رسالتها كما يجب، وكل ذلك في انتظار إنجاز الجامعة الإسلامية كما سيأتي.

وأود أن أنقل لكم أيها السادة فقرات من خطاب الأخ مولود قاسم الذي يبين فيه ما يريد أن يكون عليه الأئمة في المستقبل والدور المنوط بهم وهو خطاب الأخ مولود قاسم الذي ارتجله بمناسبة تدشين هذه المدرسة في 14 محرم 1396هـ الموافق لـ 15 جانفي 1976م، والذي يبين فيه ما يريد أن يكون عليه الأئمة في المستقبل والدور المنوط بهم وهو خطاب طويل أحيلكم إلى مجلة الأصالة العدد 31 ماي 1976 لمن أراد أن يطلع عليه، قال رحمه الله : " المهام المطلوبة منكم بصفة عامة هي مهام دائمة على مدار السنة يتمثل زيادة على المهام التقليدية المعروفة للإمام تتمثل في مهام رئيسية ثلاثة :

1- مكافحة الأمية بالسبورة وهي مهمة كبيرة جدا وأول آية أنزلت في القرآن كما تعلمون هي " اقرأ ".

2- المهمة الثانية هي تحفيظ القرآن من الإمام نفسه في المساجد الصغيرة أو المؤذن، والإمام المساعد في المدن الكبيرة.

3- هي الدروس المسجدية من الفقه والحديث والتاريخ والتفسير والتوحيد...إلخ: ثم يقول: " فالإمام في كثير من النظم الإسلامية هو الخليفة هو السلطان هو الملك هو رئيس الجمهورية.... أو كما تشاءون، إذا المطلوب منكم أن تقوموا على مستوى مسجدكم مع المصلين، أن تتحملوا مسؤولياتكم كاملة في تتبع شؤون البلاد في المساهمة في تنمية البلاد في جميع المجالات بل وفي نهضة الأمة الإسلامية كلها وتتجاوزون حدود الوطن بنشاطكم وباهتماماتكم وبتوعيتكم وبسهركم وحرصكم وتكونون الرعاة الوعاة والدعاة السعاة ".

ثم يحدد بكلمة جامعة مختصرة دور الإمام فيقول: " مهمتكم إذا هي البناء الروحي والمادي للأمة، مهمتكم هي بناء المدرسة وبناء السد وبناء العين وفلاحة الأرض وبناء جامع وبناء كلية، مهمتكم هي الدفع بهذه الأمة إلى الأمام لتقوية هذه الأمة "، "وأعدوا لهم ما استطعتم".

- الجامعة الإسلامية :

الحلم الجميل، والهدف المنشود والغاية المبتغاة عند الأخ مولود قاسم منذ أن تسنم مقاليد الوزارة هو الجامعة الإسلامية وقد كان ينتظر الفرصة المواتية للإفصاح عن مكنون صدره للرئيس الراحل وأتت هذه الفرصة إثر جلسة عمل رسمية أشرف عليها الرئيس حضرها الأخ مولود قاسم وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية والأخ محمد الصديق بن يحي رحمه الله وزير التعليم العالي وعبد المجيد أوشيش مدير التي كانت تتولى إنجاز مشروع مسجد الأمير عبد القادر بقسنطينة والأخ عبد الغني قائد الناحية العسكرية الخامسة الذي كان يرأس اللجنة الدينية لهذا المسجد.

وقد كان هذا المشروع في بدايته حسب رغبة اللجنة الدينية هو إنجاز جامع كبير يليق بمدينة ابن باديس رحمه الله، قال الأخ مولود "قلت للرئيس بومدين إن الجوامع عندنا موجودة كثيرة نسبيا والذي نفتقر إليه أكثر خاصة في قسنطينة والعاصمة الأولى منذ ما قبل الإسلام نفتقر إلى جامعة إسلامية كبيرة ممتدة فروعها وكلياتها المتعددة من الهندسة

والطب والزراعة....الخ إلى سائر أنحاء البلاد وهذا زيادة طبعا على الكليات الإسلامية التقليدية الموجودة في البلاد الإسلامية وهي كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية".

وقد حدد مهمة هذه الجامعة في:

1- إنها تكون الجامعة المعربة الأولى تعريبا كليا

2- إنها تكون بدرجة الليسانس وحتى الدكتوراه خريجي ثانويات التعليم الأصلي

3- إنها بكلياتها العلمية ستساعد على تعريب الجامعات الأخرى وستزود الخريجين منها بعنصرين أساسين:

أ- انغراس الروح الأخلاقية الإسلامية في الطبيب والمهندس بحيث لا يكون طبيبا ومهندسا كأنه تخرج من موسكو.

ب- اطلاع المهندس والطبيب على إبداعات الحضارة الإسلامية ودورها عبر التاريخ في مجال تخصص كل منهم.

لقد كانت الجامعة الإسلامية التي كان يحلم بها سي مولود جامعة كاملة متكاملة عربية اللغة إسلامية الروح والتوجه تشمل كل الكليات مثلها في ذلك مثل جامعة الأزهر. وقد كانت كيفية الإعلان عن هذه الجامعة طريفة، إذ لم يعلن عنها رسميا في الجزائر وإنما في القيروان في مسجد عقبة بن نافع رضي الله عنه، وذلك أن الرئيس التونسي الراحل رحمه الله قد اعتاد إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف في القيروان، وفي سنة 1392هـ دعى الرئيس بومدين لحضور هذا الحفل الشريف وكان الأخ مولود قاسم ضمن الوفد المرافق للرئيس بومدين، وقد قال له الرئيس بومدين كما حكا لي سي المولود إن الإخوة التونسيين لديهم الزيتونة والإخوة المغاربة لديهم القرويين، ونحن ماذا عندنا ؟ ليس لنا أي شيء من كل ذلك، قال: قلت للرئيس لدينا أحسن من ذلك قال ماذا؟ قال قلت: أعلن عن نشأة الجامعة الإسلامية الكاملة المتكاملة، وذلك ما وقع فعلا. وهذه فقرة مما ورد في هذا الإعلان: " إذا كنا الليلة نحتفل ونبتهج في هذا الحرم العريق والجديد في نفس الوقت بما أصبح عليه من حلة قشيبة استرجعت له بهاءه ورونقه، وإذا كنا ما زال لنا والحمد لله معاهد الزيتونة والقرويين والأزهر وإذا كنا لا نفتأ نزهو بمجرد ذكر الجامع الأموي وغيره من المعاقل الروحية في أنحاء العالم الإسلامي، ولئن كنا قد استرجعنا جامع كتشاوة وغيره من حصون الإسلام في الجزائر وأعدنا لها قوقها وازدهارها بل وجددنا نشاطها وعززناها بمعاهد أصيلة حديثة فنحن بصدد تتويجها بنواة جامعة إسلامية تتكامل والجامعات الثلاثة

الأخرى التي هي نفسها بصدد التعريب الشامل لتجمع من جديد ما انتشر وتحيي من تراثنا ما اندثر..."

هكذا أعلن عن نشأة الجامعة الإسلامية في ربيع الأول 1392 هـ الموافق لأبريل 1972[1]

3- التعليم الأصلي

لكي ندرك كنه التعليم الأصلي وغاياته التي سطرت له يجب أن ندرك مفهوم الأصالة عند سي مولود رحمه الله، هي مثل ذلك المثل القرآني العظيم : **[ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها]**. (سورة إبراهيم ، الآية 24)

الأصالة هي هذه الشجرة الطيبة التي تضرب جذورها في أعماق التاريخ بكل ما يحمله هذا التاريخ من عقيدة و شريعة وحضارة وأخلاق وسلوكات وإبداعات وتقاليد وعادات، تلك القيم التي تجعل من المجتمع مجتمعا متميزا متكاملا منسجما متراصا لا تعصف به الرياح ولا تذيبه التيارات وتلك هي صفات المجتمع الإسلامي منذ فجر الدعوة، وهي تلك القيم التي حفظت لشعبنا أصالته وشخصيته وعقيدته ولغته طوال العهد الاستعماري البغيض، وهي أصالة ليست منغلقة ولا جامدة ولا متحجرة بل هي أصالة تساير الزمن، وتؤمن بالتطور وتنزع إلى التجدد بل وتلد من ذاتها التجدد؛ إنها تلك الأصالة التي جعلت المأمون الخليفة العباسي ينشيء دار الحكمة ويسن التفرغ لترجمة علوم الأمم السالفة رغم وثنيتها واختلافها العميق في العقيدة لأن العالم ملك للإنسانية جمعاء، والانتقال من الترجمة إلى الإنتاج وإلى الإبداع، فهي أصالة تنبذ التقوقع والتعصب والجمود وأيضا تنبذ التفسخ والذوبان والانحلال، فهي أصالة لا تؤمن بغلق الأبواب والنوافذ ولا بإزاحة السقوف " إن الأصالة ليست الانغلاق والتحمد بل هي بقاء الإنسان هو، مع استفادته من احتكاكه بالغير ومسايرة الركب الإنساني فيما ينسجم مع عناصر ذاتيته

---

[1] - الأصالة في 2 أفريل 1972.

ويتـــناغم مع مكونات شخصيته، إذ بتميزه ذلك فقط يكون عنصرا يقدم مساهمة للفكر الإنســـاني والحضـــارة العالمية وبدونها لا يقيمها بشيء بل يعيش على حسابها عالة يثقل الركب ولا يقدم الإنسانية قيد شبر ".

وفي ضـــوء هـــذا المفهوم للأصالة شرع سي المولود منذ البدء في إعادة النظر في المعـــاهد الدينية التي كانت موجودة من قبل، إذ كما أشرنا فقد كان فضل البدء للشيخ توفـــيق المدني ثم حاول من بعده سي العربي سعدون تطويرها من حيث الكم على الأقل ولكن ظل هذا التعليم محدودا كما يقول سي المولود نفسه " من حيث العدد والإمكانيات ومـــن حيـــث الآفاق والبرامج ومن حيث الصدى في البلاد حتى أن الأهلية غير موجودة والمعادلة غير موجودة فقلنا يجب أن تكون الأهلية رسمية ثم البكالوريا بمعادلة عالمية ".

إن التعليم الأصلي بمفهومه الجديد وببرامجه الكاملة المتكاملة والتي لم يتم البت فيها إلا بعد دراسة معمقة من طرف لجنة كونها الوزير ووفر لها كل الوسائل وزودها بعدد من الـــبرامج المختلفة لمعاهد متعددة في الشرق والغرب من النمط التقليدي والنمط العصري، حـــتى تـــنجز بـــرنامجا قويـــا وافيا وكافيا يتماشى مع مميزات الفرد الجزائري، الثقافية والاجتماعـــية والخلقـــية، والغرض من كل ذلك هو أن يكون هذا التعليم قلعة الإسلام الصافي النقي البعيد عن الانغلاق والتعصب والبعيد أيضا عن الانحلال والتفسخ، كما ورد عـــن رسول الله ﷺ وصحابته والأئمة الكبار وهو في نفس الوقت رد على تيارين: تيار المســـح والانســـلاخ والتفسخ أو ما يسمى الآن تيار الاستئصاليين، يتامى ثقافة المستدمر الذين يتنصلون من ثقافتهم ولغتهم وحتى دينهم في كثير من الأحيان، وتاريخهم ويرمونها بشـــتى الـــنعوت، والصفات التي لا تدل إلا على ضحالة فكرهم وعمي بصيرتهم، وإنهم أصوات سيدهم، أما الفريق الثاني فإنهم أولئك الجامـــدون المتحجـــرون أو المشعـــوذون

الدجـــالون الذين يحلو لهم أن ينصبوا أنفسهم مالكا وأبا حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ويودون أن يرجعوا بإسلامنا الحي الدائم إلى عصر الانحطاط[1] .

وإذا تفحصنا برامج التعليم الأصلي و خاصة الثانوي منه لوجدناه يشمل على:

(1) العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث وتوحيد وأصول وفرائض

(2) العلوم اللغوية من نحو وأدب وبلاغة وعروض ومنطق...الخ

(3) العلـــوم العصرية وموادها الرياضيات، العلوم، الفيزياء، الكيمياء، التاريخ، الجغرافيا، واللغات الحية، والتربية البدنية، وقسم إلى ثلاث شعب:

أ- الشعبة الشرعية والأدبية، ب- الشعبة العلمية، ج- الشعبة الرياضية.

ومن الجدير بالذكر أن برنامج الرياضيات والعلوم والفيزياء والكيمياء هو نفسه بـــرنامج وزارة التربية الوطنية حرفا بحرف، ويؤطر هذه الثانويات أساتذة في أكثرهم من الأزهـــر الشـــريف ولا يفوتني أن أذكر أن الأزهر الشريف كان دائما مستجيبا لرغبات الوزير في الأساتذة في (الكم والكيف)، وبعض الأساتذة الجزائريين، كما تجدر الإشارة أن كثيرا من أبناء القارتين الإفريقية والآسيوية زاولوا تعليمهم في هذه الثانويات أسوة بمعهد عبد الحميد بن باديس في زمن الاستعمار.

وكـــان يمكن لهذا التعليم بمثل هذه البرامج أن يزود الوطن والأمة بمن يحقق أمنها المشروع في التقدم العلمي والتقني والفني مع الحفاظ على مقوماتها الأساسية والإنسانية في نفس الوقت من أجل تكوين مجتمع متماسك ومتوازن ومترابط لا تعصف به الريح ذات اليمين أو ذات الشمال.

وحـــتى نتمكن من إعطائكم صورة واضحة على المجهود الذي بذله سي المولود ومساعدوه في هذا القطاع نعطيكم بعض الأرقام :

1- الأصالة عدد[1] مجلد [139] مارس 1971

1- عـــدد المعاهد التي كانت تسمى بالمعاهد الدينية بلغت إلى غاية 1970، 17 معهدا وهذه المعاهد لم تكن مصممة لهذا الغرض بل هي بنايات أغلبها كانت ثكنات عسكرية تنازل عنها الجيش الوطني الشعبي لصالح هذه المعاهد أو بنايات ملحقة بالمساجد لا تتوفر على أدنى شروط المدارس . وقد أدخلت عليها إصلاحات كثيرة في عهد سي المولود، وإن كانـــت هـــذه الإصـــلاحات قد بدأت في عهد سعدوني رحمه الله، في هذه المعاهد أربع ثانويـــات مختلطة وثانويتان للذكور والباقي إكماليات مختلطة، أما عدد تلامذتها فقد كان 8682 تلميذا.

وفي نهايـــة 1976 بلـــغ عـــدد مؤسسات التعليم الأصلي 43 مؤسسة منها أربع ثانويات داخلية للبنات، وهذه المؤسسات التي أنجزت بعد السبعين تتوفر فيها كل الشروط المطلوبة في مثيلاتها في القطاعات الأخرى وقد تفنن شيخ المهندسين الجزائريين عبد الرحمان بوشـــامة رحمه الله في إعطائها الطابع الأندلسي المغربي الذي يربطنا بتاريخنا الزاهر، تدل عليها منذ مشاهدتها من بعيد، وهنا أذكر لكم حكاية قصيرة فيها عبرة واعظة، ذات مرة قـــال الأخ ســـي عبد المجيد الشريف الذي كان أول مدير للتعليم الأصلي ثم أمينا عاما للوزارة لسي المولود " أرى أن تغير شكل مؤسساتنا حتى لا تتميز عن أصلها وتنسجم مع الأخـــريات مـــن مثـــيلاتها فكان رد الوزير سيأتي يوم لا محالة سيقضي على هذا التعليم وسيبقى الشاهد الوحيد عليه هو هذه البنايات، أما عدد التلاميذ فقد بلغ 30 ألف تلميذ نظـــامي، 10 آلاف في الجامعة الشعبية ليلا، وكان المأمول أن تزود هذه المعاهد الجامعة الإسلامية التي ذكرناها آنفا والتي كانت نواتها كما أرادها سي مولود هي كما يلي:

(1) كلية الشريعة الإسلامية والفقه المقارن في قسنطينة

(2) كلية أصول الدين وتاريخ الأديان في الجزائر

(3) كلية اللغة العربية وآدابها بوهران

ولكـــن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد كان المعارضون كثرا ومن القمة وذلك لحاجة في نفس يعقوب، وهذا ما سجله الأخ مولود قاسم في تصريحه لمجلة الإرشاد في مـــاي ســـنة 1992 وضمنه أخونا وصديقنا الدكتور أحمد بن نعمان في الكتاب الذي أصـــدره هو وثلة من الزملاء عن سي المولود رحمه الله، وكان هذا التصريح تحت عنوان (مأســـاة التعلـــيم الأصلي) وفيه ما يلي: " نظرا لنجاح هذا المشروع بحيث وصل عدد المـــنخرطين فـــيه إلى 30 ألـــف تلميذ نظامي و 10 آلاف مسائي وزاولوا دراستهم إلى الـــبكالوريا ونظرا إلى المسابقات التي كانت تعرض في التلفزة بين الثانويات وتفوق طلبة التعليم الأصلي أبناء الفقراء واليتامى والريفيين وفي الغالب على طلبة وزارة التربية والتعليم حتى أن الرئيس سألني في مجلس الثورة والحكومة هل تعلمون طلبة التعليم الأصلي التربية العســـكرية " لأنـــه صدر في الجرائد أن طالبة من ثانوية صلاح الدين ببانتة تفوقت على الرجال في السباق الرياضي في المركب الأولمبي، فقلت نحن لا نعطي الذكور والإناث تربية عســـكرية ولكـــن نعلمهم ونعلمهن الرياضة في حشمة وأخلاق، وهنا علمت أن بعض المصـــالح وبعض الشخصيات تطوعت وقالت لبومدين إن التعليم الأصلي شبكة رجعية ســـتطوق الاشتراكية وتخرب النظام ... فخاف بومدين واقترح في الصيغة الأولى لميثاق الوطـــني ســـنة 1977 فجاءت وحدة التعليم وإلغاء التعليم الأصلي بالعبارات التالية : أما التعليم الأصلي فتجب إزالته في أسرع الآجال، فتساءلت لم الإلغاء في أسرع الآجال بعد أن أثبـــت طلـــبة التعليم الأصلي التفوق في الرياضيات والهندسة وكل العلوم وقد رأى الشـــعب بعينه النتيجة فقال بومدين: لهدف وحدة التعليم فقلت وذلك في اجتماع بمجلس الثورة والحكومة : سيدي الرئيس وكان على يساري المرحوم محمد بن يحي وزير التعليم العالي وعلى يميني مصطفى الأشرف وزير التربية... هذه وحدة للتعليم وليست وحدة لأن هذا هلاك للبلاد ...الخ. من أراد منكم أيها السادة أن يطلع على هذا التصريح فليرجع إلى كتاب الدكتور أحمد بن نعمان.

هكـــذا إذا ألغـــي التعليم الأصلي وقضي على الجهود المبذولة وانتصر التغريبيون الذيـــن كـــان في قلوبهـــم مرض فزادهم الله مرضا والذين يتقنون فن المراوغة والانحناء للعواصـــف حتى تمر. وألغي المشروع وقبر في عنفوان شبابه وجففت الروافد التي كانت ســـتمد الجامعة الإسلامية المعلن عنها المتعددة الكليات الكاملة المتكاملة، فقزمت وتسمى الجزء باسم الكل نكاية في العربية ذرا للرماد في العيون وحفاظا على كلمة قيلت بمناسبة.

وسلام الله عليكم ورحمته.

الأستاذ مولود قاسم وموقفه من المرأة والأسرة من خلال ملتقيات الفكر الإسلامي وكتاب الأصالة

د.بلقاسم شتوان
جامعة الأمير عبد القادر

1 – توطئة :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه الكريم وبعد:

ولـــد المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم في قرية بلعيال إحدى قرى جبال بني عباس في القـــبائل الصـــغرى الـــتي تمثل جزءا من كتلة جبال البيبان الكبرى شرق وادي الصومام وجـــنوبه .والـــتي كانت تمثل مقر الإقامة والرئاسة لأمراء إمارة أولاد مقران في قلعة بني عـــباس على مدى أكثر من ثلاثة قرون، في أواخر العشرينيات من القرن الماضي، حفظ القـــرآن الكـــريم في مسقط رأسه ، وأتقن مبادئ اللغة العربية وعلومها ومبادئ العلوم الدينـــية، ثم رحل إلى تونس أواخر الحرب العالمية الثانية ، والتحق بجامع الزيتونة للدراسة إلى غايـــة 1950م .ثم رحـــل إلى القاهرة والتحق بقسم الفلسفة في كلية الآداب بجامعة القاهرة .

ولما اندلعت ثورة التحرير عام 1954م التحق بمكتب جبهة التحرير الوطني . وفي عام 1962م رجع إلى الوطن وأفرغ جهده في خدمة بلاده ، في وزارة الخارجية، والرئاسة، والحكومة إلى أن وافاه أجله في شهر أوت عام 1992م [1] .

فالأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم رحمه الله يمتاز بخصال كثيرة يتميز بها الرجال العظماء من نبوغ فكري، وذكاء وقاد، وعبقرية فذة، وحس مرهف، ورجولة، ووطنية صـــادقة، وشـــجاعة أدبية، وتواضع ، واعتراف بالخطأ ، وعلو همة، وإخلاص ووفاء، ومحافظة على الوقت .

---

1 الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ج1 ص13(بتصرف)

و يجدر بنا في هذا المقام أن نذكر له بعض المواقف الشجاعة قبل ذكر موقفه نحو المرأة والأسرة وهي:

1 – حبه للعربية التي سحره جمالها وثراؤها فشد إليها الرحال إلى تونس والقاهرة حتى أصبح فارسها وعضو مجمعها الموقر بالقاهرة ، والمؤسس الأول لمجمعها في الجزائر ، الذي بذل جهدا كبيرا في تأسيسه وكان يراه أول نوفمبر ثان .وإلى جانب هذا دافع عنها في كل محفل ، وكان يرى فيها بعد العقيدة الإسلامية والرابطة بين شعوبها الإسلامية والعروة الوثقى التي جمعتهم في ماضيهم وحاضرهم.

2 – قطع زيارته التي قام بها للاتحاد السوفياتي بصفته وزيرا للشؤون الدينية لما استقبل في المطار من طرف موظف بسيط لا يتناسب والمنصب الذي يشغله ، وقد نظموا له زيارة لكنيسة مسيحية أرثوذوكسية بدل أن يبرمجوا له زيارة إلى الأماكن الإسلامية بآسيا الوسطى ، لأنه وزير مسلم ، فلم يطق صبرا عليه رحمة الله على هذه الإهانة فتشاجر معهم وقطع زيارته وعاد إلى وطنه[1].

3 – في عام 1984 م وبمناسبة الاحتفال بالذكرى الثلاثين لاندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م ، نظمت وزارة الثقافة ملتقى تاريخيا بتل السفير بالجزائر العاصمة ، وقد حضر الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم هذا الملتقى وصادف أن ألقى أحد المحاضرين محاضرة مشككا في رقم المليون ونصف المليون شهيد ، واعتبر ذلك مبالغا فيه ، فثارت ثائرة أستاذنا رحمه الله تعالى وارتعدت فرائسه وصرخ قائلا : " إن اليهود يزعمون أن النازيين قتلوا منهم ستة ملايين وهو زعم باطل ، ولكنهم رسخوه في قلوب الجميع على مستوى القارات الخمسة خاصة البلدان الغربية الأوروبية والأمريكية ولو كان باستطاعتهم أن يلصقوا لافتة بذلك الرقم في السماء لفعلوا !! ونحن اليوم نشكك في هذا الرقم المتواضع الذي أصبح شعار هذه الثورة في كل أنحاء العالم" [2] .

وله مواقف كثيرة حول الثقافة والأصالة وغيرها .

---

1 – الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ج1ص109

2 – الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ج1ص110

وهذه المواقف التي ذكرناها تعد غيضا من فيض كما يقال .ولنا أن نتحدث عن موقفـــه نحو المرأة والأسرة حيث أبدى رأيه بكل وضوح وصراحة لأنه ينطلق من مبدأ الأصالة والإنية [1] كما يقول عليه رحمة الله تعالى .

2 – موقفه من المـــــرأة

افتتح الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي في ورجلان وتطرق إلى عدة نقاط منها " المرأة بعـــد عام المرأة فقال رحمه الله تعالى : :فأمام السيل العرم من الكتب والمجلات ، والأفلام والمحاضرات ، والندوات والمؤتمرات ، المخصصة للمرأة في أنحاء العالم منذ " **عام المرأة** " ، واســـتجابة لرغبة كانت كثيرات من الطالبات اللائي شاركن في ملتقياتنا السابقة عبّرن عـــنها في أن يطرق موضوع المرأة في أحد هذه الملتقيات ، واعتقادا منا أنه موضوع من مواضـــيع الساعة لما نشاهده في العالم من أمواج وتموجات ، ومن ميول واتجاهات ، وأن المـــرأة — هذا الموضوع الخالد ! — هي هم الدنيا وشغلها الشاغل على مر الأيام وتتابع الحضارات ، وأنها اليوم ، أكثر من أي وقت مضى ، فضلا عن كونها عمدة الأسرة ورأس المجتمع ، أصبحت شرط الإنقاذ للحضارة والإنسان ، أو إشارة الهبوط ، والاضمحلال، والذوبان ، أقول إننا أمام هذا كله رأينا أن نطرق موضوع المرأة في هذا الملتقى ، ودعونا لـــه خاصة كثيرا من السيدات البارزات من الاتجاهين، المناصر والمعارض لما سمي بحركة تحريـــر المـــرأة والدفاع عن حقوقها، لإجراء حوار صريح خصب علّه يساعدنا في تجنب الشطط في هذا الاتجاه أو ذاك ! ورمزا لإعطاء هذه النقطة في هذا المدخل ما يقابل منابها (حصـــتها) في جدول الأعمال ، حيث أخذت وحدها إحدى وعشرين محاضرة من بين تسع وثلاثين ، بمحض اختيار أغلب السادة والسيدات أصحابها وصواحبها ، سأسهب أنا أيضا بعض الشيء في طرقها في هذه الكلمة التي كنت أجعلها عادة على غاية الإيجاز .

هـــل المرأة اليوم هي تلك الضعيفة المستضعفة المهضومة المظلومة ، المسكينة المستكينة ، الخانعة ، الخاضعة ، الضائعة ، التي لم تأخذ بعد حقوقها ، و لم تحتلّ مكانتها ، كما تقول

---

1 – يمتاز المرحوم الأستاذ مولود مصطلحاته :كالأصالة والإنية والتي يقصد بها الإسلام والمعاصرة ، والاستدمار، والانبطاح والمركبوية ، والغزو والغزو. وما إلى ذلك من المصطلحات التي اشتهر بها عليه رحمة الله تعالى. ينظر . الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ج1 ص 59

سيمون دي بوفوار وأخريات كثيرات ، بل وآخرون كثيرون أيضا ، ممن يدعونها إلى الثورة والتمرد ، وتحطيم " القيود"، وتجاوز السدود ، واختراق الحدود ، ورفع البنود ، للإلقاء بكل شيء آخر غير مطلق حريتها عرض الحائط رغم الجدات والجدود، وعدم الاستغناء في ذلك عن العويل ولطم الخدود ، والإجابة عن كل تنبيه أو نصح بأغرب الحجج والردود ؟

أم هي بالعكس من هذا كله تلك المتمردة المستبدة ، صاحبة الحيل والأحابيل القديمة والمستجدة ، التي هي إلى الانقضاض والعدوان الجريئة المستعدة ، صاحبة الطاغوت والجبروت، زيادة على سحر هاروت وماروت ، كما يقول في الرد عليهن وعليهم كثيرون وكثيرات ، كالكاتبة والطبيبة الألمانية الشهيرة أيستر فيلار Esther vilar في عدد من كتبها ، وخاصة منها الأخير الذي سيحتفل بصدوره بعد غد الثلاثاء في ميونيخ ، والذي تدعو فيه الرجل إلى الإقلاع عن خضوعه وخنوعه ، والتنبه إلى استبلاهه من طرف المرأة واستذلاله ، وتحثه على الإفاقة ورفع رأسه ، وعدم حفر رمسه بنفسه ، وإلى استعادة رجولته وهمته ، والسمو بشرفه إلى قمته ، وهو ما يلخصه العنوان الرئيس للكتاب : " نهاية الترويض " [1] ويوضحه عنوانه الثانوي : " نموذج لرجولة جديدة " ؟ [2]

أما أن المرأة اليوم ليست هذه ولا تلك، وإنما هي تلك المتمتعة بحقوقها المحترمة لواجباتها التي لا تنسى حتى مع عملها رسالتها ؟ هل هناك كثيرات من نساء اليوم "لعصريات " ممن يتبنين قاعدة سلوك ملكة الدانمارك الشابة التي صرّحت غداة زواجها أنها " **وإن كانت الأولى في الدولة إلا أنها الثانية في البيت** " ؟ [3]

إن المشكل أمامكم للنقاش .

وعلى كل ففيما يخص موقفنا في الجزائر بهذا الصدد ، فإن الميثاق الوطني إذ يعزز حقوق المرأة المشروعة ، ويشجعها على المشاركة الفعّالة في مختلف مجالات النشاط القومي ، زيادة عن واجبها الأول في صنع الأسرة وصنع الأجيال ، يؤكّد في الوقت نفسه كل التأكيد على ضرورة احترام ذاتيتنا وحصانتنا ، ويندد بكل تقليد أعمى، وخاصة لكل ما

---

1 - Das Ende der Dressur ""

2 Modell fuer eine neue Maennlichkeit ""

3 جريدة برمونت 19 ديسمبر 1976.

يتـــناقـ مـــع قيمـــنا وأخلاقنا ويتعارض مع مكونات شخصيتنا، ويصطدم وعناصر إنّيتنا وأصالتنا ".ثم يحذر المرأة الجزائرية المسلمة فيقول " إنّك عمدة المجتمع والأسرة ، فإيّاك أن تلقـــي بهما في الحفرة ! ؟ [1] ثم يعود إلى نقطة المرأة في كلمة ختام الملتقى فيقول : " وفي نقطـــة المرأة رجعتم إلى آدم وحمورابي وكان فيكم المتراجع والمرابي ، ووجدت المرأة في صنوها الخصم بينكم العادل المنصف، كما لم تعدل المزايد المجحف .

وقد امتد حواركنّ من لالا نورة إلى بنّورة، ومن ورجلان إلى العاطفي وغارداية ، وقلن لكـــنّ : كـــن إن شئتنّ الوزيرة والرئيسة والداية ، واعترف لكن الجميع بالحقوق وغير الحقوق شريطة تحاشي الفوضى والعقوق ، وألا تهززن المجتمع بصدع وشقوق !

وقلنا : فلتكوني في كل ميدان بانية صانية ، وإياك وتخريب المايورقى بن غانية ، أو تنسى أن كل سيطرة فانية ، وأن الموت منك دوما دانية ، فاحذري كل غلطة ثانية ، وإلاّ كنت عـــلى نفسك جانية ! لا تقصصن للرجل شنبا، لا تنسجّن منه قرنبا ، أو تفتلن منه ذنبا، ولا تجعلن من كرامته كنبا أو تحسبنها عنبا !

إياك أن تقولي له إن سأل : " إني مستقلة حرّة " !، أكانت هذه الكلمة في أذنه حلوة أو مرّة ، لأنك في عينيه فرّة ، وفي قلبه جوهرة ودرّة وإلا كان مصيركما معا في قاع الجرّة ! والرجل لا ينسى أنكن الفصول والغايات ، والأعلام والرّايات ، وأنّكنّ شرط الحياة إذ عمـــدة المجـــتمع والأســـرة، فإيّـــاكن أن تلقين بهما في الحفرة وكن إن شئتنّ الماهرات الســـاحرات، ولكن لا الساهرات الناحرات ، وكنّ الهازئات الساخرات ، لا الماكرات الناخرات ، وإلا أصبحتن أنتن البائرات الخاسرات ! [2]

3 – موقفه من الأســـــرة

نـــتحدث على ما تيسّر في عالم الأسرة إلى اليسرى أم العسرى ؟ " ، وقصدنا إلى إماطة الغطـــاء عما يعد للأسرة من مصير مختبئ ، وإن أصبح اليوم جد مستنبأ من نداء كم من مـــناد ، في كـــل علبة ليل وناد، على أركانها متهجم عاد ، وبموتها البطيء فرح شاد ، وبنعيها قبل الأجل رائح غاد ، والسرور الوقح عليه باد ، والكل يعي أنه ليس بهاد !

---

1 – محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي ورجلان من 17 -26 صفر 1397هـ الموافق 06-15 فبراير 1977م المجلد الأول منشورات وزارة الشؤون الدينية 57 وما بعدها

2 - المرجع نفسه،المجلد الخامس ص45 –48

لقـــد أحســـنت هيـــئة الأمم بعام المرأة [1]، وعام الطفل تقتضيه المروءة ، وثلاثة للرجل والعاجز والحيوان عين الجرأة ، للشر عنهم جميعا دفع ودرأة .

فكـــيف يعقل أن يبقوا بدون عام ؟ ألن يكون هذا بالخرق العام ، وبحسن المبادئ الجهل التام ؟ هل يسترخص الثلاثة كالمواد الخام ؟ أليس إهمالهم بالجرح السام ؟ أم أسكت عنهم ضـــجيج المرأة الصام ؟ إن هذا للبلاء الطام ، والخطر على البشر السطام ، وعن أنسيتهم الفاصل الفطام !

فـــإذا أصـــبحت محنة الرجل دائمة ، وحياته في العالم غدت عائمة ، والقيامة عليه دوما قائمـــة ، والمصائب عليه من كل صوب عائمة ، وكاد أن يبيت دون السائمة حتى غدت نفســـه معقدة له لائمة، والحظوظ عن مصيره نائمة ، وهو مهمل كالحيوانات الهائمة ، وتـــأبى بذلـــك الآن هيـــئات عديدة بأسماء متنوعة جديدة قوائمها في أوروبا مديدة ، واحتجاجاتها كل يوم شديدة، وآراؤها غالبا سديدة " **للدفاع عن حق الرجل** " ، كي لا تقطـــع لجنســـه الأرجل ، فإن مأساة العجزة رجالا ونساء ، والأطفال الصغار البؤساء ، والحيوان الأبكم صباح مساء ، لتبدوا فضاعتها خاصة في كبر العطل ، حيث يشتد على القـــوم الخطـــل [2]، فليلقون بالعجزة في الملاجئ ، التي ليست إطلاقا بالملاجئ ، بل هي للموت حقا عين المراجيء !

إنـــه ليرمي بالكلب عنوان الوفاء من سيّده صاحب الجفاء ، مطرودا موكولا للشارع، يجوبه كالتائه الذارع ، من الإنسان " الذكي البارع " أو يربطه للموت بالعمود الفارع، والمسكين من الجوع والعطش كارع ، إلا أن يهرع إليه صدفة هارع ! إنه الإنسان للشر الزارع وإن كان كذبا إلى الله الضارع والموعد الحق هو اليوم القارع !

---

1 – كانت هيئة الأمم المتحدة قد أعلنت سنة 1976 عاما دوليا للمرأة ، وسنة 1979 للطفل ،ونحن نقترح عليها هنا إقـــرار ثلاثـــة أعوام أخرى للرجل ، والعاجز (من رجل وامرأة طبعا) والحيوان بقطع النظر عن فعالية أو شعرية هذه الأعوام !

2 – الخطـــل : من خطل ، يقال خطل في منطقه ورأيه بمعنى تعب وأخطأ .وعبد الله بن خطل من بني تميم بن غالب، وقـــيل اسمه هلال القرشي هو أحد الأربعة الذين هدر النبي صلى الله عليه وسلم دمهم يوم الفتح ، لأنه بعد إسلامه قتل وارتد وكان معه قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، المصباح المنير للفيومي دار الحديث ص 107

هكـــذا تربط الكلاب بالأشجار ، حيث يعذبها الصغار بالأحجار ، وكل ذلك لراحة الفجّار الذين هم بالأرواح التجار ، إذ لم يجدوا ضدهم الزجّار !

ويتســـاءل عـــن العائلة تساءل الخبير المستشرف للمستقبل فيقول عن العائلة : "ونظرتم في موضوع العائلة هل تسلم أم تنتظرها العالة [1] هل تبقى أم زائلة ؟ وما من خير أو شر نائلة ؟ وما هي إليه آيلة مائلة ، نفسها في قلق دوما سائلة وليس في ذلك طائل ولا طائلـــة ، وقلتم إنها على نفسها جانية وقبرها حافرة بانية ، سلبية تجعلها محتضرة فانية ، ونهايـــتها مقتربة دانية " ... " أليست الأمة هي النواة الخلية ؟ أليست هذه قضية جلية ؟ أليســـت الحافظة للنشء والعجوز الوالية ؟ ألن يكون تخريبها عين البلية ؟ أم هناك حيلة منطلية ، كالمؤامرة بالأمس على الدولة العلية ، إنها ضمان استمرار صالح الذرية، وموتها كالقنبلة الذرية ، يدعون له باسم مبدأ الحرية ، يغلطون بذاك البرية " [2]

ونختم مداخلتنا بهذه الكلمة فنقول : إن مولود قاسم رحمه الله تعالى كان يرى أن الخطـــر الشـــديد عـــلى الأمة والمجتمع والأسر بل على البيئة البشرية يكمن في المرأة المســـترجلة ، والـــرجل المخنث. حيث كان يقول : " أنا لا أقول ضيقوا على النساء أو اســـلبوهن حريـــتهن ، وإنما أقول : أعطوهن حرية ملائمة تتفق وحدود الطبيعة ، وليبق الرجل للرجولة والمرأة للأنوثة " [3].وصلى الله على محمد وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

1 – العيلة بالفتح والعالة : الفاقة مختار الصحاح للرازي ، دار الحديث القاهرة ص 255 ومقصود الكاتب هو كناية عن الفقر

2 الأصالة العدد 62- 63 سنة 1987 م ص 107-110

3 الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ج1 ص 34

جهود مولود قاسم نايت بلقاسم في مجال بلورة الفكر الإسلامي

أ. سعاد بيطاط

جامعة الأمير عبد القادر

الحمد لله رب العالمين، أما بعد، فإن من أدرك أحكام الله في كتابه نصا واستدلالا واستنباطا، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه؛ فقد فاز بالفضيلة في الدنيا والثواب في الآخرة، واستنار قلبه بالحكمة واستحق في أمته مكانة القدوة. فنسأل الله أن يرزقنا الفهم السليم والعمل السديد.

لقد وجدت للأستاذ الجليل مولود قاسم مقالة قليلة المباني غزيرة المعاني وقد شدني عنوانها "هل كان صوت عائشة عورة ؟" لأول وهلة ثم قراءتها فلمست فيها فقها أصيلا وحكمة جليلة فازدادت رغبتي في عرض ما حوته المقالة لإبراز قيمتها العلمية.

والمقالة صدرت عن الأستاذ كتعليق على ملاحظة للأستاذ مصطفى الزرقاء في الملتقى السابع، بخصوص الطالبات غير المحجبات ومفادها؛ مطالبتهن بلبس الخمار لأن شعر المرأة عورة.

وكانت إجابة الأستاذ مولود قاسم تتلخص في ثلاثة عناصر منطقية ، مرتبة بحسب الأولوية وهي :

- **الأول** : "وجود الأخوات هنا ضروري جدا "[1].

---

1 - مولـــود قاســـم نايت بلقاسم : إنية وأصالة، " هل كان صوت عائشة عورة ؟"، 431، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

إن وجود المرأة في هذه الملتقيات العلمية ضرورة ملحة تقدم على لبس الخمار لأنّ اشتراط الحجاب لحضور هذه المجالس العلمية من أول مرة سيؤدي إلى مضرة وهي تشجيع البنات على تركها والانصراف إلى نوادي أخرى قد تفسد أخلاقها.

فالمصلحة الراجحة تدعونا إلى التجاوز عن هذه الجزئية –وضع خمار على الرأس– في سبيل تحقيق مقصد أهم وهو نشر العلم بين النساء والبنات وحثهن على التزود بالمعرفة والمساهمة في بناء شخصيتها على مبادئ الإسلام الصحيحة، لأنّه "إذا زاغت المرأة ضاعت الأمّة"[1].

ولهذا فإن تشجيع المرأة لحضور الملتقى والمتابعة بجدية في الحقيقة غير كاف بل المطلوب دفعها للمساهمة بمداخلات.

وقد كان الرسول –ﷺ– يحث على طلب العلم في نصوص كثيرة بصيغة عامّة لا يستثني فيها المرأة بل العكس نجده يخصها في بعض أحاديثه بالذكر وبمجالس لها، فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب العلم، "باب عظة الإمام النساء وتعليمهن"، حديث ابن عباس أن رسول الله –ﷺ– خرج ومعه بلال فظنّ أنّه لم يُسمع، فوعظهنّ [**إني رأيتكن أكثر أهل النار لأنكن تكثرن اللّعن وتكفرنّ العشير**] وأمرهنّ بالصدقة فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه »[2].

بل وكلف الرسول –ﷺ– " الشفاء بنت عبد الله وهي ليلى القرشية وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن"[3] بأن تعلم زوجه حفصة رقية النملة[4]، كما علمتها الكتابة[5] وأسهمت الشفاء في نشر العلم وولاها عمر بن الخطاب شيئا من أمر السوق.

---

1 – المرجع نفسه، عنوان مقال له، 443..

2 – انظر : ابن حجر : فتح الباري، 192/1-193، (بيروت : دار المعرفة).

3 – انظر ترجمتها، ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة، 727/7 ترجمة (11373).

4 – النملة قروح تخرج من الجنب أو الجنبين، أنظر : أبو الطيب آبادي : عون المعبود.

5 – أبو داود في سننه كتاب الطب باب 18 "ما جاء في الرُّقى"، ح 3883، 30/7.

فالعلم حق مشاع للصغير والكبير والمرأة والرجل، وقد تتفوق المرأة وتنبغ إذا ما لقيت العناية ويكفي أن نشير إلى عائشة –رضي الله عنها– من فقهاء ومحدثي الصحابة.

– **الثـــاني:** "الخمار ليس هو الإسلام إطلاقا"[1].

وهل الخمار هو كل الإسلام ؟ حقيقة الخمار هو جزئية من الدين الإسلامي فقد ورد ذكره في آية واحدة من مجموع (6341) آية وردت في القرآن الكريم ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** ﴾[2] وفي السُّنة القولية (48) حديثا بالمكرر بالنسبة للكتب التسعة.

ولكي لا نثبط من عزمة الطالبات والباحثات، على الأساتذة الأفاضل أن يسهلوا عليهن سبل تعلم دينهن، ويكفي أن تحرص المرأة على الاحتشام في لباسها والتحلي بالحياء بحيث لا يظهر منها ما يثير حفيظة الناس، وهو ما نؤكد عليه دائما في مختلف المناسبات: أن تظهر المرأة بزي محترم ومحتشم[3]، وقد كانت المرأة عبر التاريخ الإسلامي تمارس الحياة الاجتماعية، فقد خرجت الصحابيات للصلاة والتعلم في المسجد ، دلّ عليه ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم باب "هل يُجعل للنساء يوم على حدة في العلم" وساق حديث أبي سعيد الخُدري، قالت النساء للنّبي –ﷺ– « غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهنّ يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن ...»[4].

وللعمل خارج بيتها لحفظ ماها فلا تتركه يضيع، فلعلها تنتفع به وتنفع غيرها بالصدقة وقد أجاز الرسول –ﷺ– خروج المرأة المطلقة وهي في عدتها لتقطع ثمر نخلها كمـــا جاء في حديث جابر –رضي الله عنه– قـــال : طُلقت خالتي ثلاثا، فخرجت تجد[5] نخلا لها،

---

1 – مولود قاسم : المرجع نفسه، 431.

2 – ســـورة النور : الآيـــة 31.

3 – مولود قاسم : المرجع نفسه، 431-432.

4 – انظر : ابن حجر : فتح الباري، باب 36، ج 101، 1/195.

5 – تَجُد أي تقطع ثمر نخلها، أنظر أبو الطيب آبادي : عون المعبود، 4/383.

فلقيها رجل، فنهاها فأتت النّبي -ﷺ- فذكرت ذلك له فقال لها : « **اخرجي فجُدّي نخلك لعلك أن تصدّقي منه، أو تفعلي خيرا** »[1].

و"المسلمات من مع الصحابة في الجهاد، وذكرت بالأمس مثل فاطمة نسومر التي قادت الجيش وتزعمته و لم يشترط منها الخمار"[2]. ولا نعني بذلك الدعوة إلى التبرج وإنّما المراد مما قلناه مراعاة الأولويات وتقديرها بحسب المصلحة المتحققة.

– **الثـــالث**: وأنّه من الشطط أن يقال إن المرأة "صوتها عورة، وكلنا نعرف أن عائشـــة كانت تملي الحديث"[3]، وبناء عليه "لا ينبغي أن تشارك لا في المناقشة ولا في المحاضرات"[4]

كيف ولقد كانت النساء على عهد الرسول -ﷺ- تسأله وتخاطبه و لم يقل لهن اصمتن صوتكن عورة، بل سجل لنا القرآن الكريم جدال امرأة تدفع عن نفسها ظلم زوجها بظهاره منها في قوله تعالى ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾[5] واستحقت أن ينزل فيها قرآن وتسمى السورة بقضيتها "تنويها بالمرأة التي وجّهت شكواها إلى الله تعالى في طلب العدل في حقها وحق بنيها ... وتعليما لنساء الأمّة الإسلامية ورجالها واجب الذود عن مصالحها"[6]، فكيف تحرم المرأة من حقها في التعلم والتعليم؟ وهو أمر ضروري لسبب سطحي وجزئي يمكن التجاوز عنه لأجل مقصد أهم وأجدر. إذن "ألا نثبط العزائم لدى بناتنا، بل بالعكس، يجب أن نشجعهن على الحضور [للملتقى] وعلى مساهمتهن المساهمة

---

1 – أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطلاق، باب 41، "في المبتوتة تخرج بالنهار"، ح 2294، والحديث صحيح وأخرجه مسلم، الطلاق 55.

2 – مولود قاسم : المرجع نفسه، 431.

3 – مولود قاسم : المرجع نفسه، 432.

4 – نفســـه.

5 – ســـورة المجادلة : الآيـــة 01.

6 – ابن عاشور : التحرير والتنوير، 7/28.

المباشرة. وعلى ازدياد عددهن كل مرة أكثر فأكثر. هذا هو المطلوب: النشاط والمساهمة الفعالة والإيجابية، ولكن في حياء واحتشام، ووقار واحترام"[1].

وختاما، فإني أرجو أن أكون قد وفقت في إلقاء الضوء على جانب من فقه العلامة مولود قاسم المستمد من روح الشريعة الإسلامية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1 - مولود قاسم : المرجع نفسه، 432.

الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم والتاريخ الوطني

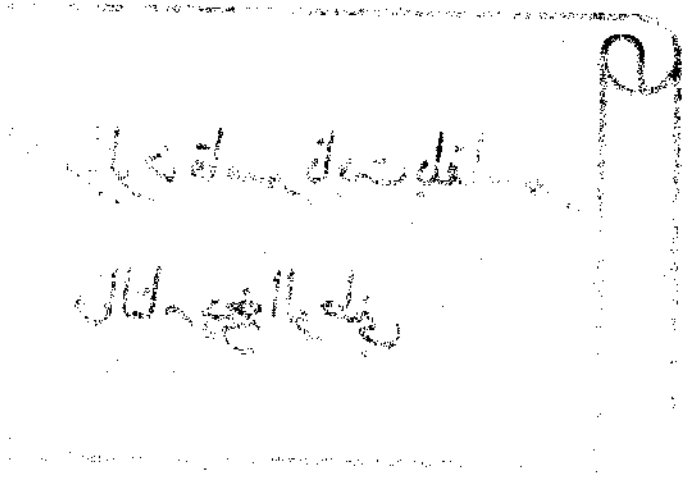

مولود قاسم
فيلسوف رابط في جبهة التاريخ

أ. محمد الهادي الحسني

جامعة الجزائر

كان لفرنسا عندما عزمت احتلال الجزائر هدفان:

1 – إزالـــة الدولـــة الجزائرية، وقد تم ذلك لفرنسا في 05 جويلية 1830، باحتلال مدينة الجزائر، عاصمة الدول الجزائرية، ورمز وجودها.

2 – محـــو ((الأمة)) الجزائرية، وذلك بمحو خصائصها الحضارية، ونسخ مميزاتها الثقافية، وتدمير مقوماتها الاجتماعية، من دين، ولغة، وتاريخ، وعادات.

لقد كان التاريخ أحد أهم الوسائل التي توسلت بها فرنسا لتحقيق هدفها الثاني، وقـــد أطلق الأستاذ مولود قاسم على هذه الوسيلة وصف ((الترسانة التاريخية))[1] حيث اعـــتمدت فرنسا على هذه الترسانة لتجريد الجزائريين من معنوياتهم، وتحطيم نفسيتهم، لكي يستسلموا نهائيا لسيطرتها، ويخضعوا لإرادتها.

لقد عمل الفرنسيون جهدهم ليحولوا بين الجزائريين وبين معرفة تاريخهم[2]، فنهبوا المكتبات، ودمروا الوثائق[3]، وهدموا المنشآت الحضارية، وحطموا المعالم العمرانية، وانطلق الملأ منهم يرددون في كتبهم ومجلاتهم وجرائدهم وأحاديثهم أن الجزائريين (الأهالي بمصطلح الفرنسيين) لم يكونوا شيئا مذكورا في التاريخ، وأنهم لم يؤسسوا دولة، ولم ينشئوا حضارة، ولم ينتجوا فكرا وثقافة، وأنهم كانوا – عبر التاريخ– أسباطا أمما، وطرائق قددا، وجماعات متنافرة، وقبائل متناحرة، لم تجمعهم جامعة، ولم تؤلف بينهم آصرة، وأن

هؤلاء الجزائريين لم يصيروا ((أمة في طور التكوين)) (Nation en Formation) إلا بعد أن نزل الفرنسيون بساحتهم.

يقول شاعر عربي :

أما ترى الحبل بتكراره **** في الصخرة الصُماء قد أثّرا

فما بالك إذا كان الإنسان هو المتعرض لهذا التكرار؟

لقد تأثر كثير من الجزائريين الذين احتكوا بتلك ((الترسانة التاريخية)) الفرنسية، وتبنوا تلك المزاعم، فراحوا — هم أيضا — يرددونها في كتاباتهم وأحاديثهم، فمنهم من تنكر للأصول، حيث أكد أحدهم[4] ((أننا لاتينيون)) (nous sommes des latins)، ومنهم من نفى وجود الأسلاف، حيث قال أحدهم[5] إنه بحث عن هؤلاء الأسلاف، وسأل عنهم الأحياء والأموات، فلم يجد لهم أثرا، ولم يعطه أحد عنهم خبرا، وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الجهل، ولهذا التأثر هي ما قاله أحد أولئك المستلبين، وهو: ((ولو كنت قد اكتشفت الأمة الجزائرية لغدوت إنسانا قوميا، ولن أخجل آنذاك من الجريمة، فالرجال الذين يموتون دفاعا عن فكرة وطنية يجلون ويحترمون أبلغ الاحترام، وليست حياتي بأغلى من حياتهم : ولكنني مع ذلك لن أموت دفاعا عن الوطن الجزائري، لأن هذا الوطن غير موجود)[6] فما أروع، وأصدق، وأحكم كلمة الشاب رمضان حمود، وهي : ((التاريخ محيي الأمم، وقد يكون قاتلها إذا شربته في كأس غيرها))[7] وهل هناك قتل أشد من أن ينكر إنسان أصله ونسبه، وأن يرفض أن يموت دفاعا عن عرضه وأرضه ؟

وهذا ما جعل أحد الوطنيين، وهو محمد الشريف ساحلي، يرسل صرخة مدوية في كتاب سماه ((حرروا التاريخ)) (Décolonisez l'histoire)[8] .

لقد أحسّ الوطنيون الجزائريون بالآثار المدمرة للترسانة التاريخية الفرنسية، ورأوا رأي العين ذلك الخطر في تصرفات بعض الجزائريين وأقوالهم، فانبرى بعض أولئك الوطنيين

- بالرغم من عدم تخصصهم، وانعدام الإمكانات- إلى الخوض في ميدان كتابة التاريخ الوطني، بروح لا تخلو من عاطفة وحماس، لأن ((التاريخ - كما يقول الأستاذ مولود قاسم- ليس مثل تشريح ضفدعة، فليس هناك تاريخ موضوعي مجرد بمعنى العلوم الطبيعية))[9] ولكنه - كما يقول الفيلسوف الألماني فيخته- ((كالإنجيل، يكتب، ويقرأ، ويدرس بنفس التقديس والإجلال))**، ولكنها - كتابة التاريخ- في الوقت نفسه لا تنجى على الحقيقة التاريخية بالتشويه، أو بالاستنقاص، أو حتى الاختلاق.

كان الشيخ مبارك الميلي قد حاز في هذا الميدان بالسبق تفضيلا، فنشر في سنة 1972 كتابة ((تاريخ الجزائر في القديم والحديث))، الذي تمنى الإمام ابن باديس لو سمي الكتاب ((حياة الجزائر))، لأنه رآه قد ((أحيا أمة كاملة))، فهو ((أول كتاب صور الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية))[10]، وقد أشار الشيخ مبارك إلى ما يهدف إليه من التاريخ، وكأنه يرد على المدرسة التاريخية الفرنسية كلها، التي انبنت على نكران الجزائر - دولة، وأمة، وحضارة - فقال : ((متى درسه - التاريخ - أبناء أمة، وأحاط خبرا بأدواره شبابُها عرفوا وجودهم، فلم تبتلع قوميتهم القوميات الحية النّهمة المجاورة لهم، وأدركوا ما لماضيهم من المجد، وما لأسلافهم من الشرف، فلم يقبلوا تنقيص المنقصين، وعبث المدلّسين، وقدح المغرضين، وشعروا بعز السيادة، ولذة الحياة، فأنفُوا من سيطرة المستبدّين، ولم يخضعوا لذلّه المستعبدين، ورأوا سعادة الأوائل بالاتحاد والتناصر، وأن ما أصابهم وأرادوا إنما هو التفرق والتدابر ..))[11]. ولم تمض إلا بضع سنين على صدور كتاب الشيخ مبارك الميلي، حتى نشر - في سنة 1931- الأستاذ أحمد توفيق المدني مُؤلفَه المسمى ((كتاب الجزائر)) ليعرف الجزائري - كما يقول المدني - أن ((تاريخه نبيل، ورجاله أبطال، وأرضه صالحة، وأمته حية شريفة))[12].

لا شك في أن مولود قاسم قد علُمّ في المدرسة الفرنسية - كغيره من الجزائريين الذين تعلموا فيها - ((أن أجدادنا هم الغاليون))، ولا مرية في أنه كان لا يصدق ذلك،

لا لعلم عنده : ولكن لأن عينيه كانتا تبصران الفرق بين الواقع والادعاء، فالسحنات غير السحنات، والسمات غير السمات، والمعتقدات غير المعتقدات، والأسماوات غير الأسماوات، والعادات غير العادات .. ولكنه لا يعلم شيئا عن أسلافه و لا يهتدي سبيلا إلى معرفتهم، والأرجح أن ((مدرسة التربية والتعليم)) التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ناحيته لم تستطع أن تقدم له الجواب الكافي والدواء الشافي في هذه القضية[13] فلم يكن أكثر المعلمين ملمين بهذا التاريخ، و لم تكن الكتب متوفرة، فلا ريب أنه كان يشعر بما يمكن تسميته ((اليتم التاريخي))***، ذلك اليتم الذي تضاعف عندما حلّ بتونس، ثم بمصر، حيث شاهد فيهما - رغم وجودهما تحت الاستعمار- ما يُشبع أبناءهما، ويُروي ظمأهم التاريخي، فآثارهما شاهدة على أمجاد، وكتب تاريخهما منتشرة، ومؤرخوهما يحاضرون .. وقد أشار الأستاذ مولود — فيما بعد- إلى ما كان يهواه من الاطلاع على تاريخ بلاده، فقال في كتابه القيم ((شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية))[14]: ((ولقد صادف هذا الموضوع هوى قديما في النفس))، مع لومة للأجداد ((الذين كانوا فصحاء، بُلغاء من حيث جلائل الأعمال، ولكنهم كانوا بُكما، أميين من حيث تسجيلها، والإبانة عنها، وإبرازها، وتخليدها بالكتابة))[15].

لقد كانت باكورة إنتاج مولود قاسم في ميدان التاريخ وهو في السنة الأولى من التعليم الثانوي بتونس، وذلك في سنة 1948، حيث كتب مقالا تاريخيا تحت عنوان : ((نتيجة الصبر والكفاح))[16]، وصاغه في أسلوب قصصي، صور فيه هجوم الأجانب (ويقصد الفرنسيين) وجرائمهم بدافع الحقد الديني، والنهمة الاستغلالية على الأمة (الجزائر) العزلاء، ولخّص فيه الثورات التي فجرتها تلك الأمة ضد أولئك الأجانب، ثم عرج على ذكر النضال السياسي حتى تاريخ كتابة المقال. والعجيب في هذا المقال هو أن مولود قاسم تنبأ بانفجار ((بركان الثورة، يرسل بشظاياه إلى قلوب وجباه المغتصبين، واندلع لهيبها يلتهم جوانبها)). والأعجب من ذلك هو أنه تنبأ بانتصار الثورة، وطرد

الأجانب، فقال: ((وبين عشية وضحاها صفا الجو، وصحا الميدان بفضل ما أظهره أولئك المجاهدون من الاستماتة والاستبسال في ساحة الجهاد، وأصبح أبناء الأمة هم سادها)). ودعا فيه إلى إقامة ((محكمة التفتيش)) لمعاقبة الخائنين، امتثالا – كما قال– لقول أحد أبناء الأمة المخلصين:

" واقلع جذور الخائنين فمنهم كل العطب "

وعندما انتقل إلى القاهرة ازدادت معاناته النفسية، فقد وجد القوم يجهلون كل شيء عن الجزائر، ولا يعلمون – باستثناء ثلة منهم – عن الجزائر إلا أنها جزء من فرنسا، فكان جهل ذوي القربى كظلم ذوي القربى أشد على النفس من وقع الحُسام المُهنّد. وقد أفرغ عواطفه عن هذا الجهل أو التجاهل، في مقال كتبه تحت عنوان : ((الجزائر لا تعرف العربية))[17] ، حث فيه كتّاب الجزائر وشعراءها على الكتابة، ((فيعرف الناس أن هناك شيئا اسمه الجزائر، ولا تزال فيها العربية، ولا يزال فيها شيء من الإسلام)).

وقد انتقد الجزائريين الذين يقدرون على الكتابة ولكنهم لا يكتبون، فكتب مقالا تحت عنوان: ((ثقوا بأنفسكم))، ندّد فيه بالكتاب الجزائريين فاقدي الثقة بأنفسهم وعبقريتهم الوطنية، والمتعطلين إلى ما يأتيهم من الخارج، لينتهي إلى القول : ((إن الحياة إن هي إلا نفس، إلا حرارة، إن هي إلا زفرات الألم وتنفس الصعداء، هل ليس في الجزائر لا تنفس الصعداء ولا زفرات الألم وتنهدات الأسى؟ إذن ليست هناك حياة.

إن على كتابنا وشعرائنا أن يخلدوا هذه الفترة الحاسمة الدامية من تاريخنا، سواء قدر لنا أن نحيا فنتذكر هذه الظروف: أو قدّر لنا أن نموت – كالأندلس – فيقرأ الناس عن زفراتنا الأخيرة احتضارنا وموتنا كما خلده الأندلسيون، ولا نذهب هكذا هباء بدون خبر عنا، اللهم إلا هذا الموت اللامُحس كما يقول ابن رشد. اكتبوا بالعربية كما هو واجب، أو حتى بالفرنسية فهو على كل حال تاريخ دام، يزيده احمرارا كتابته بلغة أجنبية

إظهارا للمأساة في أسود صورها كما كتب الأندلسيون بالقشتالية ... فثقوا بأنفسكم يا قوم، ولتكن لكم شخصية))[18].

ومـــن مصر — وهو طالب — وجّه مولود قاسم انتقادا شديدا، ولوما عنيفا إلى الجـــرائد الجزائرية، والكتاب الجزائريين الذين لا يعنون فيما يُنشر ويكتب في تلك الجرائد بالجزائـــر، ويهتمون بالقضايا الأخرى، فإذا اطلع المشارقة على ما في تلك الجرائد وجدوا ((بضـــاعتهم ردت إلـــيهم)). كتب مولود في هذا الشأن مقالا تحت عنوان : ((الجزائر غريبة حتى في الجزائر))[19] ، ومما جاء في ذلك المقال : ((إن أمامي الآن كُومة من جرائدنا الجزائـــرية، أو على الأصح نشراتنا، وأغلب مقالاتها في غير الجزائر، فهي تعالج مسائل في خارج الجزائر، وكثيرا ما تهرف بما لا تعرف في هذه الشؤون والقضايا غير الجزائرية ... إن الذي يقرأ هذه الجرائد أو يلقي نظرة على عناوينها لا يكاد يخطر بباله أبدا أنها جزائرية ماعدا عناوينها، وأقصد عناوين الإدارات لا الموضوعات))، ثم يدعو مولود تلك الجرائد إلى ((أن تهتم بالجزائر أولا وقبل كل شيء ، وتكتب ثلاثة أرباعها ونصفا في الجزائر))، ويعلل مولود ذلك بقوله : ((لأن الجزائر هي وحدها المجهولة، هي وحدها المغمورة بفضل فرنســـا ومســـاعدة الجزائريين ... كأنها — الجزائر — ليست تحت أقدام الفرنسيين تسيل دماؤها حارة وباردة في كل يوم وفي كل آن))، ويستشهد في دعوته إلى الاهتمام بالنفس قبل الاهتمام بالغير ببيت من الشعر لأبي العلاء المعري، هو:

" إذا كان إكرامي صديقي واجبا فإكرام نفسي لا محالة أوجب"

وينهي مولود قاسم مقاله بهذه الجملة التي تُبيّن عن حرقة في النفس، وغيرة على الجزائـــر ماضـــيا وحاضرا ومستقبلا، فيقول : " اكتبوا ولا تدعوا الجزائر غريبة حتى في الجزائر))..

مع إنهاء مولود قاسم دراسته الجامعية كان مؤذن الجهاد قد أذّن في الجزائر، داعيا إلى الانتقـــام للعرض، و الثأر للشرف، و الاسترجاع للسيادة، وبقدر ما كانت الجزائر في

حاجة إلى مجاهدين بالسنّان – وهم فيها كثير – : كانت أكثر حاجة إلى مجاهدين بالقلم واللسان، وهم فيها أندر من المعدن النفيس، وما كان مولود ليقعد مع القاعدين، ويتخلف مع الخوالف، فسارع إلى الانضواء تحت لواء الجهاد، ورأى المسؤولون ما يتمتع به مولود من حزم وعزم، فحمّلوه أمانة العمل في مناطق لا يجمع أهلها بالشعب الجزائري جامع من دين، ولغة، وتاريخ، ومصير، وهي عناصر تجلب العطف، وتجلب التأييد: بل هي مناطق أقرب من فرنسا دينا، وحضارة، وتاريخا، فحمل مولود الأمانة، و لم يُشفق منها، و لم يؤده حفظها، وكان عليه أن يعمل طرفي النهار وزلفا من الليل، ليمحو بآيته المبصرة آية فرنسا المظلمة، وليزيل بحقائقه أباطيل فرنسا وأكاذيبها بأن الجزائر أرض فرنسية. وما أصعبها من مهمة، وما أثقلها من أمانة، فإذا كانت تلك الأباطيل والأكاذيب قد صدّقها الأقربون من الأشقاء، بل وكثير من الجزائريين: فكيف لا يصدقها الأبعدون ؟ فاستعان مولود بالصبر والعمل الدؤوب، فكشف الأباطيل، وثبت الحقائق.

ولاحت تباشير الفجر الصادق، وأيقن الفرنسيون أن أيامهم في الجزائر قد أشرفت على النهاية، وأصبحت أياما معدودات، فحاولوا أن يحققوا في المفاوضات بين الجدران ما عجزوا عن تحقيقه في الميدان، فراحوا يجادلون بباطلهم في حق الجزائريين في صحرائهم، زاعمين أن الدولة الجزائرية لم تبسط سيادتها على الصحراء، وبالتالي فهي ليست منها ..

فما زالت تلك دعواهم، حي اذكر المفاوضون الجزائريون مولود قاسم، فجاءوا به من الشمال [20] ، ليمدهم بالدليل القاطع، والبرهان الساطع على أن الصفراء أخت الخضراء، فعنت الوجوه، ونكّست الرؤوس، وشهد الفرنسيون على أنفسهم أنهم كانوا كاذبين، فاعترفوا بأن الصحراء جزء من الجزائر، وأحق الله الحق، وأبطل الباطل، وكان جنديه في ذلك هو مولود قاسم.

وجاء نصر الله، فعادت الجزائر إلى محمد ﷺ كما أنشد الجزائريون في سنة 1962، وبعد ثمان حجج من ذلك النصر أسندت وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

إلى مولود قاسم، فحرص في تلك الوزارة على أن يتعلّم التلاميذ - والجزائريون عموما - ما حرم منه آباؤهم من معرفة تاريخهم بسبب سياسة عدو حاقد، وتنكر " ابن" جاحد.

مكانة التاريخ وقيمته في فكر مولود قاسم :

يحتل التاريخ مكانة هامة في فكر مولود قاسم، ولعلّ هذه المكانة هي التي جعلته يهجر الفلسفة التي درسها ويولّي وجهه شطر التاريخ، لأنه ((مرآة الماضي، ومنهاج لاستخلاص التجارب))[21] ، ولعلّ سبب اهتمامه بالتاريخ، إضافة إلى حالتنا الجزائرية الخاصة، حيث حرمنا من معرفة تاريخنا: يعود إلى إدارك مولود قاسم أن الفلسفة هي مادة نخبوية : أما التاريخ فهو يشمل الأغلبية الساحقة من الناس : فهو بالنسبة للأمم ((بمثابة العقل للأفراد))[22] . فهل يمكن لفرد أن يعيش معيشة سوية بدون عقل ؟ ولذلك فمولود قاسم يوافق الإمام عبد الحميد بن باديس في جعل معرفة تاريخ الوطن في درجة الواجب، فيورد كلمته : ((والنسبة للوطن توجب علم تاريخه)) [23] .

إن مولود قاسم يعتبر التاريخ هو : ((الأهم في كل ثقافة، والبداية والنهاية، وبيت القصيد، والزبدة من الكل، ليس فقط لاستخلاص الدروس، ولا فحسب للتعريف بأجدادنا: ولكن أيضا لغرس الاعتداد بالنفس، وتعميق الوعي بالذات، وتقوية الاعتزاز بالوطن، والتشرف بالإنية والأصالة، أو بطاقة التعريف لأمة كاملة مجيدة))[24] . وهو لايقول ذلك من باب الترف الفكري أو التفلسف العقيم: بل لأن للتاريخ أثرا في حياة الأمة فهو ((الإسمنت الروحي- إذ فيه الدين أيضا — والإيديولوجي والسياسي، لتقوية وحدة الأمة، وتعزيز تماسكها، وتوطيد أركانها، وتعميق الوعي بتلك الوحدة، وإذكاء الإحساس بذلك التماسك، مما يعطيها في الداخل تصورا واحدا للحياة، ويجندها ويبرزها للخارج كرجل واحد لتحقيق ذلك التصور بإرادة فولاذية، وعزم صارم، وتصميم جماعي موحد))[25] . ولذلك كان مولود قاسم يردد هذه الجملة ويكررها في تدخلاته وهي:

((فالتاريخ، ثم التاريخ، ثم التاريخ))[26] . وقد جرفه الحماس ذات مرة فأقسم بالتاريخ، بالرغم من علمه حديث رسول الله ﷺ القائل : ﴿ من كان حالفا فليحلف بالله ﴾. فقال: ((لا وربكم، لا والتاريخ))[27] من أجل ذلك يعتبر عدم كتابة تاريخنا، والاستهانة به ((إجراما منا))[28] .

أعماله لتجسيد مكانة التاريخ، وإبراز قيمته :

لقد آمن مولود قاسم إيمانا لا ريب فيه بأهمية التاريخ ودوره في حياة أي مجتمع، وقد عمل كثيرا لإبراز هذه الأهمية، وتجسيد هذا الدور، ومن أعماله في هذا الميدان :

1- إصداره مجلة ((الأصالة))، التي كان التاريخ أحد أبرز محاورها، بل لقد كانت بعض الأعداد مخصصة كلّها للتاريخ، فأصبحت أحد أهم مراجع التاريخ الوطني.

2- دعوته إلى تغيير العطلة الأسبوعية من السبت والأحد إلى الخميس والجمعة، فكتب مقالا تحت عنوان ((جمعة أو أحد))[29]. وقد رد فيه على من يعتبر هذه الدعوة من الشكليات قائلا : ((إن غلواءكم في التضحية بما تسمونه الشكليات كالتعريب، والجمعة، والعادات القومية، قد يحولنا إلى مجموعة أشكال بدون روح)). وناقش كلّ دعاوى الداعين إلى إبقاء العطلة في يوم الأحد، فأبطلها بقوة الحجة وسلامة المنطق. وقد استجيب لدعوته فغيّرت في منتصف السبعينيات العطلة من يومي السبت والأحد إلى يومي الخميس والجمعة. وقد عاد الغربان في هذه الأيام إلى النعيق والنهيق بإعادة العطلة إلى يومي السبت والأحد ..

3- حرصه على أن يكون التاريخ أحد المحاور في كل ملتقى من ملتقيات الفكر الإسلامي التي أنشأها مولود قاسم خلقا آخر، وجعلها ملء سمع العالم وبصره، وقد أشار إلى حرصه ذلك بقوله : ((وفي جميع هذه الملتقيات قاعدة ثابتة، صلبة، قائمة، دائمة، دائبة، تبقى لازمة ملازمة: هي تناول فترات هامة من تاريخ تلك المنطقة بتوسع، وبطريقة شاملة كاملة، بقدر الإمكان، والزيارة لآثارها))[30] .

وكـــم كـــان رده عنيفا شديدا على من اعترض على إدراج التاريخ في جدول أعمال ملتقيات الفكر الإسلامي: ومما رد به على أحد المعترضين قوله : ((لا.لا.لا. فإذا كان هذا تصورك عن الإسلام فلست تفهم الإسلام)) ... ((فلتبق في بلدك، ابق هناك، ولا تـــأت إلى الجزائر إذا كنت لا تريد أن تسمع شيئا عن تاريخ الجزائر، وجهاد الجزائر، واستماتة الجزائر))[31] ، والهدف من إدراج التاريخ في ملتقيات الفكر الإسلامي هو تعليم الشـــبان — ذكـــرانا وإناثـــا — هذا التاريخ، الذي قد لا يجدونه في المدارس، وتصحيح الانحرافات التي أصابت هذا التاريخ وتنقيته مما علق به من شوائب.

4- طلـــبه ((من المناضل الكبير والشاعر الملهم الأستاذ مفدي زكريا، صاحب الأناشيد الوطنية أن يضع لنا نشيدا جديدا، يشمل فيه وبه تاريخ الجزائر من أقدم عصورها حـــتى اليوم، مركزا على مقاومتنا لمختلف الاحتلالات الأجنبية، وعلى العهود الحضارية الزاهـــرة المتعاقـــبة، وحاضرنا، ومستقبلنا في كفاحنا لاستعادة جميع ثرواتنا، ومقومات شخصيتنا، وحصانتنا، وبناء مجد جديد لأمتنا))[32] .

وقد أضاف الأستاذ مولود قاسم إلى شعر مفدي زكريا في الإلياذة تعليقات ثرية، وشروحا غنية، تساعد على فهم واستيعاب ما ورد فيها من أسماء، وأماكن، وحوادث ...

5- حرصه على تصحيح التشويه الذي أصاب بعض الأسماء، والمصطلحات، مثل كـــلمة ((الاستعمار))، الذي كان يسميه ((الاستدمار))، ومثل كلمة ((الحصول على الاســـتقلال)). كما دعا إلى تغيير اسم قسنطينة، واستعادة اسمها القديم وهو ((قرطا))، حيث قال في هذا الشأن: ((كم أود لو نرجع لعاصمة ماسينيسا، ويوغرطا، وأحمد باي، وعـــبد الحمـــيد بـــن باديس، اسمها الأصلي ((قرطا))، ونحررها من هذا الاسم الروماني قســـنطينة))[33] . وكذلك اسم مدينة تمنراست، التي دعا إلى تسميتها باسمها الأصيل وهو تمنغست ....

6- كتابته عن تاريخ الجزائر، فقد خصها بثلاثة كتب هي:

أ- ((الجزائـــر))، وقـــد كتـــبه باللغة الألمانية في سنة 1957-1958، للتعريف بالجزائر، وتاريخهـــا، ولـــو كنا على شيء لترجمنا هذا الكتاب إلى اللغة العربية، لأنه أحد وسائل جهادنا، وإذا كنا نحرص على بنادق المجاهدين وألبستهم، وأشيائهم، ونضعها في المتاحف: فيجب أن لا يكون حرصنا على ما كتب دفاعا عن حقّنا أقل من حرصنا ومحافظتنا على تلك الأشياء المادية.

ب- ((ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر 1954))، وقد كتبه بمناسبة الذكرى الثلاثين لاندلا ع جهادنا في نوفمبر 1954.

ج- ((شخصـــية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830)) وهو في جزئين، وقد كتبه لدحض الفرية الكبرى، وهي أننا لم نكن دولة في التاريخ، وقد أثبت فيه بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، أن الجزائر لم تكن فقط دولة عادية : ولكنها ((كانت دولة قمقامة، فلم تكن – فقط- عضوا في مجلس الكبار، ولا فحسب بين الأكابر: بل كانت على رأس الأكابر))[34] .

وأحـــب أن ألفت الأنظار إلى أنّ مولود قاسم هو ثاني اثنين – بعد الأستاذ أحمد توفـــيق المدني- دافعا بحماس شديد، وجادلا بمنطق سديد عن فترة التحالف الجزائري- العثماني، وكان يثور في وجه كلّ من يستعمل جملة ((الاستعمار التركي))، التي أشاعها الفرنسيون وأذاعوها.

لقد كان مولود قاسم يعتبر فترة التحالف الجزائري العثماني أمجد فترة في تاريخنا، فيقول: ((إنه من أزهر حلقات السلسة الطويلة لتاريخنا العريق، عهد عزة، ومجد، وجهد، وجهاد، وشخصية دولية، ووجود متميز بارز، وهيبة عالمية، ومساعدة للضعيف، وهيمنة على قوى الشر في غرب ذلك الوقت وشرقه، وفي شماله وجنوبه))[35] .

إن مولـــود قاســـم – ونحن معه لا يقول إن العثمانيين كانوا ملائكة يمشون في الأرض: ولكـــنهم كـــانوا بشرا ممن خلق الله، منهم الصالحون الذين جاهدوا في سبيل الجزائر، وماتوا من أجلها، ومنهم الطالحون الذين أساءوا السوء، واستعلوا في الأرض بغير الحـــق، ولكـــل نفس ما كسبت، وعليها ما اكتسبت، وليس من المروءة أن نظلم عهدا كـــاملا بسبب تجاوز بعد الأفراد، وماذا نقول عن الجزائريين الذين أذاقوا إخوانهم لباس الجوع والخوف وأرهقوهم صعدا.

إن اعـــتزاز مولود قاسم بفترة التحالف الجزائري – العثماني يعود، في رأيي، إلى عدة أسباب هي:

– إنها أطول فترة في تاريخ الدول التي قامت في الجزائر منذ دخلها الإسلام.

– إنها الفترة التي كتبت فيها الجزائر أمجد الصفحات، وسجلت أعظم البطولات الجهادية ضد الصليبيين الأوروبيين.

– إن الجزائر تمتعت خلالها بقوة كبيرة، وحققت سيطرة مطلقة في حوض البحر المتوسط، مما جعل كثيرا من الدول العظمى– قبل الوسطى والصغرى– تعطيها الجزية عن يد وهي صاغرة. و لا أدل على هذه القوة وعلى هذه السيطرة من استنجاد فرنسا بها عدة مرات ضد إسبانيا وبريطانيا وغيرهما.

– إن الجزائر بحدودها الحالية تعود إلى هذه الفترة..

وقـــد حشد مولود قاسم لهذا الكتاب خاصة مجموعة هامة من المراجع ومعظمها فرنسي من باب ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾.

ولمولود قاسم أيضا كتابان هما:

– ((إنية وأصالة))

– و ((أصـــالية أم انفصـــالية)). وهذان الكتابان عبارة عن أحاديث، وتعاليق، وكلمات، ألقاها الأستاذ قاسم في الملتقيات، و المؤتمرات، ونشرها في الصحف، والمجلات

في مختلف المناسبات، وفي هذه الأحاديث والتعاليق كثير من التاريخ إضافة إلى قضايا الفكر، وشؤون الدين.

تنبيه : يقول بعض الناس إن مولود قاسم ليس مؤرخا، وليسمح لنا هؤلاء أن نسألهم ولا نلزمهم الجواب لأنه سيحرجهم: هل كان كل الذين كتبوا تاريخنا من الفرنسيين مؤرخين؟

إن التاريخ يخبرنا أنهم لم يكونوا مؤرخين، ولكنهم كتبوا عن تاريخنا، ولم نسمع المعترضين على مولود قاسم يعترضون عليهم. ومن هؤلاء الفرنسيين الذين هم محلّ ثقة عند بعض ((الجزائريين)) اميل فيليكس جوتي، وهانوتو، وديبارمي. وأنا أرى أن هذا النقد هو لصالح مولود قاسم، لأنه جاء إلى ميدان هو ليس من أهله، ولكنه أتى فيه بما لم يأت به أهله.

واسمحوا لي أن أقترح على أسماعكم اقتراحين أراهما جديرين بالإجابة، أما أحدهما فهو إطلاق اسم الأستاذ مولود قاسم على جامعة من جامعاتنا، فهو حقيق بذلك، وأهلٌ له، لعلمه الغزير، وجهاده الكبير، في سبيل هذا الوطن العزيز: وأما الآخر فهو إعادة طبع كتابه القيّم ((شخصية الجزائر الدولية، وهيبتها العالمية قبل 1830))، وتوزيعه على أوسع نطاق ليكون أحد الأسلحة العلمية التي يجادل بها شبابنا عن وطنهم وعن تاريخهم.

وأحب أن أختم هذه الكلمة عن هذا الرجل ((الظاهرة)) بأبيات من الشعر قالها فيه الشيخ الدكتور مصطفى أحمد الزرقا، وهي:

هذا الوزير بما حباهُ إلهـــه *** قهر الصعاب بعزمه الغلاب

أسموه " مولودا"، فأصبح والدا *** لمئات آلاف من الطلاب

ركب العزيمة في مدى غاياتـه *** فأتته خاضعة إلى الأعتاب

فشعاره: (وقل اعملوا)، ومناره *** من أخلصوا للواحد الوهاب

ليت البلاد الأخريات يغيرهـا *** منكم نجاح فوق كل حساب[36]

الهوامش

(*) المعـــروف هـــو أن الأســـتاذ مولود قاسم قد تخرج في كلية الآداب، قسم الفلسفة، بجامعة فؤاد (القاهرة)، ولكنه لم ينتج في الميدان الفلسفي، وكان إنتاجه في ميدان التاريخ.

(1) مولـــود قاســـم، نايـــت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف2002 ص 150.

(2) عـــندما أســـس الفرنسيون مكتبة مدينة الجزائر في سنة 1838، قسموا قاعة المطالعة فيها قسمين، أحدهما للفرنسيين والآخر للجزائريين، ووضعوا الكتب المتعلقة بتاريخ الجزائر في القسم الفرنسي أنظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر بيروت دار الغرب الإسلامي1990. ج1.ص16-17.

(3) ذكـــر د/ســـعد الله، في المرجع السابق، ص22،هـــ14، نقلا عن وليام مارسي في كتابه((التاريخ ومؤرخـــو التاريخ)) أن بعض وثائق إدارة الدومين، التي كان يشرف عليها ديفو وجدت تباع في أثناء حـــياته. كمـــا ذكـــر في بعض المصادر أن الجنود الفرنسيين كانوا يشعلون غليونهم بوثائق الإدارة الجزائرية. وما نجا من تلك الوثائق فقد نقله الفرنسيون عند طردهم من الجزائر إلى فرنسا.

(4) هـــو حـــنفي الأحمـــق، الذي كان محاميا، وكتب- في الثلاثينيات- كتابا تحت عنوان: ((رسائل جزائرية)) Lettres Algériennes قدّم له الوالي العام الفرنسي في الجزائر موريس فيوليت.

(5) هو فرحات عباس، الذي ردّ عليه الإمام عبد الحميد بن باديس. وقد اعترف عباس بخطئه، وتراجع عـــن رأيه، وكتب الله له أن يرأس أول حكومة جزائرية مؤقتة(1958)، وأن يرأس أول برلمان جزائري بعد استعادة الاستقلال (1962).

(6) د/صلاح العقاد: المغرب العربي ط3 القاهرة الأنجلو- مصرية 1969 ص 316.

(7) د/ محمد ناصر : رمضان حمود ط1 غرداية المطبعة العربية : 1978 ص214.

(8) عـــرّب هذا الكتاب تحت عنوان : تخليص التاريخ من الاستعمار، ونشرته وزارة المجاهدين، الجزائر 2002. وقد عرّبه الأستاذان محمد هناد، ومحمد الشريف بن دالي حسين.

(9) مولـــود قاسم، نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية، وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 الجزائر، دار البعث 1985 ج1 ص27.

(**) من قبل فيخته، قال علي بن الحسين: ((كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلّم السورة من القرآن)). انظر مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، جمع وتحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمي الرياض مكتب التربية العربي لدول الخليج 1981 ص 21.

(10) انظر رسالة الإمام ابن باديس في كتاب " تاريخ الجزائر في القديم والحديث " لمبارك الميلي. وللتاريخ فإن كتاب ((موجز التاريخ العام للجزائر)) للمؤرخ التونسي عثمان الكعاك أسبق صدورا، 1344هـ ولكن الإمام ابن باديس لا شك أنه يعني أول كتاب لمؤرخ جزائري...

(11) مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج1.

(12) أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر.

(13) ورد اسم مولود قاسم في قائمة تلاميذ هذه المدرسة في قلعة بني عباس انظر : محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية. الجزائر منشورات دحلب 1990 ص80.

(***) عنون مولود قاسم حديثا صحفيا أدلى به إلى جريدة المجاهد اليومية في 13 مارس 1978، بهذه الجملة: ((لسنا يتامى التاريخ)) انظر كتابه: أصالية أم انفصالية ج2 ص 261.

(14) ج1-ص 27

(15) نفس المرجع والصفحة.

(16) انظر ((الثمرة الثانية))،(وهي نشرة سنوية تصدرها جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين) تونس مطبعة التليلي،1948 ص88-91.

(17) جريدة المنار، ع18 السنة الثانية، الجزائر في 27 فيفري 1953.

(18) المصدر نفسه.

(19) جريدة المنار، ع 40 السنة الثالثة – في 10 أفريل 1953.

(20) كان مولود قاسم يعمل في مكتب الثورة الجزائرية في الدول الإسكندنافية.

(21) مولود قاسم، نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 قسنطينة دار البعث 1985 ج1 ص 27.

(22) المرجع نفسه ج2 ص 365.

(23) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(21) المرجع نفسه. ج1 ص 28

(25) المرجع نفسه ج1 ص 27

(26) مولود قاسم، نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية. الجزائر، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية 1980 ج2 ص 30.

(27) مولود قاسم، نايت بلقاسم، إنية وأصالة. الجزائر وزارة التعليم الأصلي...1975 ص 233

(28) المرجع نفسه، ص158.

(29) مجلة الأصالة، الجزائر ع4 أكتوبر 1971.

(30) مولود قاسم، نايت بلقاسم، أصالية أم انفصالية... ج2 ص 207.

(31) مولود قاسم، إنية وأصالة ص 231

(32) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر. سلسلة كتاب الأصالة. الجزائر وزارة الشؤون الدينية 1986 ص15.

(33) مولود قاسم : أصالية أم انفصالية ج2 ص 406.

(34) مولود قاسم : شخصية الجزائر ... ج1 ص 26.

(35) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(36) مصطفى أحمد الزرقا، ديوان قوس قزح (د.ن) جدة، 1996 ص 69.

مولود قاسم وتاريخ الجزائر من خلال كتابه : «شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830»

أ.عايدة حباطي

المقدمـــــة:

يعتـــبر مولود قاسم نايت بلقاسم (1927-1992) من ألمع الشخصيات الجزائرية الـــتي كان لها دورا رائدا في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وله حضور متميز نابع من ثقافـــة عربية إسلامية، كرس نفسه للجزائر والاعتزاز بعروبتها، و إسلامها، و أمازيغيتها خلال أزيد من ستة عقود عاشها.

بالإضـــافة إلى دوره أثـــناء الثورة التحريرية، ساهم و بنفس القوة و الحماس في إرســـاء أسس الشخصية الجزائرية، و إثبات هويتها خاصة في المرحلة الانتقالية — ما بعد الاستقلال- التي كان الجزائريون يتحدون فيها العالم، و يراهنون على مصداقية استقلالهم و جدارتهم بهذه الحرية.

وقـــد تميز مولود قاسم بثقافة متعددة المشارب، ظهرت بشكل جلي في حضوره الدائـــم في المحافل الفكرية والثقافية؛ محاضرا كان أو معقبا، كما ظهرت في كتبه ومقالاته الـــتي تناولت مواضيع مختلفة تخص الجزائر ولغتها وتاريخها وتعاليمها و حياتها الاجتماعية والفنـــية. لذلـــك وصفه المؤرخ "يحي بوعزيز" بقوله:«(هو) عبارة عن موسوعة ودائرة معارف، له في كل علم باع وطرف، و في كل فن رصيد»[1].

وقـــد عـــاش متشبثا بانتمائه العربي الإسلامي، و مدافعا على ثوابت الأمة التي حدد عناصـــرها واسماهـــا "عناصر الإنية" وهي: اللغة، الدين، التاريخ، حب الوطن، و الثقافة المتأصـــلة، و الـــتي عن طريقها —العناصر- يكون للجزائر شخصيتها بين الأمم و يتضح تميزها في المجال الدولي، ومساهمتها في المجهود البشري العام[2].

1- يحي بوعزيز: أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، 271.

2- مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية و أصالة، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1395هـ /1975م، المقدمة.

وكان مولود قاسم من المولعين بدراسة التاريخ، خاصة تاريخ الجزائر عبر مراحله المختلفة، وإن لم يدرسه في أطواره التعليمية ولا الأكاديمية[1]، و إنما سماعا وعن طريق الكتب.

و يبدو أن منبع حبه للتاريخ هو حبه للجزائر، والذي وصفه "أبو القاسم سعد الله" بقوله: «إنه كان يعشق وطنه، ذلك العشق الصوفي الذي يغدو حولا في الذات الأخرى، وماهية واحدة، ومتحدة معها»[2] وقد ترجم حبه للتاريخ الذي كان أهم محاور مقالاته، وكتبه، ومحاضرته في دفاعه عن تاريخ الجزائر من زيف المؤرخين الأجانب، وتنقيته من الشوائب، و إحياء أمجاد وطنه التاريخية و الحضارية.

لذلك سأحاول خلال هذا المقال أن أسلط الضوء على بعض إسهامات مولود قاسم التاريخية، ونخص بالذكر كتابه:«شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، قبل 1830».

أولا: أهمية التاريخ عند مولود قاسم

أعطى مولود قاسم أهمية كبيرة للتاريخ، فرأى أنه الأهم، والبداية والنهاية، و بيت القصيد والزبدة من كل ثقافة ليس فقط للتعريف بالأجداد و الأمجاد، ولا لاستخلاص التجارب، ولكن لغرس الاعتداد بالنفس، وتعميق الوعي بالذات[3].

وقد جعل من التاريخ وسيلة لاكتشاف الجزائر و إبراز ماضيها، وأمجاد زعمائها عبر العصور، ورد الشبهات والأباطيل التي حاكها المؤرخون الأجانب رغبة منهم في تشويه و تزييف الحقائق. ورد بنفس القوة على بعض مؤرخينا الذين سكتوا على هذا

1- درسه في المرحلة الابتدائية عن أستاذة فرنسيين، حاولوا تشويه الكثير من الحقائق التاريخية، كما أنه حاصل على شهادة ليسانس في الفلسفة سنة 1954، من جامعة القاهرة (جامعة فؤاد سابقا).

2- أبو القاسم سعد الله: «سي مولود ظاهرة فذة» نقلا عن: أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم، رمز كفاح أمة، دار الأمة للطباعة و الترجمة والنشر و التوزيع، 1993، ص262.

3- مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830،ج1، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1985، ص 28 .

التشويه و التزييف وأطلق عليهم مصطلحات خاصة: محكدية، والبخسية، و المازوخية[1].

ورأى ضرورة تدريس التاريخ الجزائري بكثير من القداسة، متأثرا في ذلك بالفلاسفة الألمان؛ أمثال الفيلسوف الألماني "شوبنهاور"[2] الذي يقول: «التاريخ بالنسبة للأمم كالعقل بالنسبة للأفراد»، و الفيلسوف"فيخته"[3] الذي يقول بدوره: «إن التاريخ ينبغي أن يدرس ويحب كالإنجيل بنفس التقديس و الإجلال»[4]. كما يستشهد في مواضع أخرى بالمؤرخ الفرنسي "فرناند بروديل" الذي أرخ لتاريخ فرنسا في كتاب من خمسة أجزاء بدأه بقوله: «أحب فرنسا بنفس الحب والهوى والحماس الذي يحبها جول ميشيليه[5]»، ولم يخف بدوره هذا الدافع في كتاباته بقوله: «كتبت في هذا الشأن بقوة وحماس وحب»[6]، كما قال أيضا: «تتحتم علينا كتابة تاريخ يلهب ويحمس و يدفع بنا إلى الأمام، تاريخ يكون لدينا مثل الإنجيل، ويقرأ بنفس الحب، و التقديس، و الإجلال، تمجيدا للأجداد، وحثا لأنفسنا على اقتفاء أثرهم، لنكون جديرين بالانتساب إليهم،

1- وهي من مصطلحاته المتميزة فالمحكدية: هي تعذيب الذات، ومسخها، و إهانة الإنسان لنفسه. و المازوخية وهو مصطلح نسبة لدكتور نمساوي D. Masoch، و التي تعني التلذذ بتعذيب الذات. كما استمد من القرآن أيضا مصطلحا آخر و هو: البخسية من الآية الكريمة: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾، سورة الأعراف، الآية 85، انظر: مولود قاسم نايت بلقاسم: «مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا»، مجلة الثقافة، ع94، 1986، ص 14-15.

2 - شوبنهاور (Schopenhauer)(1788-1860)، فيلسوف ألماني، صاحب مذهب التشاؤم و تعليله وجود تناقض بين عالم الإرادة و عالم العقل، أهم كتبه "العالَم إرادة و فكرة".

3 – فيخته (J.G.Fichte)(1762-1814) فيلسوف ألماني له العديدة من المؤلفات.

4 – عبد الحميد عبيدي: «حياة كاتب وحياة كتاب»، جريدة الجمهورية، 1985/07/13، نقلا عن أحمد بن نعمان: مولود قاسم...، ص 150-151.

5 – جول ميشيليه (Jules Michelet) ، (1798-1874) مؤرخ وكاتب فرنسي عرف بآرائه المتحررة، له كتاب ضخم "تاريخ فرنسا"Histoire de France (1833-1846 في 6أجزاء)، (1855-1867 في12 جزء). وكتاب: "تاريخ الثورة الفرنسيةHistoire de la Révolution Française (1747-1853) من 7 أجزاء .

6 – عمسر الزاوي: «المسخ، النسخ، و الفسخ الثالوث المعلن»، جريدة الجمهورية الأسبوعية، 16-23 أوت 1989، نقلا عن: أحمد بن نعمان: مولود قاسم...، ص224-225.

ونترك شيئ للأجيال المقبلة يضمن استمرارية شخصيتنا»[1].

فالتاريخ عند مولود قاسم ليس علما مجردا يدرس كما تدرس العلوم التجريبية والبيولوجية، بل هو إيديولوجية مرتبطة بالأخلاق، والدين، والمعتقد، وهو روح الأمة وعقلها وسجلها، تتدخل في كتابته و تفسير أحداثه الكثير من الذاتية.

ويبدو اهتمامه بالتاريخ على أكثر من صعيد، فبالإضافة إلى أثاره التي كتبها قبل الاستقلال في مختلف المجلاّت في شكل مقالات ومحاضرات[2] وهي لا تخلو من مواضيع تاريخية. كما أسهم بدراسات تاريخية عن الحدود الجزائرية وبالضبط عن الصحراء، لتكون وثيقة للرد على "لويس جوكس" –رئيس الوفد الفرنسي– الذي أنكر صفتها الجزائرية أثناء مفاوضات إيفيان بطلب من "سعد دحلب" بين أفريل و ديسمبر1961[3]. وبعد توليه حقائب حكومية أثناء الاستقلال كشف من اهتمامه التاريخي فشرع في أحياء ذكرى الزعماء و المقاومين الجزائريين مثل مقاومة الأمير عبد القادر، فاطمة نسومر، المقراني، وبوعمامة ....،وإقامة المهرجانات الخاصة عبر الوطن للتحسيس بماضي الجزائر و بطولات شعبها.

كما دأب على عقد الملتقيات الفكرية التي خص لها بوزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية مديرية خاصة، فكان يدعو لها شخصيات و مفكرين ومبدعين من القارات الخمس ليبحثوا ويدرسوا طيلة اثني عشرة يوما موضوعا محددا، يقسم إلى عدة محاور أبرزها محور التاريخ، لاعتقاده الراسخ بأن التاريخ هو ملح العلوم و الفنون، فيخصصه عادة للمدينة و المنطقة التي يعقد بها الملتقى[4]، ذلك منذ أول ملتقى نظمه، وهو

---

1 – مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالة أم انفصالية، ج1، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1400هـ/1980م، المقدمة.

2 – عددها مؤلفها في ثنايا كتبه، كمقدمة كتاب "إنية و أصالة"، وفي ختام كتابه: "شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830.

3 – أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص9.

4 – يحي بوعزيز: أعلام الفكر و الثقافة، ج1، ص275–278.

الملتقى الرابع[1]. وقد سلطت هذه الملتقيات الضوء على التاريخ الجزائري عبر مراحله المختلفة، إلى جانب مواضيع تخص هموم العالم الإسلامي، والفكر، والحضارة الإسلامية، وعلاقتها بالحضارات الإنسانية و العالمية.

ومن أعظم ثمار هذه الملتقيات كان نظم "مفدي زكريا" إلياذة الجزائر التي ضمت ألف بيت وبيت، وشملت تاريخ الجزائر منذ أقدم عصورها، مركزة بصفة خاصة على مراحل الاحتلال الأجنبية، والعهود الحضارية الزاهرة التي مرت بها الجزائر[2]، وذلك بطلب من مولود قاسم شخصيا، وألقى منها ناظمها –مفدي زكريا– في الملتقى السادس ستمائة وعشرة أبيات بمناسبة الذكرى العاشرة للاستقلال، الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر. العاصمة والمدية وملبانة من طرف "بلكين بن زيري"[3].

كما أثرى مولود قاسم المكتبة التاريخية بالعديد من الكتب التراثية التي تبنت وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية الموكلة إليه آنذاك بنشر عدد من الكتب المحققة[4].

و بالإضافة إلى ذلك سهر أيضا على إنشاء "مجلة الأصالة" و التي داوم على الإشراف عليها عقدا من الزمن (1971-1981)، وقد ساهمت بدورها في إبراز ماضي الجزائر وتاريخها الطويل خلال مراحله المختلفة بأقلام مثقفين ومؤرخين من مختلف دول العالم، كما أنها صقلت أقلام الكتاب وشجعت الباحثين على البحث و الإبداع. وقد وصفها "يحي بوعزيز" في قوله: «(هي)نافذة على الجزائر إلى كل بلدان العالم و صورتها الحقيقية، عرفت أصالة الجزائر وعراقتها في التطور والتحضر و الرقي عبر العصور»[5].

---

1 – تم عقد الملتقيات في مناطق متعددة من الجزائر: الملتقى(4) في قسنطينة، الملتقى(5) في وهران، الملتقى(6) في الجزائر العاصمة، الملتقى(7) في تيزيوزو، الملتقى(8) في بجاية، الملتقى(9) في تلمسان، الملتقى(10) في عنابة، الملتقى(11) في ورقلة، الملتقى(12) في باتنة، الملتقى(13) في تامغست حضره بصفته أستاذا محاضرا.

2 – مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص9.

3 – المرجع نفسه، ص9-12.

4 – فمن الكتب التي تم نشرها نذكر الكتابين الذين حققهما "المهدي بوعبدلي" وهي: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لمحمد سحنون الراشدي. وكتاب "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" لمحمد بن يوسف الزياني. انظر: يحي بوعزيز: أعلام الفكر و الثقافة، ج1، ص275.

5 – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص274.

كمـــا حرص على ظهورها –الأصالة- في وقتها المحدد، وخصص لها موردا ماليا للـــتكفل ولـــو بجزء من أقساطها، وذلك من عائد بيع الكتب التراثية التي نشرتها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، والكتب التي ضمت فعاليات ملتقيات الفكر الإسلامي، وأضـــاف إلـــيها أيضا العائد من بيع كتبه الخاصة؛ ككتاب "إنية و أصالة"، و "شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية"[1] .

ثانيا: التعريف بالكتاب وأهميته

خلـــف مولود قاسم إنتاج فكري لا بأس به، فإلى جانب مقالاته التي نشرها في المجـــلاّت الوطنية والأجنبية، ترك أيضا كتب قيمة تناولت مواضيع مختلفة تخص التاريخ، والحضارة، واللغة...، عبر فيها عن فكره وآرائه. آخرها كتابه: «شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830»، والذي اخترته كأنموذج لكتابته التاريخية؛ لمكانته في التعريف بمرحلة طمسها المؤرخون الفرنسيون وزيفوا حقائقها لصالح تاريخيهم من جهة، ولأهميته لكـــل طالب علم يعتز بعروبته و جزائريته. كما أن الكتاب عرف بشخصية كاتبه و حبه لـــلجزائر، الأمر الذي عبر عنه "يحي بوعزيز" بقوله: «إن الجزائر بالنسبة للمرحوم مولود قاســـم هـــي كل شيء، يغار عليها، وكافح في سبيل تحريرها و إحياء أمجادها التاريخية والحضـــارية، وتحمـــل في سبيل ذلك ما لا يتصور من الأتعاب، و المشاكل والمنغصات، حـــاول أن يـــبرر ذلك في كتابه شخصية الجزائر الدولية...الذي يجب على كل شباب الجزائـــر أن يقـــرؤوه و يعيدوا قراءته ليعرفوا من هو مولود قاسم، وما هو وزن الجزائر وشعبها عنده»[2] .

1-التعريف بالكتاب:

الكـــتاب هـــو:«شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، قبل1830»، لصاحبه مولود قاسم نايت بلقاسم، في جزئيين، الجزء الأول من (256) صفحة، و الثاني من (39)صفحة، وقد أشرفت على طبعه دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، في طبعته الأولى سنة 1405 هـ/1985م.

---

1 - المرجع نفسه،ج1، ص275.

2 - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص275.

وقد زود كتابه بصور لشخصيات جزائرية، و عثمانية، وأوروبية، وأمريكية كان لها دورا في تاريخ الجزائر بشكل سلبي أو إيجابي، بالإضافة إلى وثائق ورسائل ومعاهدات أخذت حيزا هاما من صفحات الكتاب.

وكانت عند مولود قاسم رغبة في تسمية كتابه: «فصل المقال و حد النصال، فيما بيننا وتاريخنا من الاتصال أو الانفصال»، و الذي استوحاه من كتاب للفيلسوف "ابن رشد" تحت عنوان: «فصل المقال فيما بين الفلسفة و الشريعة من الاتصال»[1]، لكنه عدل عنه واختار عنوانا أسهل وأقرب إلى القارئ العادي الذي يفهم من الوهلة الأولى محتواه ومضمونه، فلا يظن أنه كتاب في الفلسفة[2].

ويبدو أن العنوان ينقسم إلى قسمين مرتبطين وهما:

- شخصية الجزائر الدولية: وهو حضورها الدولي بصفتها دولة لها سيادة وحكومة، وحدود تعقد المعاهدات وترسل وتستقبل السفراء، و المبعوثين الأجانب، و تقيم العلاقات الدبلوماسية وهي صفات مشتركة بين جميع الدول.
- هيبتها العالمية قبل 1830: وهو الجزء الأهم في رأي الكاتب و الذي قصد منه الهيبة التي تفرض الاحترام، و الهيمنة التي توحي بالخوف عند الضرورة[3].

وعليه يكون المقصد من العنوان هو أن للجزائر وجود دولي متميز بارز، فرضته على المجتمع الدولي بفضل هيبتها وقوتها ومكانتها، فاستحقت التميز والاحترام.

2- أهمية موضوع الكتاب:

أرجع مولود قاسم رغبته في تأليف هذا الكتاب إلى هوى قديم في نفسه[4]، يعود إلى أيام تمدرسه بالمدرسة الفرنسية التي لقنت الجزائريين تاريخا مشوها بعيدا عن الحقيقة، يهدف بالدرجة الأولى إلى ترسيخ الفكر القائل بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، و أن أجدادهم هم الغاليون، فأثارت تلك الأفكار العديد من التساؤلات عن ماضي الجزائر وتاريخها؟. كما نمّى النضال السياسي للكاتب روحه الوطنية، مما دفعه للبحث عن إجابات.

---

1 - مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج1، ص9.

2 - عبد الحميد عبيدي: «حياة كاتب وحياة كتاب»، جريدة الجمهورية: 1985/07/13، نقلا عن: أحمد بن نعمان: المرجع السابق، ص27.

3 - مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص46.

4 - مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية..، ج1، ص27.

شافية لتلك التساؤلات من جهة، وإيجاد الحجج والأدلة للرد على من يصفون الجزائريين بالصفة الفرنسية. و الذين يشككون وينكرون فصولا من تاريخ الجزائر، فيستبعدون مثلا العهد العثماني في محاولة منهم لإظهار رسالة فرنسا التحضيرية التمدينية على زعمهم، والذين ينكرون وجود الجزائر كأمة و شعب، فأراد الرد على كل هؤلاء بمعلومات أكثر دقة لإثبات بطلان أقوالهم.

كما كانت الذكرى العشرين لاسترجاع الاستقلال دافعا آخر من وراء تأليف هذا الكتاب[1].

وقد تناول كتابه موضوعا حديثا جدير بالبحث و الدراسة[2]، وهو علاقات الجزائر الدولية التي تربطها مع الخلافة العثمانية، وأوربا، وأمريكا وركز بصفة خاصة على علاقاتها بفرنسا، التي افرد لها جزءه الثاني.

وحرص الكاتب على ذكر المعاهدات المسجلة كتابيا بين الجزائر، وباقي الدول مع ذكر تاريخ عقدها، وتوقيعها، وأسماء موقعيها، والمصادقين عليها، وظروف انعقادها، مع الإشارة إلى تنوع علاقات الدولية بين إيجابية و سلبية، وسلمية وحربية، مع ذكر معاهدات التجارة وتعاون والصداقة في حال السلم، والغارات والاعتداءات في حال الحرب[3]، لهدف واحد وهو إثبات سيادة الجزائر، وأنها لم تكن جزء من سيادة أخرى.

وإن لم يحدد الكاتب في عنوان كتابه الفترة المقصودة بالضبط، حيث اكتفى بـ: "قبل 1830"، إلا أنه ركز على العصر الحديث، لندرة الوثائق فيما سبقها من العصور[4]، فاكتفى

1- عبد الحميد عبيدي: «حياة كاتب و حياة كاتب»، جريدة الجمهورية، نقلا عن: عن أحمد بن نعمان: المرجع السابق، ص139-140.

2- تناول هذا الموضوع قليل من المؤرخين الجزائريين مثل:

Sari Djilali : La politique Turque en Afrique du Nord sous La Monarchie de Juillet

خليفة حماش: العلاقات الجزائرية العثمانية، رسالة ماجستير. وجمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا. ومحمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية في الشرق الجزائري. و عائشة غطاس: العلاقات الجزائر الفرنسية في القرن السادس عشر. وأبو القاسم سعد الله: «العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830»، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر.

3- مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ج1، ص47.

4 - مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص47.

بإبـــراز مكانتها وشخصيتها خلال القرون الثلاثة من الحكم العثماني، الذي اعتبرها من أزهى عصور الجزائر، وحلقة من حلقاتها التاريخية، ونفى عنها صفة الاستعمار[1].

وقد اعتمد مولود قاسم على عدد من المصادر والمراجع أغلبها أجنبية (فرنسية، ألمانية، أمريكية، سويدية...) استثمر فيها معرفته الكافية للغات متعددة؛ ومنها كتاب لـــ: "ريفتيليوس" (Reftelius) — قنصل السويدي في الجزائر– تحت عنوان: "وصف تاريخي وسياسي لمملكة ومدينة الجزائر،1516-1732"

Historisk och politisk beskrifning eover riket och staden Algier (Stockholm1737)

(DE la Neuville : Histoire de Hollande, Amsterdam,1704.

ومراجع أخرى لا تقل أهمية ككتاب للمؤرخ الألماني:

Juri Semjonow: Glanz und elend de franzoesischen koloniabriche.

Ray Irwin :the Diplomatic relations of United States, with Barbary powers 1776 -1816.

ومؤلف آخر:

De Martens : Recueil des principaux traites :textes de la révolution française.

بالإضافة إلى عدد قليل من المراجع العربية، كأحمد توفيق المدني:حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر واسبانيا. وعبد الجليل تميمي في كتابه: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1876.

وقد برر المؤلف اعتماده الكبير على المصادر و المراجع الأجنبية، رغبة منه في إيجاد ما يثبت مكانة الجزائر وهيبتها من التناقضات التي يقع فيها نفس المؤرخين الذين يشوهون حقائق تاريخنا، وعلى حد تعبيره: «من لحيتو بخرلو»[2]، حيث يذكر الأقوال والنصوص التي

---

1 - واتفق في ذلك مع "أبو القاسم سعد الله"، ولكنه خالفه الأخير في كونه حكما غربيا، وحكامه غرباء عنا. انظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص14. وانظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط3، دار الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 61- 64.

2 - عـــبد الحمـــيد كاتب:«حياة كاتب وحياة كتاب»،جريدة الجمهورية، نقلا عن أحمد بن نعمان:المرجع السابق، ص 149.

يستشهد بها المؤرخون الأجانب، ثم ينفي كلامهم ويثبت تناقضهم من نفس الأقوال والنصوص.

ثالثا: عرض ونقد الكتاب

نحاول هنا أن نعرض ما جاء في الكتاب عرضا موجزا، قد يكون مخلا، ولكن نرجو أن يعطي فكرة عن مجهود قام به المؤلف.

وفي البداية يجدر بنا أن ننبه إلى عدم التزام الكاتب بالقيود الأكاديمية؛ لا في تقسيمات مادته العلمية، ولا في المقدمة أو الخاتمة، وإن واظب على توثيق معلوماته ونصوصه التي نسبها إلى مصادرها ومراجعها.

فقسم جزأه الأول إلى مقدمة، ومدخل، ثم تناول بعد ذلك علاقات الجزائر مع الخلافة العثمانية، والدول الأوربية، ثم مع أمريكا.

وقد استهل كتابه بشاهد يناسب موضوعه وهو ما جاء على لسان "عبد الحميد ابن باديس" في تنوهيه بكتاب أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا، والذي تناول فيه إلى جانب التعريف بالشخصية، المرحلة العثمانية، كما أشار — ابن باديس- إلى ما لحق تلك الفترة من تشويه و تزيف.

أما المقدمة فبين فيها "مولود قاسم" القصد و الهدف من الدراسة، كما أدرج نماذج عن المنكرين لماضي الجزائر مثل: "غوتيي"(Gautier)، و "جوليان" (Julien)، و"دغول"، ورد عليهم بشكل مختصر، كما أشار إلى علاقات الجزائر بالمجتمع الدولي فعدد المعاهدات التي عقدتها الجزائر مع أمريكا، وأوربا (هولندا، انجلترا، فرنسا..)، كما مهد في مقدمته لمسألتين هامتين لإعداد القارئ لهما وهما؛ مسألة المروحة التي احتجت بها فرنسا. والرد على القائلين بكره الجزائريين لعهد الدايات، وقد خصوا "الأمير عبد القادر" بقولهم بعدم اعترافه بالعهد العثماني. وفي ختام مقدمته نوه بأهمية التاريخ في حياة الأمم والشعوب.

أما المدخل فقد قسمه إلى عناصر جزئية ترتكز كلها على فكرة هيبة الجزائر، ووجدها الدولي المتميز تحت عناوين فرعية متسلسلة، فبين في البداية عظمتها التي مكنتها من الاعتراف باستقلال دول تعد اليوم الأقوى عالميا، كفرنسا، وأمريكا، و التي تطاول مؤرخوها على الجزائر، فنفوا وجودها كأمة مستقلة لها ذاتها، وأكدوا على فكرة تكوينها ابتداء من 1830، أمثال "موريس طوريز"، و "إدغـــار فور"، و"شارل دغـــول" و"فاليري

جيسكار ديستان"...، كما ذكر أمثلة أخرى عن شخصيات عربية، وجزائرية انساقوا بدورهم مع المشككين في حقيقة ماضي الجزائر؛ "كفرحات عباس"، "محمد حسنين هيكل"، و "صلاح منتصر".

كما تناول أيضا عراقة الأمة الجزائرية، فألقى اللوم في البداية على الأجداد والسلف لعدم تسجيلهم الأحداث تواضعا منهم أو جهلا بقيمة التاريخ. وبين الأسلوب الذي كانت تخاطب به دول العالم الجزائر لكسب ودها ورضاها.

وقد ذكر الأدلة على وجود الجزائر وهيبتها من مبادرتها التي وضعت حدا للمد الصليبي (الإسباني والبرتغالي)، وذلك باستدعاء البجاويين كلا من: عروج، خير الدين، إلياس، وإسحاق، وكان لهؤلاء الأبطال دورا هاما في استقرار الحكم العثماني في الجزائر وباقي دول المغرب.

كما تحدث الكاتب خلال هذا المدخل عن البحرية الجزائرية، التي كانت على قدر كبير من التنظيم والقوة فردت أغلب الغارات الأوروبية والأمريكية على السواحل الجزائرية بشهادة المؤرخين الأجانب.

وبعد هذا المدخل تطرق الكاتب للعلاقات الدولية التي تربطها بالخلافة العثمانية، والدول الأوربية (كإيطاليا، البرتغال، ألمانيا، الدانمرك، السويد، هولندا، إسبانيا، انجلترا، ثم أمريكا) بكثير من التفصيل، حيث يبدأ بإعطاء نبذة تاريخية عن بداية العلاقة التي تربطها – الجزائر – بتلك الدول، ويحصي عدد المعاهدات التي عقدتها الجزائر مع كل دولة، و التي تنوعت بين معاهدات هدنة، وسلم، و تجارة. وفي سياق ذلك عدد أيضا الغارات التي كانت تتعرض أو توجهها البحرية الجزائرية.

أما الجزء الثاني من الكتاب فقد خصه للحديث عن العلاقات الجزائرية الفرنسية، واعتبره الأهم، وبيت القصيد، بل عدها –فرنسا– أم البلايا.

وعالج الكاتب في بداية هذا الجزء نشأة تلك العلاقات التي لم تجن منها الجزائر شيئا، وإن اختلف المؤرخون في بدايتها مثل: "دوفو" و" سبنسر"، إلا أنها توثقت وتجددت مع معاهدة "شاتيرلو"(Traite de Châtellerault) وتطورت مع المعاهدات التجارية. وحرصت فرنسا على الحصول على مساعدات عسكرية من الجزائر طيلة قرون متوالية، لكن دون الحد من نواياها العدوانية، التي بدأت منذ القرن الثالث عشر، واستمرت إلى غاية 1830، أين أخفت فرنسا نيتها المبيتة بحادثة المروحة.

وبالموازاة مع نواياها العدوانية غزت البحرية الفرنسية مرات متكررة السواحل الجزائرية، وكان لها سبق في ذلك مقارنة بالغارات التي وجهتها كلا من بريطانيا وإسبانيا.

وعدد الكاتب أيضا وبشكل مستفيض المعاهدات التي عقدها الجزائر مع فرنسا، والتي بلغ عددها أزيد من سبعين معاهدة، منها خمسين معاهدة قبل الثورة الفرنسية. لتتجدد العلاقات بينهما بعد ذلك، فقدمت الجزائر أثنائها لفرنسا مساعدات كثيرة ومتعددة، فإلى جانب المساعدات العسكرية، حصلت على أخرى دبلوماسية تتمثل في أول اعتراف دولي من الجزائر، وتجديد صلاحية جميع المعاهدات الجزائرية الفرنسية المنعقدة قبل الثورة، وإعلان دعمها للجمهورية الجديدة أمام العالم بغرض فك العزلة السياسية عنها، كما قدمت لها مساعدات اقتصادية و مالية في شكل قروض نقدية، و مادية، ومواد عسكرية وحربية.

لكن ابتداء من 1798 عرفت تلك العلاقات منحا آخر، تلاحقت فيها الأحداث؛ كموت الداي "حسين" و قيام "نابليون بونابرت" بحملته العدوانية على مصر، مما أثر سلبا على العلاقة الفرنسية الجزائرية. وأحصى الكاتب في هذه المرحلة عشرين معاهدة بما في ذلك معاهدة الاستسلام 1830، والمعاهدات التي عقدها الأمير عبد القادر؛ كمعاهدة "دي مشيل"، و "تافنا"، وتلك التي عقدها مع "لاموريسير" التي وضع على أثرها سلاحه، وختم معاهداته بذكر معاهدة إيفيان 1962.

وتعرض الكاتب أيضا في هذا الجزء لمسائل متعددة رد فيها على افتراءات بعض المؤرخين، فأكد على فكرة استقلال الجزائر عن الخلافة العثمانية، بدليل إعلانها للحرب، وتوقيعها على المعاهدات، وإقامة التحالفات دون الرجوع إلى تفويض الخلافة. لأنها في رأيه ليست أيالة عثمانية، ولا تابعة لها، بل دولة مستقلة لها الحكومة، وعلم، وعملة خاصة بها.

ونفى أيضا عن دايات الجزائر في العهد العثماني صفة الإقطاعية، و الاستبدادية، مستدلا على ذلك، برفض الداي "محمد عثمان" عقد معاهدة سلم مع أمريكا مقابل المال. ورفض الداي "حسن" عقد معاهدة مع "جورج واشنطن" -رئيس الولايات المتحدة الأمريكية- حتى ولو دفع له الملايين. و إعلان الداي "الحاج علي" الحرب على أمريكا لعدولها عن شرط من شروط إحدى معاهداتها مع الجزائر، وهو دفع الإتاوة المتفق عليها في شكل عتاد، ورغبتها في تعويضه بالدولار.

كما رد أيضا على القائلين بأن دايات الجزائر أجانب عنها، بما ساد أوربا نفسها حيث حكمتها أسر أجنبية كلكسمبورغ، و هولندا، و السويد...

وبين بعد ذلك إيجابيات الحكم العثماني من الناحية الثقافية والاقتصادية، ورد على القول بعدم استقرار واضطراب الجزائر في عهد الدايات.

وقد جمع مولود قاسم في ختام كتابه عصارة جهده في خلاصة ضمنها أهم النتائج التي احتج بها عن الجزائر وهيبتها العالمية.

وفي الأخير تطرق لفكرة في غاية الأهمية و التي عنونها "هكذا الأمم بتاريخها ونحن أعداء الوثيقة" فعبر فيها عن واقع نعيشه حيث أهملنا الوثائق جهلا بقيمتها ودورها في إثبات تاريخنا، كما أراد أيضا استفزاز الهمم وتحريكها لزيادة الاهتمام بالوثائق.

وأخيرا يبدو لنا أن الكاتب قد وفق في عرض كتابه الذي هو جدير بالقراءة والاطلاع، حيث يحتوي على حقائق وتحليلات وردود و استنتاجات قيمة تنم عن وعي الكاتب وجهده الواضح لاستعاب تاريخ الجزائر عامة، و العهد العثماني خاصة. فقد استطاع الكاتب من خلال تناوله للفترة العثمانية، أن يكشف اللثام عن حلقة من أهم الحلقات في سلسلة تاريخ الجزائر، مما يحقق على حد تعبيره وحدتها التاريخية —الجزائر—.

وقد حرص الكاتب على الاستشهاد بنصوص لمؤرخين أجانب للوصول إلى حقائق معينة، فرغم طول تلك النصوص المنقولة، إلا أنها كانت شهادات حقيقية تدعم رأيه وتخدم أفكاره، كما يبدو حرصه الشديد على ضبط المفاهيم والتدقيق في المعاني و تتبع المتشعب من الأفكار.

وكما تعرض الكاتب لعلاقات الجزائر مع المجتمع الدولي فذكر المعاهدات والغارات التي أحصاها حسب تسلسلها الزمني مما يوحي بتحريه لأكبر قدر من الدقة، فإنه نجح أيضا في نقل الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العالم عامة والجزائر خاصة طيلة ثلاث قرون، وعرفنا خلال نفس الحقبة بأسماء القناصل والسفراء الذين استقبلتهم أو أرسلتهم الجزائر نحو مختلف دول العالم، وأسماء دايات الجزائر وملوك ورؤساء دول العالم.

لكن هناك بعض الملاحظات تجدر الإشارة إليها أهمها: أن الفترة التي تناولها الكاتب كما جاء في عنوان كتابه "قبل 1830" لم توضح البداية المقصودة من البحث وإن ركز في متن كتابه على المرحلة العثمانية، وهي الفترة التي توفر له فيها الوثائق.

كما قام بترجمة ما جاء في الكتب باللغات الأجنبية من نصوص ومعاهدات، ففوت بذلك الفرصة على من لا يتقن تلك اللغات الاستفادة منها، كاللغة السويدية، والألمانية...

وقد غلب أيضا على أسلوب الكاتب التكرار، حيث يميل إلى تكرار بعض أفكاره أكثر من مرة، كتكرار الاستشهاد ببعض النصوص، كما بدا واضحا في كتابه الأسلوب الأدبي، حيث يستعمل عبارات أدبية مبالغ فيها، التي تبعده عن الموضوعية، وتوقعه في التناقض مع المنهج التاريخي. وتبعا لأسلوبه الأدبي فإنه يميل أيضا إلى الكلام المسجوع، فلا تخلو فقرة من فقراته من السجع و الكلام الموزون.

ونخلص في الختام إلى أنه بالرغم من عدم دراسة مولود قاسم للتاريخ ومناهجه إلا أنه وفق إلى حد كبير في طرح هذا الموضوع، الذي انطلق في دراسته من حبه للجزائر، وحماسه للرد على الافتراءات والتشويهات التي لحقت الجزائر و تاريخها.

ويعد الكتاب فتحا لآفاق أخرى أمام الباحثين والمهتمين لتناول جزئيات هذا الموضوع وتشعباته المختلفة الكثيرة بشكل أكاديمي موسع ضمن الرسائل الجامعية.

الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم

والفكر الفلسفي

إشكالية الخطاب بين الفيلسوف الألماني فيختيه ومولود قاسم نايت بلقاسم.

د. الأخضر شريط
جامعة الجزائر

تمهيد :

يهدف هذا البحث إلى إبراز مفهوم الخطاب كما رسمه الفيلسوف الألماني فيختيه وكما ضبطه مولود قاسم نايت بلقاسم. وقبل هذا يبرز المنابع الأولى لفكرة الخطاب بينهما كما يأتي على خاصيات الخطاب: أشكاله وأنواعه بينهما والمتداخلات فيه مع الوقوف على المفارقات بينهما ليستل شيئا ملموسا هو ناتج عن إجراء هذه المقاربة في الخطاب للأمة الألمانية وفي الخطاب للأمة الجزائرية.

ونقيم هذه الدراسة متعللين بأمثلة من الجانبين.

فإذا كان خطاب فيخته قد ساهمت في نحته الفلسفة العقلية النقدية فهل من وقع لهذه الأخيرة على خطاب مولود قاسم ؟ وإذا كانت منابع الخطاب عند الأول مختلفة منه عند الثاني فإلى أي مدى نحتت منها الذات المولودية ؟

وكي نجيب على الإشكالية السالفة الذكر سنعتمد على المصادر الرئيسة في الموضوع. أيضا سوف نعتمد على المنهج التحليلي النقدي والمقارن من حين لآخر.

أولا: في التعريف بالفيلسوف فيختيه والمفكر مولود قاسم والخطاب

بخصوص الفيلسوف الألماني فيختيه (جوهان غوتليب)Ficht, J,G(1762م-1814م) فهو فيلسوف ومنظر مثالي وهو أيضا منظر السياسة والأخلاق. فبدافع من حبه للبشرية، وفي ظروف جد متواضعة، أمكن له أن يدرس. عانى المحن وويلات الحرمان المادي، حتى التقى بكانط (عمانويل) (Kant, Emmanuelle) الفيلسوف الألماني صاحب الفلسفة العقلية النقدية. نشر على إثر ذلك "نقده لكل إلهام"(sa critique de toute revelation) سنة 1792. هذا المقال الذي صدر دون اسم لمؤلفه وزع أولا

على كونيقزبارغ Konigssberg وتعود هذه المدونة بالأصل إليه. وفي سنة 1793 عين أستاذا للفلسفة بعينه Iena وأجبر على الاستقالة في سنة 1799 بعد أن اتهم بالإلحاد، وعلى الرغم من ذلك فلقد أصبح في مابين 1805-1810 رئيسا للجامعة الجديدة ببرلين، وهو الرئيس الأول لها.

وخلال هذه المرحلة كانت حملات نابليون تهدد استقلال الدويلات الألمانية وكان إثر ذلك فيختيه يدافع بكل قوة عن تطوير الشعور الوطني الألماني في "خطابات إلى الأمة الألمانية " الذي سيكون له أثره المعتبر على التطورات الداخلية للتاريخ السياسي الألماني(pangermanisme) .

إن فيختيه واضع النسق، ففي مبادئ المذهب العلمي 1794 المشهود بتأثير الدياليكتيك المتعالي الكانطي يصوب التتويج لكل التوجهات الفلسفية الممكنة لنسق المعرفة بكيفية طرح المبادئ النظرية للفلسفة الأولى....الخ.

وما يهمنا هو كتابه خطابات إلى الأمة الألمانية فهو آخر مؤلف له، ويجمع الخطابات الأربعة عشر وهي عبارة عن وعض حقيقي وتربوي، كان يلقيها كل يوم أحد بأكاديمية برلين. حيث استغرقت من 13 ديسمبر1807 إلى 20 مارس 1808 أمام جمهور متلهف لأفكاره. الملاحظ أن النموذج أو المثال الثوري قد أصيب بخيبة أمل. هذه الخيبة إنما كانت له من ظروف تاريخية هي : فبعد انهزام بروسيا سنة 1806 وأصبحت برلين محتلة من طرف جيش نابليون كان على فيختيه أن يجدد التساؤل عن التواجد الثقافي والعسكري الفرنسي. وكان عليه أن يتساءل عن الخيانة المجسدة لمثل الثورة الفرنسية وكذا عن خيانة العقلانية النقدية وحتى أيضا الاستعمال المفرز عن عصر الأنوار. وعليه فلقد علق فيختيه المسؤولية على المناوئين التاريخيين للأنوار والذين ترتب عليهم الانهيار والسقوط الحالي للأخلاق وللدين حيث أنه كان عليهم أن يحققوا مملكة الرب . ولم يكن الأمر في شيء متعلق – في نظره – بالطعن في المتناقضات السياسية والعسكرية الخارجية. لكن برفع النداء كي يقرر الشعب مصيره. وحتى يؤطر طرحه ، انتقد فيختيه اللغة والحضارة الفرنسية من جهة ، ومن جهة أخرى صب جام غضبه النقدي على أذيال الجرمانية من أصحاب الرومنطيقية الألمانية. وكان قاصدا بالضبط كلا من هاردر Herder ونوفالي Novalis وجيستيس موزر Justuce Moser ، في الحقيقة كان ضد " le sturum and drange".ففي رأيه فإن هؤلاء لم يستعملوا اللغة الألمانية وحدها أحسن استعمال،

والتي " وجدت فقط للتعبير الحقيقي ". وعلى ألمانيا أن تأخذ بزمام الأمور ليس فقط في المجال المعرفي لكن أيضا في عالم السياسة .

ثم ظهر بعدئذ فيلسوف كبير هو فيخته (1762-1814). وكان كانطيا محضا في البداية ثم تطور بعدئذ كما يحصل لكل التلامذة العباقرة واستطاع اكتشاف خطه الخاص في الفلسفة. وقد اشتهر فيخته بعدة كتب نذكر من بينها: خطاب موجه إلى الأمة الألمانية، وعقيدة العلم.

واصطدم هذا الفيلسوف بالقوى السائدة في عصره وبخاصة رجال الإكليروس المسيحي الذين ضايقوه بل واتهموه بإشاعة الإلحاد. وأدى ذلك إلى فصله من الجامعة بل وتعرضه للتهديد بالاغتيال. وعقيدة العلم بالنسبة له تعني العقيدة القائمة على العلم والمعرفة الموضوعية. وهي حتما ستصطدم بالعقائد المسيحية الغيبية السائدة. فالمعرفة العلمية غير المعرفة الدينية لأنها قائمة على المحاجة المنطقية والبراهين العقلية، لا على هيبة الأقدمين ورجال الدين.

وأما كتابه الذي يتخذ عنوان «خطاب موجه إلى الأمة الألمانية » فقد أسس للقومية الألمانية بحسب رأي بعضهم. والواقع أن فيخته بعد أن تحمس للثورة الفرنسية ونابليون كبقية فلاسفة التنوير من أمثال كانط وهيغل وشيلنغ راح يهاجم الأمبريالية الفرنسية ومحاولتها السيطرة على ألمانيا. ولذلك ركز على استنهاض الشعور القومي الألماني لكي يؤدي إلى وحدة البلاد المتمزقة إلى العديد من الدول الصغيرة. وقد تحقق هذا الحلم، حلم وحدة ألمانيا، على يد بسمارك في نهايات القرن التاسع عشر.[1]

إذن لقد ظل الفيلسوف الألماني حاملا لفكرة الشعب الألماني، إنه النداء الذي أيقض به النفوس من غفوتها والمشاعر من جفائها . لقد ضل هذا الفيلسوف يعتصر من أجل أن يوقظ تلك الأمة التي تخسر الحرب مع الفرنسيس ذات يوم من أيام حملات نابوليون بونابارت وهو الشيء الذي لن يهضم من الفيلسوف فيخته ولا من أي من الفلاسفة الألمان على اختلاف مللهم وعلى اختلاف توجهاتهم. ونحن نقول ذلك لأن الفلسفة الألمانية كانت شاملة ومتنوعة، شاملة للتيارات الفلسفية حيث تباينت فيها هذه التيارات كلها، وهي متنوعة على كثرتها فهي تتنوع في الخط الواحد. ألم تتوفر العقلية[2] كما توفرت العقلية النقدية ألم تتوفر الشاعرية،[3] والحسيـــة والطبيعية[4]، وفي الآن نفسه متلاقية

في شخصية واحدة ووحيدة أو تشبعت منها شخصية في عمر ما وتشعبت بالتنوع الآخر في فترة زمنية أخرى.

لقد كان فيختيه كما قلنا يعتصر من أجل إيقاظ الأمة، وأي أمة ؟ إنها الأمة الألمانية. تلك الأمة التي عندما نهضت نهضت في كل المجالات الحياتية "حتى أن الألماني يبني بيته واسعا وعاليا و.. حتى يتنفس فيه ويستريح ."

بهذه الخصال كان فيخته يواجه طرفين بل فكرتين اعترضتاه، إنهما فكرة الاحتلال والاستعمار وما خلفه وما يمكن أن يخلفه من جهة. ومن جهة أخرى، تعترضه العقلية المفعمة والمشبعة بالعقل. في تعارض مع الدين[5] وأي عمل يمكنه أن يقوم به من واجب اتجاه هذه الإشكاليات ولن نستطيع التعرف عليه إلا إذا حللناها واحدة واحدة.

فالإشكالية الأولى في الخطاب هي: كيف تبنى الهوية ؟ وأما الإشكالية الثانية في الخطاب: فما هي الزاوية الفلسفية للغة ؟ وأما الإشكالية الثالثة فهي: ما هي الروح الوطنية؟ وأما الإشكالية الرابعة: فما هي الطرق لكل ذلك ؟ أو ما وجه الخطاب لتلك الإشكاليات التي كانت للفيلسوف الألماني فيخته ؟

وأما المفكر الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم[6] " من مواليد: 1927.01.06م بقرية بلعيان من بلدية أقبو (بجاية)، تعلم بالمدرسة القرآنية فحفظ القرآن الكريم بها والتحق بالمدرسة الابتدائية وبمدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين بقلعة آيت عباس.

انتقل إلى تونس سنة 1946م (جامع الزيتونة) فتحصل على شهادة الأهلية، ثم التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة وتحصل منها على شهادة الليسانس في الفلسفة. عند اندلاع الثورة الجزائرية اختارته جبهة التحرير الوطني متنقلا بين سويسرا وألمانيا وبعض الدول الأسكندنافية إلى غاية الاستقلال. وبعد ذلك وفي سنة 1963م عين مديرا سياسيا بوزارة الشؤون الخارجية، شغل سنة 1967م منصب مستشار سياسي ودبلوماسي لدى رئاسة الجمهورية، في سنة 1970م عين وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية إلى غاية سنة 1979م، كما تقلد عدة مناصب نظرا لكفاءته الفكرية والسياسية منها: عضو في اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني ومستشار الإعلام لدى رئاسة الجمهورية، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، عضو مراسل بالمجمع العلمي السوري للغة العربية بدمشق.

ألف كتبا في الفكر والسياسة والتاريخ منها: إنية وأصالة، بعض مآثر أول نوفمبر، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م."[7]

فهو الذي ولد والاستعمار الفرنسي يزهو بمنافسته للمملكة التي لا تغيب عنها الشمس. يزهو بانتصارات الحرب الكونية الأولى. لكن ذاك الزهو إنما كان على أرض ترسخ لدى مفكريه (الاستعمار الفرنسي) وأدبائه وشعرائه أنها أرض أجداده وأرض آبائه. وباختصار أرض الفرنسيين. وأي حراك يمكنه أن يقوم به الجزائري إنه حراك المكبل الذي لا حيلة له.

في هذا المناخ المفعم بـــ "التلوث العسكري" يولد الرجل، ومن المعقولية أن يتساءل عن من هو ؟ عن لغته ؟ عن جبروت "الظرف الاستثنائي: عن الاستعمار الفرنسي" ؟ عن قومه ؟ عن بلده ؟ ويصبح التساؤل هذا مشروعا لما يدرس الرجل الفلسفة وأي فلسفة - وكأن الأقدار تجعل منه الرجل الذي عليه أي يحاكي تلك التساؤلات التي حاول فيختيه أن يحل إشكالاتها. والجو مناسب. وكأنه هو. على الأرض التي ينشأ عليها مولود قاسم طبعا مع اختلاف طفيف في الجو الخاص. وفي التربة الخاصة.

ولنتتبع كل ذلك مع الأخذ بعين الاعتبار المقاربة بين المفكر الألماني والمفكر الجزائري في إشكالات الخطاب.

ثانيا الخطاب في مقومات الشخصية.

لقد قلنا إن أهم إشكال واجه فيختيه حيث تسلح له في الخطاب هو الهوية. تلك الهوية التي كادت تذوب قبل الوحدة الألمانية من جانب، وتلك الهوية التي كادت تغيب على أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر. فماذا عن الخطاب فيها للمفكر الألماني وما ذا عن الخطاب للمفكر الجزائري ؟

هاهو الخطاب من مولود قاسم بخصوص الإنية والأصالة يقول: "ولكن يجب علينا اليوم أن نعترف أنه بعد زوال الخصم واختفائه من سطح أرضنا قد بدأت تلك الحصانة تضعف وأخذ ذاك الشعور بالإنية والأصالة يتضاءل وأصبح الكثير يتساهل في ما لا ينبغي أن يتساهل فيه إطلاقا وبأية صورة من الصور ، إذا لم نرد الامحاء والذوبان"[8]

وهو هنا يوجه خطابه (كلمته) للشعب الجزائري ، إذ ينبه إلى الغفوة التي من الممكن أن تصيبه. لأن الشعب في رأيه قد تنادت فيه الإنية يوم النزال مع العنو الفرنسي. ولكن قد يغفل الآن أي بعد استقلاله .عن هذا الشر (شر المستدمر بلغة مولود قاسم).

ويذهب إلى ضرب أمثلة من الواقع بها يبرهن على صحة طرحه. وأن هناك شعوبا ذابت في الآخر لكنها لازالت متخلفة فلم يعمل هذا الآخر على تحضيرها فيقول " ولقد نجح أعداؤنا عندما عقدوا بعض قادة العالم الثالث وكونوا لديهم ازدواجا في الشخصية انجر عنه ازدواج النقائص والسلبيات وانعدام كلي للمزايا والفضائل إذ تجردوا من مزاياهم ولم يكتسبوا مزايا أسيادهم بدون أن يتخلصوا من عيوبهم التي ضموا إليها عيوب المجتمعات الغربية عنهم والتي حاولوا أن يتقمصوا شخصيتها عبثا وسدى وبقوا في تخلفهم يعمهون[9].

ولا يكتفي مولود قاسم من التنبيه إلى الخطر الداهم الخطر الذي من الممكن أن يداهم شعوبا وأمما انسلخت من جلدتها وظنت أن اتباع وتقليد الغير سوف ينجيها من كبريائه وجبروته وطغيانه، فتصبح متقدمة. وكلا وألف كلا يقول في هذا المعنى " وفي الوقت الذي نرى فيه دولا صناعية دولا قوية متقدمة دولا متينة الأركان ....نجد أفرادا ممسوخين في مجتمعنا يرمون كل نداء عندنا إلى الفضيلة بالتزمت والجمود بل والرجوع إلى القرون الوسطى وعصور الظلام . ذاهبين في جهلهم إلى حد الخلط بين القرون الوسطى الأوروبية والإسلامية ، وناسين أن القرون الوسطى لدى الأوربيين هي عصر الظلمات والتأخر. بينما هي في الإسلام تمثل العهود الذهبية للحضارة والثقافة والنور.

وهو النداء نفسه الذي طالما كان ينادي به الفيلسوف الألماني فيخته في "خطابات إلى الأمة الألمانية". فلقد كان هذا الفيلسوف يخشى من ذوبان الأمة الألمانية في الشعوب الغازية الأخرى وهنا الفرنسيس بالضبط لأن الفرنسيين طالما حاولوا القيام بالتمسيخ[10] وطمس الشخصية الألمانية — طبعا قبل الوحدة الألمانية التي قادها بسمارك.

وهو يؤكد " أن أساس كل خبرة هو النشاط الخالص والمتواصل للأنا والذي بإمكانه أن يكون نابعا من الشعور والوعي في حقيقته أي العقل بفضل حدوسه الثقافية"[11] . نلاحظ من خلال هذا النص كيف أن الألمان حريصون على هويتهم. لأن هذه الهوية – كما جاء في هذا النص– هي التي تخلق النشاط المتواصل ثم هي الأخرى تساهم في بعث الشعور والوعي: الشعور والوعي الحقيقي أي الشعور النابع من العقل النابع من صفاء التفكير. وما كان لأي أن يتجاهل ما لدور هذا الجهاز هذا "السيستام" من أثر ومن تحريك للطاقات، لا سيما منها الطاقة الإبداعية الطاقة الخلاقة كما كان مفكروا الألمان يرشدون .

وها هو المفكر الجزائري لما عرف ما لمكانة الهوية من أساس، ومن قوة. راح يقويها بنداءاته المتعالية ومن صيحاته المرشدة. لقد ظل هذا المفكر يصحح الغير العقلي (الخرافي الاستعماري الشيطاني...) يصححه في كل كتاباته.

وتعالوا نتأمل ما كان يرمي إليه من ضربه للأمم الأخرى بالأمة الجزائرية من أمثلة. أمثلة التقدم والتحضر وأمثلة التخلف والسكون والركود. فيقول ردا على تلك الدعاوى المفلسة. يقول: "وفي الوقت الذي نرى فيه بلدية موسكو مثلا تمنع بيع المشروبات الكحولية قرب المصانع ، والمعاهد العلمية ..... ولا تسمح لغيرها من المحلات الأخرى البعيدة عن هذه الأماكن ببيع الخمور بين الساعة الحادية عشرة نهارا والثامنة مساء ..... نجد أبواقا تدعو إلى التعالي عن مثل هذه السخافات وتطالب باحترام الفرد ليشرب ما يشاء"[12] .

والأمثلة التي يقدمها مولود قاسم في هذا الباب كثيرة ومتنوعة لا يسعنا المقام لتفحصها كلها، لكننا سوف نؤثر مثالين اثنين منها، يضربهما على ما تقدم عليه الأمم الأخرى باستخدام عقلها. لأنه لا دين لها حسب دساتيرها ! يقول: وفي الوقت الذي تمنع فيه جمهورية الصين الشعبية مثلا الزواج بين الصينيين والأجنبيات وبين الصينيات والأجانب، وتمنع فيه داخل الصين مجرد الصلات الودية بين الصينيات والأجانب .... نجد أن المنسلخين عندنا ينادون بما يسمونه تحرير المرأة ....

وفي الوقت الذي نرى فيه حاخام تل أبيب يرفض عقد زواج حفيدة ابن غوريون بضابط إسرائيلي كبير. لأن أمها لم تكن يهودية الأصل ، وفي الوقت الذي يرفض برلمان إسرائيل السماح بتقديم الخنزير في بواخرها السياحية لغير اليهود في جميع البحار لأن دينهم يمنع ذلك، نجد المتحررين لدينا من كل وازع مانع يدعون إلى سعة الأفق وروح التسامح وعدم التعلق بما يسمونه الأفكار البائدة"[13] .

تلك هي بعض الخطابات من المفكر الجزائري مولود قاسم وهي كما نرى مستمدة من الروح العميق للشعب الجزائري. وكان هذا المفكر في دراسته للفلسفة الألمانية اختار ما يتلاءم مع بيئته. ومع ما يساير به مجتمعه، المجتمع الذي ترعرع فيه، والمجتمع الذي باتت خيوط إنيته آيلة إلى الذوبان بفعل "المعامل الاستعماري" من جهة، وبفعل أيادي من جلدته ! تلك الأيادي التي طالما دعت وتدعو إلى التحرر كما دعا فلاسفة التنوير. لكن هؤلاء كانوا داعين إلى التحرر من ربق الكنيسة المسيحية. تلك الكنيسة التي باتت تقف في

وجه العلم والعلماء ! تلك الكنيسة التي أثارت حفيظة التصادم. ولأول مرة في التاريخ بين العلم والدين. في الوقت الذي دعا فيه فيلسوف قرطبة[14] إلى أن الحق لا يضاد الحق، وهو يقصد أن العقل لا يضاد الدين. إنها كما قال صاحب فصل المقال هي الأخت الرضيعة للشريعة يعني الحكمة يعني العقل . وكما جاء في الحديث الشريف: ﴿ **الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها** ﴾.

وبخصوص الإشكالية الثانية في الخطاب فهي اللغة. تعالوا نتأمل ما جاء به خطاب فيختيه إلى الأمة الألمانية وما جادت به قريحة المفكر الجزائري مولود قاسم .

يقول مولود قاسم"..... وقام ابن باديس ليصرخ في وجه الاستعمار وليوجه نداءه إلى الأمة الجزائرية. ذلك النداء الذي يشبه كثيرا نداء فيختيه إلى أمته، الذي يتلخص في قوله المشهور (قول ابن باديس)« إن الجزائر لم تكن فرنسا وليست فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا. ولا تريد أن تكون فرنسا » ، تلك الجمل الثلاثة الخالدة التي يتلخص فيها كل ما قاله فيختيه. وكلمات ابن باديس هي :« الجزائر وطني والإسلام ديني والعربية لغتي» .

ثم يقول: وليس غريبا أن تصبح العربية على ما أصبحت عليه بعد قرن وربع قرن من احتلال من أبشع الاحتلالات خلال التاريخ. خاصة إذا ما تذكرنا ما قاله فيخته عن الألمان وتخوفه من فقدهم للغتهم وهم لم يروا من احتلال نابليون إلا بضع سنوات معدودة"[15] .

وهو أي مولود قاسم ينادي في الأمة الجزائرية كما نادى يوما فيخته إلى الأمة الألمانية فيغوص في التاريخ ليبين لهذه الأمة ما كان عليها أن تتخلى عن لغتها. لأن التاريخ والمؤرخين الفرنسيين وعلى رأسهم المؤرخ الفرنسي بولار Polar في كتابه التعليم في الجزائر L'enseignement en Algérie يؤكد على أن الجزائر " كانت لها مكانة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر: مراكز ثقافية مزدهرة كانت تدرس فيها الفلسفة والآداب والعلوم المختلفة من طب وفلك وطبيعة وسياسة وغيرها من طرف أساتذة لامعين ..... حتى يقول مستشهدا بآخر[16] وكانت تلك الثقافة طبعا بالعربية وطيلة العهد الاستعماري خنقت العربية ومنع تعليمها وكانت المدارس العربية تغلق وأموالها تصادر ومعلموها يلقى بهم في السجون والمنافي.[17] لأن المستشرقة الألمانية تؤكد في كتابها شمس الله تسطع على الغرب على المكانة التي ظلت يوما ما في التاريخ للعرب.

وفي مقال له بمجلة الثقافة بعنوان " اللغة والشخصية في حياة الأمم" يحاول مولود قاسم نفسه أن يقدم لنا فيختيه الفيلسوف الألماني مما له من باع في الخوض في هذه المسائل أي مسألة اللغة والدور الذي تلعبه في حياة الأمم. وهو يعترف أولا أن هذا الفيلسوف قدم أفكارا يمكنها أن تصلح لألمانيا. كما أنها يمكنها أن تصلح لسائر الأمم الأخرى. "والتي كان يرى فيها (أي في اللغة) العنصر الأساسي لشخصية كل أمة تسمي نفسها أمة وتستحق أن تسمى كذالك، فحسب مولود قاسم فإن فيختيه يرى أن وجود أمة من الأمم بوجود إنيتها التي هي شخصيتها وأن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة : الدين واللغة وحب الوطن".[18]

وهي فعلا المقومات التي طالما نادى بها رائد النهضة الجزائرية الإمام عبد الحميد ابن باديس. ويسارع مولود قاسم إلى تحليل عناصر الشخصية والتي رأينا أنها العناصر التي قائمة لدى كل أمة من الأمم، ومنها الأمة الجزائرية.

ثالثا تحليل لأنواع الخطاب

أ- الخطاب في الدين.

يبدأ مولود قاسم بالعنصر الأول والذي هو الدين، فيرى أن فيختيه نفسه يقول "إن تربية الشعب على التمسك بالدين والأخلاق هي أساس الحكومة، وعلى الحكومة أن تؤسس معهدا دائما لهذه التربية الدينية، وهذا المعهد جزء لا يتجزأ من مؤسسات كل دولة حكيمة طيلة دوامها". وإن ظن الدولة (أي الألمانية) بأنها في استطاعتها تسيير الشعب بدون هذه التربية الدينية والأخلاقية، وتهاونها في هذه المسألة هما اللذان أديا بها إلى الحالة التي تتخبط فيها اليوم ".

هذا النص من الفيلسوف الألماني فيختيه يتبناه مولود قاسم ليس لأنه مغرم بهذا الفيلسوف، ولكن لأنه رأى -كما يرى كل صاحب عقل- أن هذا ما يصلح وما تصلح به الأمم، والأمة الألمانية حسب قصد الفيلسوف.

ولكن مولود قاسم يؤكد من خلاله على خاصيتين: أولاهما أن ألمانيا في عظمتها وفي كبريائها وفي قوتها يؤسس لها هذا الفيلسوف ما يمكن أن تبقى به أبد الدهر. كذلك -طبعا- بالاعتناء بأهم مقوم للشخصية ألا وهو عنصر الدين: هذا العنصر الذي كلما تخلت عنه أمة من الأمـــــم إلا ولحق بها الدمار والهلاك. لا لشيء سوى لأن أهم عنصر

مكون للشخصية قد انهار. وليس غريبا أن تكون الدول القوية هي تلك التي اعتنت بدينها.

ثم نلاحظ أن الاعتناء بالدين وأي دين؟ إنه الدين الذي يقول القرآن فيه إنه حرف. ولكن رغم ذلك تلاحظ مدى التمسك به على الأقل في جانبه الأخلاقي. لأن الذي يبقى دائما هو الرابط القوي في العلاقات بين الأفراد، بما يملك من الخاصية الأخلاقية.

ذاك هو الدين الذي يريد الفيلسوف فيختيه أن يكون رأسا في تكوين الشخصية الألمانية. وأما عن دين مولد قاسم فلماذا لا يقوم بهذا الدور؟ أي دور ؟ إنه تمتين العلاقات بين الجزائريين. كأن هذا ما أراد مفكرنا أن يرمي إليه.

وأما عن نوع التربية الدينية فيقول فيختيه " على أن هذه التربية الدينية والأخلاقية لا ينبغي أن يكون هدفها العالم السماوي غير الحسي، إذ أن الحياة أرضية وسماوية ، والذي لا يؤمن بالحياة الأرضية مصيره إلى الزوال السريع "[19]. من خلال هذا النص الذي هو للفيلسوف الألماني تتجلى لنا النظرة العميقة منه للدين وأنه يرد على ذاك الإكليروس المخدر للشعوب باستعمال الدين، وأن الدين للسماء ولا يتدخل في واقع الناس ولا في حياتهم.

والحقيقة هذه تقذفها بعض الدوائر الإكليروسية من أن " الدين لله والوطن للجميع" كما يقول بعض المارقين في مجتمعاتنا العربية الإسلامية.

لكن الفيلسوف هذا وهو من الديانة المسيحية، ورغم ذلك يؤكد على الدور الواقعي للدين، وهو الدور الذي يساهم على الأقل تربويا في تمتين العلاقات الاجتماعية. أوليس الدين في اللغة الأجنبية من ربط الناس بعضهم لبعض. طبعا من أجل تكوين شخصية أية أمة من الأمم. ولقد قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت .. فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والخلاصة في هذا أن الخطاب بين مولود قاسم والفيلسوف الألماني فيختيه واحد والنداء إلى تكوين الشخصية هو واحد بينهما.

وهناك نصوص أخرى من فيختيه يوردها مولود قاسم كلها تصب في تبيين ما للدور الذي من الممكن أن يقوم به الشعب في حياة الدين الحق، وليس في حياة الدين الممتهن من الطغاة والجبابرة لتخدير الشعوب. إنه الدين الذي يصور الحياة الدنيا جهنم،

وأن الطغاة يميلون — طبعا – إلى امتهان الدين واستعماله كمخدر لحرمان ضحاياه من الحياة الأرضية بدعوى أن هناك حياة سماوية تنتظرهم . ولكن علينا أن لا نقبل من الطغاة هذا الامتهان للدين ، كما أن علينا أن نمنعهم من تحويل الأرض إلى جهنم ليشوقونا أكثر إلى الحياة السماوية."[20]

هذا النص يتأكد من خلاله أن فيختيه يشن حملة شعواء –كما يقال– على الدين المسيحي ممثلا بالكنيسة ! تلك الكنيسة التي طالما طغت وتجبرت. وها هي هنا حسبه تمتهن الدين للأسباب التي ذكر.

أود الآن أن أقف على هذا المرض مرض امتهان الدين فيصبح مخدرا للشعوب فمتى يكون ذلك يكون ؟ ذلك –طبعا– لما يصبح الدين لا علاقة له بالأرض وعلاقته بالسماء فقط. والحقيقة أن الدين في حياة الشعوب هو الذي يعيش واقع الناس وهو الذي يعيش دنيا الناس. وهو الذي تعيشه الشعوب، وغير هذا فهو ما يسميه ديننا الحنيف الإسلام " الرهبانية "، تلك التي يتبرأ منها الله سبحانه، وأنه لم يكتبها حتى على النصارى فما بالك بالمسلمين يقول الله عز وجل : (... **ورأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ...**)[21] ، وهي الحكاية التي يجاريه فيها مولود قاسم.

ب– الخطاب في اللغة :

أما المسألة التي كانت مطروحة على فيختيه، وطرحت للأسباب التي ذكرنا على مولود قاسم فهي مسألة اللغة. والحكاية فيها نوردها كما أوردها هذا الأخير. إنه يأتي بنصوص استشهادية من فيختيه، تدل على مدى تمسكه كألماني بلغته، يقول مولود قاسم : إن اللغة الأصيلة في نظره أي في نظر فيختيه هي " رمز وجود الأمة، وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصيلة أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا أو مجرد أشتات فحسب "..ثم يضيف: هكذا يفرق فيختيه بين الألمان الذين هم في نظره شعب أصلي أصيل وأمة، والشعوب الجرمانية الأخرى التي تفرعت عن الألمان واتخذت لغات أخرى. ويضيف مولود قاسم –والكلام له– ويرى –أي فيختيه– أنه إلى عنصر اللغة يضم عنصر التراب، الأرض. ولكن المحافظة على اللغة أهم في نظره ، إذ أن اللغة أو المحافظة على الأصل تؤثر على التراب ، أي الوطن الجديد ، فالألمان الذين هاجروا إلى أمريكا وكونوا هنالك جاليات ومدنا كاملة يتكلمون بلغتهم ، ويحيون حياتهم ، ويحافظون على

تقاليدهم بقوا ألمانا رغم تبدل التراب أي رغم حياتهم في بلاد غير بلادهم الأصلية أما الألمان الذين تغلب عليهم المحتل الأجنبي وأنساهم لغتهم فهم لم يعودوا ألمانا رغم أنهم بقوا في ألمانيا ....

ويورد نصا من الفيلسوف فيخته يقول فيه هذا الأخير: إن اللغة هي التي تكون الإنسان وليس العكس ، وهي التي تؤثر فيه وليس العكس ، فهي صدى روح الأمة وتؤثر في التصورات وتصبغ عليها معاني وألوانا وتعكس عليها أشعة وظلالا خاصة بها، هي التي تجعل الإنسان من هو. وليست مجرد أداة يعبر بها الإنسان عن نفسه بل هي أي اللغة ، الطبيعة الإنسانية التي تبرز منه في شكل أصوات خاصة معينة لا يمكن أن تكون غيرها وبهذه الأصوات الخاصة التي هي صدى الروح بما تحمله من شحنات عاطفية وتصورات ومفاهيم ذكريات مشتركة يتفاهم الإنسان بها على من يشاركونه نفس التصورات ، ونفس المفاهيم والطبائع والتقاليد والعادات والذكريات ، أي مواطنيه ، ولو كانوا ولدوا في قارات أخرى غير قارته".

وهناك نصوص كثيرة يوردها مولود قاسم مستشهدا بها من الفيلسوف الألماني على أن اللغة هي الإنية : إنية أي شعب من الشعوب. والعربية من ذالك إنية الشعب الجزائري .وهو يأتي بنماذج من المحاولات التي طالما ركنت إلى تغيير الحرف العربي بالحرف اللاتيني لاسيما منها في المشرق العربي. وأنه يتهكم من محاولات تبديل العربية باللهجة المحلية. كما يستشهد بأحد المستشرقين[22] الذي فضح هذه المؤامرة. فيقول على لسانه : إن هؤلاء العرب المشرقيين جهلة يريدون أن يقلدوا أتاتورك ، وهم جهلة لا يتطور اللغات وحسب بل وبتاريخ لغتهم وعبقريتها أيضا. ويورد مولود قاسم عددا هائلا من الاستشهادات من الفيلسوف الألماني فيخته تخص اللغة كمبدأ من مبادئ الهوية وهي عديدة. كما قلنا.

وفي مقام آخر يورد استشهادا من فيخته يؤكد من خلاله على تربية الأمة وكيف يجب أن تكون ؟ وما الوسيلة لتحقيق ذلك ؟

إننا سوف نورد هذه النصوص كما أوردها مولود قاسم لما لها من أهمية تؤكد أيضا التشابه في الخطاب بين الفيلسوف الألماني ومولود قاسم :

يقول فيخته "والدولة التي تفرض على الشعب التجنيد الإجباري لرد الغزو المادي مع احترام حقوق الفرد وحريته في الظروف العادية، لا يحق لها فقط بل يجب عليها أن تفرض

عليه أيضا التربية الصحيحة لتحصينه من الغزو الروحي ، وتضمن له الاستمرار والخلود، وكل تربية صحيحة سليمة لا يمكن أن تقوم إلا على أساس اللغة القومية، التي هي القوة الطبيعية الأولى للأمة ! ولأن ضمان استمرار الأمة متوقف كل التوقف على هذه التربية نرى أن حل مشكلة التربية شرط أساسي لحل جميع المشاكل الأخرى، وأن الأمة التي تحقق التربية المثلى هي الوحيدة التي تستطيع أن تحقق الدولة المثلى

ج- الخطاب في الوطن:

هناك خطاب يخص الوطن من الفيلسوف فيختيه وهو محل إعجاب من مولود قاسم سوف نورد أيضا بعضا مما أورده هذا الأخير على سبيل الاستشهاد فقط، فيقول على لسان فيختيه : "فكما أن الدين هو العنصر الدائم لحياتنا الروحية العليا كحياة روحية بمعنى الكلمة ، فإن حب الوطن هو العنصر الدائم والأساسي لحياتنا المدنية كمواطنين"[24] ثم يقف على التساؤل الذي يطرحه فيختيه: من هو الوطني ؟ ثم يجيب أن الوطني هو الذي يعمل على تحقيق هدف الإنسانية قبل كل شيء أمته التي هو عضو منها .إن الوطن خالد هذا الوطن الأرضي الحسي الذي نحن فيه ، وأن الذي لا يحب وطنه ليس له وطن ، وأني لا أرثي كل الرثاء لمن لا وطن له.

إن الذي يريد الخلود لنفسه لا بد أن يريده لوطنه، وأن الوطن لخالد، والحب لا يتعلق بالخالدات. والذي يريد هذا الخلود لوطنه أراد حقا يدركه لا محالة [25] .

إن التركيز بهذا الكم وبهذا الكيف من فيختيه الفيلسوف الألماني لهو التركيز نفسه من المفكر مولود قاسم بخصوص قضية الوطن، فهذا الأخير يجاري الفيلسوف في الخطاب نفسه، وأهم دليل على ذلك أنه لا يقدم له أي نقد عن أفكاره هذه، ولا حتى عن آرائه الخاصة بالأمة الألمانية، والمفكر مولود قاسم هنا يكن الاحترام للتفكير هذا، لأنه تفكير في غاية من الأهمية، دليل ذلك الإعجاب الذي يبديه من هذه الأفكار وهي في رأينا أفكار جديرة بالاحترام. بل نقول دون تحفظ إنها أفكار في غاية بالغة من الأهمية، مما يتأكد معه أن التفكير الذي جاء به والأفكار التي أوردها في كتابه خطابات إلى الأمة الألمانية، هي الأفكار ذاتها التي أتى بها المفكر الألماني بل الجزائري ! مولود قاسم. كل ذلك من أجل النهوض بالأمة الجزائرية. ذاك النهوض الذي رأى فيه المفكر (مولود قاسم) عنوان له وانه النهضة الجزائرية ابن باديس " الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني". بهذه اللبنات الأساسية في تفكير ابن باديس يؤكد المفكر مولود قاسم ما لها من قيمة علمية وثقافية.

والقيمة كل القيمة لها هي القيمة الفكرية. وهي أيضا القيمة المشرفة للشعب. وكل شعب، وبالخصوص الشعب الجزائري.

لا يسعنا المقام في هذا البحث المتواضع أن نلم بكل الأفكار التي أوردها مولود قاسم عن الفيلسوف فيختيه والتي طالما كانت محل إعجاب.

نتائج البحث

إن الخطاب الألماني من فيختيه الفيلسوف خطاب مفعم بحب الدين وحب اللغة وحب الوطن. وأن الخطاب من مولود قاسم مفعم بحب الدين وبحب الوطن وبحب اللغة، طبعا مع التفريق بين دين فيختيه الذي ظل يبحث عنه لأنه لم يجده في الديانة المسيحية، ولذلك اتهم بالإلحاد، ودين مولود قاسم الذي هو الإسلام لكن بشعب متخلف عنه. ولغة الفيلسوف الألماني التي استمد في توجيه خطاباته مركزا فيها على إحيائه باعتباره تمثل وجود الشعب الألماني واللغة العربية التي اعتبرها أيضا مولود قاسم بمثابة وجود للشعب الجزائري لا أداة ووسيلة اتصال فقط . وأما الوطن فلقد اعتبره فيختيه في خطاباته خالدا كما اعتبره مولود قاسم ممجدا وخالدا أيضا. واعتبر الاثنان الوطن هو الأرض التي يحيى عليه أي شعب مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات وطن كل منهما.

إن الخطاب الديني من الفيلسوف فيختيه لغته تتضمن البحث عن الدين الحقيقي وليس الدين بالمعنى المخدر للشعوب وللأمة. وهو الخطاب الذي طالما نادى إليه مولود قاسم .

إن الخطاب ركز في تفكير فيختيه على مقوم رئيسي للشخصية ألا وهو مقوم اللغة. هذا العنصر الذي لا يمكن لحياة أمة أن تستقيم بدونه. وهو خطاب متمسك باللغة الألمانية، ومولود قاسم يتمسك بالخطاب نفسه لكن يركز من خلاله على مقوم آخر للشخصية الجزائرية ألا وهو اللغة العربية.

إن لغة الخطاب عند كل منهما حماسية وهي مبرهنة: في كل الحالات أي ليست حماسية بمعنى صادرة عن العاطفة فقط. بل صادرة عن العقل والإحساسات والمشاعر والعواطف: يمكن القول أنه خطاب إنساني في مرماه.

هوامش البحث

1) رحيم العراقي ، قراءات في الفلسفة المثالية الألمانية، الحوار المتمدن - العدد: 1466 - 2006 / 2 / 19

2) مثل الفلسفة العقلية الفيلسوف الألماني هيجل جورج فلهالم(القرن الثامن عشر)

3) أهم شاعر ألماني في القرن الثامن عشر الشاعر هلدرلين

4) من الأمثلة على ذلك تشيكوف الذي قال قولته المشهورة "وإن الذي خلق ليزحف لن يستطيع أن يطير"

5) الدين الذي عايشه الفيلسوف

6) أنظر لتفاصيل أكثر أحمد بن نعمان مولود قاسم نايت بلقاسم رمز كفاح أمة الجزائر1993.

7) أنر الموقع

http://www.aljahidhiya.asso.dz/encyclop/mifeffat/N_N/MouldKacem_Naitbelkacem.htm

8) مولود قاسم نايت بلقاسم إنية وأصالة، مجلة الأصالة السنة الأولى العدد1، محرم 1391هـ: مارس 1971م ص11

9) المصدر نفسه ص11

10) غير أن أكبر محاولاتهم على الإطلاق هي محاولتهم طمس الشخصية الجزائرية والقضاء على روح شعب وأي شعب إنه الشعب الجزائري.

11) أنظر مادة فيخته في أنكارتا (Microsoft ® Encarta ® 2006. © 1993-2005 Microsoft Corporation. Tous droits réservés).

12) مولود قاسم نايت بلقا سم المصدر السابق ص11

13) المصدر نفسه ص 12

14) ابن رشد أبا الوليد، فصل المقال، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع .

15) مولود قاسم نايت بلقاسم مجلة الثقافة السنة الأولى عدد 3جمادى الأولى 1391هـيوليوا 1971ص31

16) يستشهد بفالسن Walssin وأربان Urbain ومقال "الحالة الثقافية في الجزائر 1830" مجلة التاريخ الحديث والمعاصر، عدد يوليو (سبتمبر)1955.

17) مولود قاسم نايت بلقاسم ، مجلة الثقافة، ص30

18) مولود قاسم ،اللغة والشخصية في حياة الأمم،مجلة الثقافة،السنة الأولى العدد الثاني ربيع الأول1391هـ ماي 1971م.11

19) نفسه ص12

20) نفسه ص13

21) سورة الحديد الآية 27

22) هو المستشرق عبد الله جارماتوس المسلم.

23) المصدر السابق نفسه ص13

24) المرجع نفسه ص13

25) مولود قاسم الثقافة العدد2 السنة 1ص14

مصطلحات ومفاهيم لها دلالات في قاموس مولود قاسم

أ. بوبكر بعداش
جامعة الأمير عبد القادر

إن الحديث عن مولود قاسم نايت بلقاسم –رحمه الله –، لهو حديث عن رجل من رجالات الجزائر الزهاء المخلصين، والوطنيين الغيورين، الذين جمعوا بين جهاد القلم والكلمة، والمواقف البطولية العظيمة. فهو أحد أبناء الجزائر البررة الأوفياء، وسيرته حافلة بالنضال السياسي، و العطاء الفكري، و الثراء اللغوي والمصطلحي، هذا الأخير الذي تفرد به عن سائر أعلام عصره تنظيرا وتطبيقا.

فالرجل يملك ثقافة عالية جدا، في العلوم والحضارة العربية والإسلامية، وفي التاريخ الجزائري أساسا والعربي و العالمي بصفة عامة، وقد دعم هذه الثقافة بإتقانه لعدة لغات من أبرزها الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، والسويدية، والإسبانية.

هذا الذي رشحه لتغيير الكثير من المفاهيم والمصطلحات المألوفة لدى النخبة المثقفة، واستبدالها بأخرى ذات دلالات عميقة وقوية، ورفع اللبس الذي قد يقع حولها عند الأجيال القادمة، التي تقف عند حد المصطلح دون معناه التاريخي، و الحضاري [1].

فاللغة عند مولود قاسم ليست غاية في ذاتها، وإنما هي مجرد أداة للتعبير عما يتمخض عنه التفكير، أو تتدفق به الإحساسات و العواطف، أو بعبارة أخرى أن اللسان ليس إلا الصورة الخارجية للمخ و القلب، مبنى الأفكار و العواطف[2].

إذن فالمصطلح عنده ليس كلمة تقال أو تلقى، بل هو تعبير عن مفاهيم ومعاني لها علاقة وثيقة بالواقع والماضي الفكري والثقافي، والانتماء الحضاري والعالمي.

---

1 - كما عبر عن ذلك بقوله: «وتجدر بنا الصراحة و الاعتراف بأن هذا الاستعمار: قد نجح مع الأسف إلى حد كبير في هذا لدى طائفة من مواطنينا –أي في تغريب العقول-. فإن لم يكن في الميدان السياسي فعلى الأقل في المجالين العقلي و الروحي، في مسخ العقول وغزو القلوب.» انظر: مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية و أصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975، ص19.

2 - المرجع نفسه، ص 19.

فقد حاول مولود قاسم من خلال كتاباته، ومحاضراته، ومقالاته، التأسيس للعلم المصطلحية، أو وضع المفاهيم في إطارها وسياقها التاريخي، و الواقعي، و الحضاري.

هذه المصطلحات التي يمكن أن تشكل قاموسا خاصا بهذه الشخصية الفذة والفريدة من نوعها في تاريخ أعلام الجزائر.

أولا: أهمية المصطلحية في الصراع الحضاري المعاصر

إن إهمال ضبط المصطلحات و المفاهيم بدقة وعناية، أو عدم إدراك معانيها الحقيقية كما هي في ميدان الصراع، يؤدي إلى انهيار تام لأركان العلم، وضياع لمفاهيمه، بل ويقضي حتى على أهم القيّم التي قامت عليها العلاقات الإنسانية بين بني البشر؛ كمحبة العدل، والحرية، وبغض الظلم، و الاستبداد. فعدم التدقيق في المصطلحية يؤدي إلى كارثة علمية محققة في عالم المعلوماتية، وفي مجال العلوم الإنسانية و الاجتماعية.

وما يشهده العالم من تغيرات جذرية في المفاهيم والأفكار؛ يعود بالأساس إلى عدم ضبط المصطلحية، هذه التي تحظى اليوم باهتمام محافل علمية دولية في الشرق أو في الغرب عند أصحاب التخطيط وصناع القرار[1].

و الأمة العربية والإسلامية في نهضتها العلمية و الثقافية و الاجتماعية، بأمس الحاجة إلى ضبط المفاهيم والالتفات بدقة إلى ما يمكن أن يحدثه وضع الألفاظ بإزاء المعاني من خلل في الفهم وقعود عن تحقيق الذات، في عالم مليء بالتخطيط الخفي والظاهر، لشعوب العالم الثالث و بخاصة شعوب العالم العربي و الإسلامي.

وقد تنبه السيد "مولود قاسم" لخطورة المصطلحية منذ زمن مبكر، وحاول أن يرجع المفاهيم إلى حقيقتها، وربطها بمعانيها الواقعية في ميزان الصراع الحضاري الحالي.

ففي محاضرة ألقاها بقصر الثقافة في 03 مارس 1983، بعنوان: "مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا"[2] وبالفرنسية : " Faux concepts fausses formulations concernant notre Histoire "، حيث بين في البداية الترجمة الخاطئة للعنوان -المحاضرة-، وميز بين مصطلح الخطأ والخطيئة فقال:«لكن الإخوان هنا- في وزارة الثقافة والسياحة- فضلوا هذه الصيغة : concepts erronés, formulations erronées و الواقع، من الناحية

---

1 - د. علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1987، ص6.

2 - مولود قاسم نايت بلقاسم: «مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا»، مجلة الثقافة، ع94، 1986، ص11-44.

اللغوية البحتة، أن هذه الصيغة الثانية أدق. ولكني أقصد الخطأ و الخطيئة، لأن ما أقصده ليس فقط الخطأ البسيط"L'erreur" لكن أيضا الخطيئة "la Faute" فعندما يتكرر الخطأ يصبح خطيئة... والمثل اللاتيني يقول:"Erreur humaine est, persévérer diable"، "الخطأ من الإنسان، ولكن الإصرار عليه من الشيطان". ومع الأسف فهناك إصرار لدى البعض منا على هذا الخطأ، ولهذا استعملت كلمة "الخطأ" بمعنى "الخطيئة لا بمعنى الخطأ السهوي العفوي، لكن بمعنى الخطأ الشيطاني الإصراري. ذلك أن الصيغ عندما تكون خاطئة تؤدي إلى الخطأ في المفاهيم عند الشباب وغير الشباب»[1].

ولما سئل من طرف جريدة "الجمهورية في جويلية 1985، لماذا تلحون على استعمال بعض المصطلحات التي لها ما يقابلها بين الجميع، ومتفق عليها؟

أجاب مولود قاسم وهو يؤسس لعلم المصطلحية: عندما أسمع "المعمر" يثور إحساسي اللغوي، كيف عمرونا؟، بل دمرونا، صحيح أنهم عمروا أنفسهم أخذوا أموالنا، واشتروا بها أملاكا في فرنسا...، لكنهم خربونا خاصة في الأمخاخ، إذن فهم مدمرون لا معمرون، ومستدمرون لا مستعمرون، ولهذا قلت في كتابي: "إنية و أصالة" يجب تعريب الأمخاخ والقلوب (بالمفاهيم الصحيحة) قبل تعريب الألسنة، لماذا؟. لأننا تعرضنا مدة طويلة للتأثير الاستدماري[2]، حيث لم يبق لدى بعض النخبة المثقفة مصطلحات ثابتة عن ذاتها وهويتها الوطنية إلا القلة القليلة.

ويواصل مولود قاسم التأسيس لهذا العلم فيقول: هناك كلمات كثيرة شائعة الاستعمال بين أنصاف المتعلمين هي خطأ في نظري، فلماذا لا نختار اللفظ الأليق للمعنى الذي يدل عليه، أي للمدلول بحيث يطابق الدال المدلول ويناسب اللفظ المعنى حسب روح اللغة وعبقريتها، بحيث يكون " الاسم على المسمى" كما تقول العرب![3].

ولقد أحسن التعبير عن هذا المعنى الأستاذ الدكتور "محمد عابد الجابري" حين لخص جوهر الأزمة التي يواجهها الفكـــر العربي المعاصر و كيفية التبعية في المصطلحات،

---

1 - المرجع السابق، ص12.

2 - أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم، رمز كفاح أمة، دار الأمة، للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، 199، ص170. وانظر: مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية و أصالة، ص19.

3 - أحمد بن نعمان: المرجع السابق، ص171.

حيث قال: «إن مفاهيم الخطاب العربي الحديث و المعاصر لا تعكس الواقع العربي الراهن ولا تعبر عنه، بل هي مستعارة في الأغلب الأعم، إما من الفكر الأوربي حيث تدل – هناك في أوروبا- على واقع تحقق، أو في طريق التحقيق، وإما من الفكر العربي الإسلامي الوسيطي، حيث كان لها مضمون واقعي خاص...إن الخطاب العربي عندما يوظف مفاهيم مثل النهضة، والأصالة، والثورة، والمعاصرة، والديمقراطية، والوحدة، إنما يوظف عناصر غير محددة الهوية... لأن مضامين هذه المفاهيم لا ترتبط بواقع موضوعي يمكن الاحتكام إليه بشأنها، و إنما تعود إلى معطيات ذاكرة يمكن أن تتلون»[1] .

فالسيد مولود قاسم كان بعيد النظر فيما حاوله من التأسيس لمصطلحية لها علاقة بالواقع الجزائري و بالذاكرة التاريخية، والسياسية، والثقافية للأمة التي كان ينتمي إليها.

ثانيا: أهم تلك المصطلحات

1– الاستعمار: على رأس المصطلحات التي حاول مولود قاسم تصحيحها في عقول الجزائريين بصفة خاصة، و العالم العربي بصفة عامة، مصطلح الاستعمار.

صحيح أن كلمة الاستعمار بالنسبة للجيل الراهن لها مدلول، لكنها بالنسبة للأجيال المقبلة إذا قَرَأَت هذا، ستقول: عجيب! لماذا طرد الجزائريون المستعمرين؟ كيف يطردون من يعمر لهم بلادهم!. في المستقبل سيتساءل من يقرأ في "لسان العرب" و"القاموس المحيط" و "تاج العروس" فيجد أن كلمة الاستعمار من عَمَّر، ومنها العمران، ووقتها سيقول: الفرنسيون فعلوا خيرا في الجزائريين لماذا طـــــردوهم؟ فالإنسان يجب أن يفكر للمستقبل و للتاريخ[2]، هكذا حاول مولود قاسم وضع المصطلح في سياقه التاريخي الواقعي.

فكلمة الاستعمار تعني بالفرنسيةColonialism، وهي إخضاع جماعة من الناس لحكم أجنبي، ويسمي سكان البلاد المستعمَرين، وتسمى الأراضي الواقعة تحت الاحتلال البلاد المُستعمَرة[3]. ومعناها في "لســـان العرب": أَعْمَره المكان و استَعْمَرَه فيه جعله يَعْمُرُهُ، وفي

---

1 – محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، الخطاب العربي المعاصر، دراسة نقدية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1982، ص182.

2 – أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم، رمز كفاح أمة، ص171.

3 الموسوعة العربية العالمية، ج1، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، الرياض، 1419هـ/1999، ص 718.

التنزيل العزيز: ﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾، (سورة هود، الآية61)؛ أي أذن لكم في عمارتها واستخرج قومكم منها وجعلكم عمّارها[1].

وفي "القاموس المحيط": أعْمَرَه: جعله آهلاً، أعْمَرَه المكان واسْتَعْمَرَه فيه جَعَلَه يَعْمُرُه، وأعْمَرَ الأرض: وجدها عامرة[2].

فالاستعمار من العمران البشري، وقد استخدمه "ابن خلدون" بمعنى التعمير والتنمية والبناء، أما استعماله بمعنى الإخضاع و الاستعباد و السيطرة فهو من باب الخطأ الشائع، والخطأ الشائع لا يتفق عليه الجميع.

وكلمة الاستدمار على وزن الاستعمار، فهي من الدمار، وهي من حيث المعنى صحيحة وصريحة في الدلالة على الواقع الذي عاشته الجزائر وشعبها منذ دخول الاستدمار الفرنسي سنة 1830. ويؤكد هذا ما جاء في لسان العرب: أن الدمار استئصال الهلاك، دمر القوم دمارا: هلكوا، ودمرهم: مقتهم[3]. و في "المعجم الرائد": دَمَّرَ يَدْمُرُ دمارةً: أهلكه، و دمر الشيء أباده وأزاله. ودَمَرَ يدْمُرُ دُمُورا: دخل بغير إذن، ودَمَرَ عليه هجم هجوم الشر[4].

وفي هذا تناقض عجيب بين المصطلح والسياق التاريخي والحضاري، فنقول: الاستدمار تماشيا مع لغتنا و تاريخنا وواقعنا الذي عشناه ردحا من الزمن.

2- الأتراك أو السيطرة التركية: بدلا من الخلافة العثمانية، هكذا يحلوا للبعض إطلاق هذا المفهوم عن العثمانيين الذين ساعدوا، وعاونوا الجزائريين ضد هجمات الإسبان. لما كانت الدولة العثمانية تمثل الخلافة الإسلامية، بل وتمثل أمة الإسلام بصفة عامة، أما من يقول دولة الأتراك فهو يريد أن يفرق بين الخلافة القائمة على أساس الدين وبين الحكم التركي. فالخلافة العثمانية كانت خلافة حقا بمعنى الكلمة، ولكن خصومها حتى من بين العرب في المغرب و المشرق يسمونها حكم الأتـــراك «L'état Turque» ، أو

---

1 - ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، ج1، ص310.

2 - الفيروزأبادي: القاموس المحيط، ج2، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص173.

3 ابن منظور: المرجع السابق، ج2، ص1420.

4 - جبران مسعود: الرائد، معجم لغوي عصري، ج1، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط6، 1990، ص114، ص680.

العهد التركي، و الاستعمار التركي، أو الدولة التركية في الجزائر...إلى غيرها من المصطلحات المتأثرة بالصليبين، والمارونيين، والبابوية، والصهيونية، واللورنسية[1].

وقد كان لهذا المصطلح الغريب الدخيل على مفهوم الخلافة العثمانية؛ أثر بارز في التفرقة بين الأمة العربية والعثمانيين المسلمين في الحرب العالمية الثانية، فبهذا المصطلح ضاعت فلسطين وحصل الشقاق والخلاف في المشرق بين من يسمون عربا، وبين من يسمون عجما مسلمين أو طورانيين. و أصبحت الخلافة العثمانية تسمى بتركة الرجل المريض بعد الحرب العالمية الثانية، يقول مولود قاسم: «فأنا ضد هذه السخافات... لأنها ضد مفهوم الأخوة و الأمة الإسلامية...»[2]، فهو يريد الرجوع بالمفاهيم إلى سياقاتها ومضامينها التاريخية و الحضارية، دون التأثر بما أطلقه الصليبيون، والصهاينة الحاقدون على الخلافة التي تمثل وحدة الأمة الإسلامية و التآمر ضدها بطرق مباشرة أو غير مباشرة.

وقد وقف في وجه هذا المصطلح: "الأتراك" و "السيطرة التركية" و دافع عن التسمية الصحيحة "العثمانيون"، أو "الخلافة العثمانية"، وقال: «نحن دعوناهم وبعثنا إليهم بأنفسنا وفدا وأتينا بهم من تونس وهم عثمانيون أصلهم يونان، ...وجاءوا هنا بطلب منا، ونظموا لنا بحريتنا، ونسقوا لنا نظام الدفاع ضد الصليبين ولولاهم لأصبحنا اليوم على ما أصبح عليه بعض إخواننا. فالدولة الجزائرية العثمانية دافعت عن حرمة الجزائر، وعن حرمة الشواطئ المغربية كلها، وأنقذت عشرات الآلاف من الأندلسيين وحمت حتى المشرق ضد الهجمات الصليبية.... »[3].

وقال في محاضرته "مفاهيم وصيغ خاطئة عن تاريخنا": لقد وضع هذا المصطلح "السيطرة التركية" فعلا في مناهج السنة الدراسية الأولى بعد استرجاع الاستقلال، فكان البرنامج الأول الذي وضع في خريف (1962-1963) لتقديمه في بداية السنة الدراسية، هكذا كعناوين للبرنامج الدراسي:

1- العهد الروماني (Époque Romaine).

2- الغزو العربي (Invasion Arabe)

---

1 - أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم، رمز كفاح أمة، ص156.

2 - المرجع نفسه، ص157.

3 - المرجع نفسه، ص158.

3- السيطرة التركية (Domination turque).

4- وصول الفرنسيين (Arrivée des français).

فماذا يستنتج الشباب؟، وماذا تقول الأجيال القادمة ؟ فبالنسبة إلى الرومان كان عهدا(Époque)، وبالنسبة إلى الفرنسيين الذين أفسدوا البلاد والعباد كان وصولا (Arrivé)، أما بالنسبة للفتح الإسلامي والعهد العثماني فكانا غزوا (Invasion)، وسيطرة (Domination)؛ هذه العناوين وضعها جزائريون بمعية بعض الأساتذة الفرنسيين، ولكن المسؤولية تقع على الأساتذة الجزائريين: الذين وضعوا مفاهيم لا تعبر عن الحقيقة الموضوعية لتاريخنا ولاعن ماضي أمتنا المجيد!!.

إذن فعندما تتأمل هذه العهود الأربعة، وتستعرض تاريخك، تجد أنك بلا تاريخ، تخرج من هذا صفرا، بدون شيء[1].

ويخلص مولود قاسم بعد هذا التصحيح في المفهوم إلى تحميل المسؤولية للجميع، وبالدرجة الأولى الأساتذة منهم الجامعيين على وجه الخصوص، على ما في هذه الصيغ الخاطئة من تحريف تاريخنا و تزييف ماضينا[2].

3- فرنسا التاريخية و الجزائر الفتية : هكذا أطلقها المستدمر في وجه أحد أبناء الجزائر الأوفياء، حيث قال الرئيس الفرنسي[3] : « ها هي فرنسا التاريخية تحيي الجزائر الفتية»[4]، ولا يهمنا في هذا المقام البحث عن تاريخ أمة، مبتورة الماضي اسمها فرنسا[5]، بل الذي يهمنا هو رد مولود قاسم عن هذه الكلمة الظالمة، التي تقزم الآخر، وتعلي من شأن الاستعمار و الطغيان.

ولذلك نجده لا يوافق على وصف الجزائر بالفتية (Jeune)كما يقولون، أي أنها في بدء الطريق خرجت من العدم، و لم تقـــدم للإنسانية شيئا بعد، و لم تساهم في المسيرة

---

1 - مولود قاسم نايت بلقاسم: «مفاهيم و صيغ خاطئة عن تاريخنا»، مجلة الثقافة، ع94، ص14.

2 - المرجع نفسه، ص 17.

3 - جيسكار ديستان فاليري (Giscard d'estaing valéry)، سياسي فرنسي ولد 1926، تولى وزارة المالية و الاقتصاد (1962-1966)و (1969-1974)، ورئاسة الجمهورية الفرنسية (1974-1981).

4 - أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم، رمز كفاح أمة، ص287.

5 - أصـــل تسمية فرنسا ألماني انظر: مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية، ج2، ط1، دار النعمان، قسنطينة، ص310.

الفكرية والحضارية للبشرية، لأنها ولدت اليوم، وبدون تاريخ. ويؤكد على أنها تاريخية (Historique) صميمة، عريقة، شاركت كغيرها من الأمم في بناء الحضارة الإنسانية عبر العصور، وساهمت مساهمات فعالة في الفكر البشري بصفة عامة.

ومن هنا يرفض مولود قاسم القول بأن "الجزائر حصلت على استقلالها سنة 1962"، أو "نالت استقلالها سنة 1962"، ويصحح المفهوم بقوله : استرجعت واستعادت استقلالها سنة 1962، وليس نالت و لا حصلت ولا حتى انتزعت، بل استرجعت ما ضاع منها قبل ذلك، بعد أن انتزع منها، لأنها كانت مستقلة قبل ذلك.

صحيح أن الجزائر فقدت استقلالها 5 يوليو سنة 1830، ثم استعادته واسترجعته يوم 5 يوليو 1962، لأن قولك: إن الجزائر استقلت سنة 1962، معناه أن الجزائر قبل هذا التاريخ لم تعرف أبدا الاستقلال و لم تكن أبدا مستقلة، و لم تكن أبدا دولة، و لم تكن أبدا أمة، وهذا يدعم الدعاية الاستدمارية المتعنتة المصرة على التزييف و التحريف [1].

فهذا هو المصطلح الذي ينبغي أن يستعمل، وينبغي أن يدرس للأجيال وللشباب، لتعرف الحقائق التاريخية بكل موضوعية و إنصاف.

فالأمة الجزائرية مرت بثلاث مراحل أساسية في تاريخها المجيد : مرحلة نشأة الدولة الجزائرية التي كانت موجودة قبل 1453، منذ أجداد ماسينيسا، ، أي قبل الميلاد. ثم جاءت الدولة الإسلامية حيث كنا جزءا منها في العهدين الأموي و العباسي، وفي تلك الحقبة التاريخية تأسست الدول المتعاقبة؛ الرستمية، ثم الزيرية، فالحمادية، والزيانية. وبعدها كانت الدولة الجزائرية العثمانية منذ 1516 [2]. وهذه كلها دول جزائرية متوالية على مر السنين و القرون.

أما إذا قلنا إن الأمير عبد القادر هو الذي أنشأ الدولة الجزائرية الحديثة، فهذا يعني أنه لم تقم لنا دولة قبل ذلك، وهذا نفس ما ادعاه "شارل دوغول" في ندوة صحفية شنيعة حيث قال:

---

1 - أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم، رمز كفاح أمة، ص155.

2 - المرجع السابق، ص 155.

Il n'y eut à aucun moment de l'histoire, sous aucune forme, d'Etat » Algérien»، «لم تكن هناك أبدا، في أي ظرف من التاريخ، وبأي شكل كان، دولة جزائرية»[1].

وهو نفس ما صرح به "جيسكار ديستان" الذي قال أيضا: «إنها ولدت أخيرا»، وزعم "ميشيل جوبير" —وزير الخارجية الفرنسي في عهد "بومبيدو"—، وكذلك "إدغـــار فور" —رئيس الحكومة الفرنسية سنة (1955)— الذي قال عنها: «إنها لم تكن أبدا أمة ولا دولة في التاريخ»[2].

وعكسا لكل هذه الادعاءات فقد كانت الدولة الجزائرية منذ ما قبل المسيح بقرون، قبل الدولة الفرنسية نفسها، واستمرت كذلك عبر مختلف عهودها، وهي دائما تزول مدة ثم تبعث من جديد، أما ما حاوله الأمير عبد القادر فهو بعث الدولة من جديد بعد سنتين منذ دخول الاحتلال (1832)، فأعادها و بعثها من جديد، عندما استلم المقاليد بيده، وقاد المقاومة الشعبية. فهو لم ينشئ دولة من العدم، وإنما بعث الدولة التي كانت قائمة منذ قرون، حتى جاءت مرحلة استرجاع ما ضاع منها سنة 1962 .

فمتى كانت الجزائر فتية كما يزعمون!؟ بل هي تاريخية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، تاريخية في ثقافتها وعراقتها وماضيها المجيد.

4 -إنية[3] وأصالة : هذا المصطلح الذي انفرد به مولود قاسم في التعبير عن الأصالة والمعاصرة، وعنون به أحد كتبه المشهورة، التي ضمنها مجموعة مقالات حول معنى الإنية

---

1 مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية، ج1، ص30-34.

2 - المرجع نفسه، ج1، ص34.

3 - الإنية لغة من أنّى يأنّى أنيا و إنّى وهو أنٌ حان و أدرك، ويقال ألم يأن، و ألن يَن لك، وأحودهن ما نزل به القرآن قوله تعالى:﴿**ألم يأن للذين آمنوا**﴾ سورة الحديد، الآية:16، وهو من آن، يأن، وآن لك، يئن، ومعناها كلها حان لك يحين. وأنى الأمر حان وقته. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص161. وقد استعمل القرآن هذه الكلمة في معنى الوقت وساعات الليل فقال: ﴿**ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى**﴾سورة طه، الآية 130. وقد حاول الفيلسوف "ابن سينا" استعمال هذا المصطلح في الشعور بالذات فقال: «إنك عندما تشعر بانيتك تقول إني، وانيتك تلك المتميزة هي وجودك الحقيقي». وهذا هو الذي بنى عليه "ديكارت" الكوجيتو المعروف: Je pense, » donc je suis «.

والأصالة، والتي تنم عن عمق إدراكه لهذا المصطلح و أبعاده الواقعية والثقافية و الفكرية في حياة الأمة.

فالمزاوجة بين الإنية والأصالة تعني التفتح والعالمية، مع الاحتفاظ بالجذور العميقة للشخصية، كما أن التحديد والمعاصرة لا يقومان إلا على أصول ثابتة، وأسس متينة، وشخصية متميزة، ومن دونهما يكون الإنسان كريشة في مهب الريح، ينحرف في اتجاه التيار الأقوى، ومصيره التبعية العمياء حتى العدم أو اللاوجود، كما هو مصير كل أمة ضعيفة هزيلة مجتثة عن ماضيها.

فمصطلح الإنية عنده هو ذلك الوعي بالذاتية و المقومات الشخصية، و هي التي تحدث عنها "ابن سينا" في كتابه : "الإشارات و التنبيهات" وحلل فيه ثنائية الجسم والنفس، فقد صور الإنسان معلقا بين السماء والأرض، وأن جسمه قد انتزع منه وهو في حكم العدم، ولم يبق له في تلك اللحظة (إنية)، وهو بين عالمين، إلا ذلك الوعي الحاد بوجوده، وشعوره بذاته المتميزة، القائمة، المستقلة عن غيرها[1].

ومثّل مولود قاسم لذلك بالحالة التي عاشها الجزائري إبان الاستعمار، فقد كان معلقا في الهواء بين عالمين، نزعت عنه جنسيته الجزائرية، ولم يعترف به كصاحب جنسية فرنسية — مواطن من الدرجة الثانية –، ومع ذلك كان كأكثر ما يكون اعتزازا بذاتيته، وتعلقا بمقومات شخصيته، من دين ولغة وتقاليد، وبعدًا عن كل ما يمس بها، أو ينال من قدسيتها. ويؤكد هذا المعنى بقوله : «ولقد كنا نقاوم جميع الأمراض الاجتماعية، والآفات المستوردة إلينا، الغريبة عنا، وكان ذلك بدافع الذود عن هذه **الإنية و تلك الأصالة**»[2].

ومن هنا كان الرفض المطلق لكل ما يفصلنا عن محيطنا الطبيعي، ولكل ما يحول بيننا وبين تراثنا الفكري، ولجميع مظاهر الإدماج، والمسخ، والإذابة، و ذلك عند أغلب أفراد المجتمع. وكانت هذه الحصانة الموروثة هي سلاحنا الأول في الحفاظ على أنفسنا وشخصيتنا عبر الحياة و العصور.

أما مصطلح الأصالة عنده فيعني الوقوف على نقطة صلبة بأقدام ثابتة؛ هي الماضي المجيد والتاريخ المضيء، والوطنية الصادقـــة، لنرتو مطمئنين، واثقين بأنفسنا، إلى عوالم

---

1 - مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية و أصالة، ص103-104.

2 - المرجع السابق، ص104.

أخرى نستقي من تجاربها الناجحة، ونتعظ بأخطائها، وهو ما يدعونا إليه الإسلام، وما نجح به السلف الصالح، ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض** ﴾، سورة الحج، الآية 46. ﴿ **أفلا ينظرون** ﴾، سورة الغاشية، الآية 17. أما أن نبقى معلقين في الهواء، ونشرئب من خلال السقف المتروع إلى عالم المجهول، فلن تكون النتيجة إلا الوقوع في الدرك الأسفل والانحدار[1].

هذا ما كان يقصده بالجمع بين الإنية و الأصالة، مع التفتح و العالمية، التفتح الذي يضمن بقاء الإنسان على ما هو من ذاتية، ومكونات شخصية مع الاستفادة من احتكاكه بالغير، ومسايرته الركب الإنساني والحضارة العالمية، ولعل هذا هـــو المخرج الوحيد للإنسانية التي تعاني اليوم أزمات حضارية حادة، تهدد البناء البشري بالتصدع والانهيار.

تلك هي بعض المصطلحات و المفاهيم التي حاول مولود قاسم الرجوع بها إلى سياقاتها التاريخية و الواقعية و الحضارية. وقد تفطن لأهمية تصحيح هذه المفاهيم منذ زمن مبكر ليؤسس بذلك لمصطلحات ذات دلالات عميقة، في الحفاظ على ذاكرة الأمة الجامعية، وحتى لا تنسى الأجيال اللاحقة ما عناه السابقون من انتصارات وشموخ، وانكسارات ومحن في تاريخ الأمة الجزائرية العريق.

وفي الختام أتوجه إلى الباحثين، والمهتمين لصرف الهمة والعناية بهذا القاموس المصطلحي للسيد مولود قاسم، والبحث فيه ومحاولة تأصيله والرجوع به إلى أمهات مراجع اللغة العربية والفرنسية. فقد حاول- رحمه الله رحمة واسعة -و اجتهد لتصحيح الفكرة و المسار، وأثرى المكتبة الجزائرية بأبحاث ودراسات قيمة في ذلك. و حاولنا نحن أيضا في هذه العجالة بعضا مما أراد، وتبقى للبحث آفاق وجوانب تتطلب مزيدا من المحاولات في هذا الميدان.

---

1 - مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية و أصالة، ص545.

مؤلفات مولود قاسم نايت بلقاسم
محاورها الفكرية وقيمتها العلمية

د. مسعود فلوسي
جامعة الحاج لخضر ــ باتنة

من الصعوبة بمكان رصد كل الإنتاج الفكري الذي أدبر عنه الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم رحمه الله، فالرجل الذي عاش قبل الثورة وأثناءها طالبا وساهم فيها بنشاط فكري واسع وألقى محاضرات كثيرة في أنحاء مختلفة من العالم تعريفا بهذه الثورة، ثم واكب مرحلة الاستقلال وتقلد خلالها المسؤولية السياسية، ومن موقعه كوزير مكلف بالتعليم الأصلي والشؤون الدينية، كانت له أنشطة فكرية وثقافية كثيرة، لاسيما من خلال ملتقى الفكر الإسلامي الذي أشرف عليه شخصيا مدة تزيد على العشر سنوات.. هذا الرجل كان له من الإنتاج الفكري الكثير الغزير، لكنه لم يُتح له من الوقت والظروف ما يُمكّنه من جمع كل هذا الإنتاج وتقديمه إلى القارئ في الجزائر والعالم العربي والإسلامي مجموعا في مؤلفات.

فابتداء من سنة 1947م، بدأ مولود قاسم ينشر مقالاته الفكرية، حيث نشر ما بين 1947 و1949 في جريدة "المغرب العربي" في الجزائر، و"الثمرة الأولى" و"لسان العرب" و"الحرية" في تونس، وما بين 1951 و1954 في جريدة "المنار" و"صوت الشعب" في الجزائر، وخلال 1953 في "البيان" و"الفيحاء" و"الزمان" و"النصر" في سوريا. وكذلك في مجلة "علم النفس" القاهرية فيما بين 1950 و1954م، ثم في (Die tat) في سويسرا، و(Die arabische) التي كان يصدرها مكتب جامعة الدول العربية في ألمانيا الاتحادية في السنوات الأربعة الأخيرة من الخمسينات من القرن الماضي.

كما ألقى مولود قاسم عشرات المحاضرات أثناء الثورة، في الأكاديمية الإنجيلية في إيزرلون في ألمانيا الاتحادية، وفي الجامعات الشعبية والمعاهد التربوية العليا في النمسا والسويد وفنلندا، في أواخر الخمسينات وبداية الستينات من القرن الماضي، كما قدم أحاديث في تلفزة ألمانيا وتلفزة لندن.

كل هذه الأعمال لا نعرف عنها شيئا، و لم يتم جمعها وتقديمها للقارئ في صورة كتب منشورة ومتداولة.

كما أن الكثير من المحاضرات التي ألقاها مولود قاسم والمقالات التي كتبها بعد الاستقلال، وخاصة تلك التي كتبها في "المجاهد" اليومية بالفرنسية و"الجزائر الأحداث" بالفرنسية أيضا، وكذا تلك المحاضرات والمقالات التي كتبها بعد خروجه من الوزارة، والمقابلات الصحفية التي أجريت معه، لم تُجمع و لم تُنشر، رغم أنها تمثل زادا ثقافيا غزيرا.

وهكذا، وجدنا مؤلفات مولود قاسم المنشورة قليلة مقارنة مع موسوعية الرجل الفكرية واطلاعه الواسع ومداخلاته التي لا تُحْصى في الملتقيات والمؤتمرات ومقالاته الكثيرة في الصحف والمجلات.

لكن عزاءنا في ذلك؛ أن ما نُشر من إنتاج مولود قاسم كاف –نوعا ما– لتقديم صورة مجملة وتقريبية عن فكر هذا الرجل الفذ، وقسماته، وخصائصه، ومدى فائدته للباحثين وطلبة العلم من أجيال الجزائر الحاضرة والقادمة.

ونقدم فيما يلي عرضا توصيفيا للمؤلفات التي نُشرت للمرحوم مولود قاسم في حياته رحمه الله، ثم نتبعه بمحاولة الكشف عن المحاور الرئيسة التي دارت حولها هذه المؤلفات، وكذا إبراز القيمة العلمية لهذا الإنتاج الفكري.

أولا: مؤلفات مولود قاسم المنشورة:

مؤلفات مولود قاسم التي نشرت في حياته رحمه الله، لا يتعدى عددها الخمسة، وهي:

1– كتاب (الجزائر Algérie):

نُشر هذا الكتاب في ألمانيا وباللغة الألمانية، من قِبَل مكتب الجامعة العربية في بون (Arabische Liga, Bonn) أثناء الثورة سنة 1957م. وهو يمثل مجموع المداخلات والمحاضرات التي ألقاها مولود قاسم أيام الثورة التحريرية باسم جبهة التحرير الوطني عندما كان مقيما في أوربا، في جامعات ومؤسسات ألمانيا الاتحادية والنمسا وهولندا وبولونيا، حيث كان يقوم بأداء واجبه في مناصرة الثورة والتعريف بها وحشد الدعم لها.

ومن المؤسف فإن هذا الكتاب لم يتم إعادة نشره ولا ترجمته إلى العربية، وهو ما حرم قراء هذه اللغة من قراءته والاطلاع على ما فيه بالرغم من كونهم أحق الناس بذلك.

ولسنا ندري لماذا زهد مولود قاسم رحمه الله في أن يقوم بذلك بنفسه أثناء حياته؟

2- إنية وأصالة:

سفر ضخم من 654 صفحة، يجمع بين دفتيه المقالات التي كتبها مولود قاسم في مجلة (الأصالة)، مضافا إليها محاضراته الكثيرة التي ألقاها في أوقات متلاحقة ومناسبات مختلفة، وكذا تعليقاته وتدخلاته الكثيرة أيضا أثناء جلسات ملتقيات الفكر الإسلامي إلى سنة 1975م، حيث إن الرجل على الرغم من أنه كان وزيرا إلا أنه كان يُتابع كل ما يُقال في أثناء المحاضرات ويسجل ملاحظاته ثم يقوم ليعقب على ما قيل، وأحيانا يتحول تعقيبه إلى محاضرة بأكملها.

وقد سُجلت هذه التعقيبات والتعليقات وجمعت في هذا الكتاب.

نشرت هذا الكتاب وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، وطبعته مطبعة دار البعث بقسنطينة سنة 1395 هـ، 1975م، ولم تتم إعادة طباعته بعد ذلك مرة أخرى، رغم أهميته وحاجة القراء عامة والطلاب والباحثين بالخصوص إليه.

يجمع الكتاب بين دفتيه ستة وسبعين موضوعا، بعد المقدمة التي أنشأها المؤلف خصيصا للكتاب عند تهيئته للنشر. وقد روعي في ترتيب الموضوعات في هذا الكتاب التتابع الزمني، ولم يُراعَ فيه جانب وحدة الموضوع، وكان ذلك بقصد من المؤلف رحمه الله ليتيح للقارئ متابعة تطور الأفكار وملاحظة تنوع الأسلوب بتنوع الدواعي بين ما هو محاضرة وما هو تعليق وما هو مقالة أو بحث.

وقد أطلق المؤلف على مجموع ما تضمنه هذا الكتاب عنوان (إنية وأصالة)، وأراد بذلك أن كل موضوعات الكتاب تدور حول فكرة أساسية أو إشكالية رئيسة عبر عنها المؤلف بقوله: (كيف نكون أبناء عصرنا، مع البقاء على أديم مصرنا، ودون أن نصبح نسخة من غيرنا؟).

وبالفعل، فنحن حين نوالي قراءة الموضوعات المدرجة في الكتاب نجدها لا تخرج عن هذه الفكرة المحورية، بل إن الكثير من العناوين الواردة تتضمن كلمة (الأصالة) أو كلمة (المعاصرة) أو الكلمتين معا، أو كلمات تؤدي المعنى نفسه.

يؤكد المؤلف في مقدمة الكتاب أنه أقدم على إخراجه، لدواع ثلاث: أولها؛ كثرة الطلب من داخل الوطن وخارجه من العلماء والباحثين الذين رغبوا في جمع ما توزع من آراء المؤلف في المجلات والجرائد وعلى أشرطة التسجيل. وثانيها؛ الرغبة في توثيق الكلام ونشره كما أراده صاحبه دفعا للنقول المغشوشة التي عادة ما تقُصُّ الكلام عن سياقه

وتنقله إلى سياقات أخرى أو تعطيه تفسيرات مختلفة مما يوقع في الخلط والخبط. وثالثها؛ العمل بالتقليد الحسن الشائع في الشرق والغرب القاضي بلمّ النصوص المتفرقة في سجلات تلم شتاتها.. ونسجل نحن هنا أن هذا التقليد لم يُعمل به في الجزائر إلا نادرا، ويمكن أن نذكر هنا أعمال كل من عبد الله شريط ومولود قاسم وأبو القاسم سعد الله ويحى بوعزيز. أما أكثر المفكرين والعلماء الجزائريين فقد ظلت مقالاتهم ومحاضراتهم رهينة الصحف والمجلات والتسجيلات ولم يتم جمعها في سجلات أو مؤلفات جامعة تلم شتاتها وتجمع ما تفرق منها، نذكر من هؤلاء مثلا: مبارك الميلي، الطيب العقبي، العربي التبسي، أحمد حماني، أحمد بن ذياب، عبد الرحمن شيبان، المهدي البوعبدلي، علي مرحوم، عبد المجيد مزيان، إسماعيل العربي، بوعمران الشيخ، عبد الرزاق قسوم، وغيرهم كثيرون.

3- أصالة أم انفصالية؟

كتاب كبير هو الآخر يقع في مجلدين كاملين، يتكون الأول منهما من 416 صفحة، والثاني من 428 صفحة.

وهو كذلك يمثل جملة مقالات كتبها مولود قاسم في (الأصالة)، مضافا إليها الكثير من تدخلاته وتعليقاته أثناء ملتقيات الفكر الإسلامي التي نُظّمت بعد سنة 1975م إلى غاية سنة 1979م.

نشرت هذا الكتاب أيضا وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، وطبعته كذلك مطبعة دار البعث بقسنطينة سنة 1400 هـ، 1980م، وأعادت تصويره المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر العاصمة سنة 1411 هـ، 1991م.

بلغ عدد موضوعات الكتاب سبعة وخمسين موضوعا، تدور في معظمها في إطار نفس موضوع كتاب (إنية وأصالة)، مع الالتفات إلى بعض القضايا الفكرية الأخرى التي دعت الظروف إلى الاهتمام بها، لكن الفكرة المحورية هي دائما قضية الأصالة والمعاصرة وكيفية التوفيق بينهما.

ما يلفت الانتباه في هذا الكتاب هو تلك المقدمة المطولة التي كتبها المؤلف، والتي طالت وامتدت حتى صفحة 72، وهي بذاتها يمكن نشرها في كتيب مستقل، والغريب أن هذه المقدمة منشورة في كلا الجزئين، ولسنا ندري إن كان ذلك مقصودا أو مجرد خطأ في أثناء الطباعة؟.

في هذه المقدمة يتحدث المؤلف بمرارة، ظاهرة في كل سطر وفي كل عبارة، عن الظروف العصيبة التي تمر بها أمة الإسلام في هذا العصر، تلك الظروف التي أوقعت فيها الأمة نفسها بنفسها بسبب إعراضها عن قيمها وتعلقها بالخرافات واشتغالها بالانحرافات.

ويؤكد أنه ليس للأمة من سبيل للخروج مما تعانيه إلا بالتمسك بالأصالة المقرونة بالمعاصرة.

يتحدث المؤلف كذلك بالتفصيل عن مظاهر الانحراف الأخلاقي في واقع المسلمين، ويثبت أن الطريق إلى الخروج من هذا الواقع الكئيب يتمثل في العودة إلى الإسلام والالتزام بقيمه وتعاليمه، ويؤكد أن ذلك ليتحقق لابد من الاهتمام بالتربية والتعليم والثقافة والتاريخ.

ويتحدث عن التراث الإسلامي وأهميته وسبل الاستفادة منه، وضرورة غربلته وأخذ أحسن ما فيه وترك ما لا نفع ولا فائدة من ورائه.

كما يشير إلى ما يتردد في الغرب وينعكس في العالم الإسلامي من تشويه لصورة الإسلام، من خلال التركيز على بعض أحكامه التي لا تتوافق مع العقلية الغربية المتحررة من كل القيم والمبادئ. ويكشف أن التركيز على هذه الأحكام وعدم الكف عن ترديدها -رغم ما أبانه علماء الإسلام من حكمتها ومقاصدها- إنما ينم عن روح صليبية حاقدة، همها تشويه الإسلام وطمس صورته.

ولم يفت المؤلف أن يعرج على قضية المرأة التي عادة ما تثار في وجه الإسلام، إذ يتهم بانتقاصه من قيمتها، ويؤكد أن أحكام الإسلام كلها إنما جاءت ترفع من شأن المرأة وتعلي من قيمتها وتفسح المجالات المختلفة أمامها إلا ما يتعارض مع طبيعتها وفطرتها.

إن هذه المقدمة هامة جدا، وهي تعبير صادق ومركز عن قسمات فكر مولود قاسم واهتماماته وأمانيه وآماله رحمه الله.

4- ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر:

كتاب متوسط الحجم، يقع في 254 صفحة، نشرته دار البعث بقسنطينة سنة 1403 هـ، 1983م، وأعادت نشره وزارة الشؤون الدينية والأوقاف سنة 1423 هـ، 2003م، بمناسبة الذكرى الأربعين لعيد الاستقلال والشباب، حيث طبعته وحدة الرويبة للمؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.

الكتاب –كما هو واضح من عنوانه– رصد وتتبع لردود الفعل الأولى التي أعقبت إعلان اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م، سواء منها تلك الردود التي صدرت في داخل الجزائر من أشخاص أو هيئات، أو تلك الردود التي ترددت في الخارج سواء في فرنسا الدولة المستدمرة التي قامت الثورة ضدها أو في الدول الأخرى ومنها بالخصوص دول العالم العربي والإسلامي.

قسم المؤلف كتابه بعد مقدمة موجزة إلى ثلاثة فصول :

تناول في الفصل الأول الذي هو بمثابة تمهيد عام للدخول في صلب الموضوع؛ الوضعَ العام الذي كان قائما في كل من فرنسا والجزائر خلال سنتي 1953 و1954، حيث رصد أهم الأحداث السياسية التي جرت في فرنسا أو في المستدمرات التي كانت تابعة لها أو الدول التي كانت تربطها بها علاقات من نوع ما. كما تتبع ما كانت عليه الأوضاع في الجزائر خلال هذه المرحلة، حيث سجل أحوال الأحزاب السياسية التي كانت ناشطة في ذلك الحين وطبيعة توجهاتها السياسية. كما وصف في نهاية هذا الفصل حال الجزائر قبل أسبوع واحد من انطلاق الثورة، ثم اندلاعها بعد ذلك.

أما الفصل الثاني، فقد خصصه المؤلف للحديث عن ردود الفعل الأولية على اندلاع ثورة أول نوفمبر في كل من الجزائر وفرنسا، وقسمه إلى مبحثين.

تناول في المبحث الأول ردود الفعل الأولى في الجزائر، حيث أبرز مواقف الأحزاب الجزائرية من انتصاريين ومصاليين وبيانيين وعلماء وشيوعيين، ثم مواقف كل من الإدارة الاستدمارية وبعض النواب الفرنسيين ورجال الكنيسة، وأخيرا تحدث عن مواقف السكان الفرنسيين والصحافة الفرنسية في الجزائر.

أما المبحث الثاني، فأداره المؤلف حول ردود الفعل على اندلاع الثورة في فرنسا، حيث رصد مواقف كل من الحكومة الفرنسية ممثلة في رئيسها ووزير داخليتها وكاتبها للدفاع، ومواقف الشخصيات من رجال الفكر أو المسؤولين السابقين، ومواقف الأحزاب والصحافة.

ليأتي بعد ذلك الفصل الثالث والأخير في الكتاب، الذي يعرض ردود الفعل الأولى على أول نوفمبر خارج كل من الجزائر وفرنسا. فبعد تقديم ضروري من أكثر من عشرين صفحة، تناول المؤلف في المبحث الأول ردود الفعل لدى دول أمريكا وأوربا الغربية

وروسيا، ثم ردود الفعل في الصحافة الأوربية والأمريكية، وعرض عينات من الصحافة السويسرية والانجليزية والألمانية الغربية والأمريكية.

وفي المبحث الثاني أورد المؤلف ردود الفعل الأولية في العالم العربي والإسلامي لدى الدول والشخصيات، فأبرز موقف الجامعة العربية ومواقف الوفود المغاربية في القاهرة.

وفي المبحث الثالث والأخير أكد المؤلف أن الثورة الجزائرية كانت السبب في التعجيل باستقلال العديد من الدول المستدمَرة المغاربية والافريقية، وأورد البراهين الناصعة والحجج الدامغة المثبتة لذلك.

5- شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 :

كتاب من جزئين، الأول في 256 صفحة، والثاني في 396 صفحة، وقد نشرته دار البعث بقسنطينة سنة 1985م، ولا ندري إن كان قد أعيد نشره أم لا؟

الكتاب عبارة عن دراسة علمية مركزة تتناول بالتفصيل رصد الهيبة العالمية التي كانت تحظى بها الجزائر كدولة قوية ذات كلمة نافذة في حوض البحر الأبيض المتوسط قبل أن تتعرض للاستدمار الفرنسي سنة 1830م.

يتحدث المؤلف في مقدمة الكتاب عن الأسباب التي دعته إلى الإقدام على إنجاز هذه الدراسة، والتي منها إنكار البعض أن يكون للجزائر وجود كأمة من الأمم قبل تعرضها للاستدمار، هؤلاء الذين أرادوا تمزيق صفحات ذهبية تمتد إلى قرون ثلاثة من تاريخنا وتلك هي فترة الحكم العثماني بالجزائر. ويقتبس المؤلف نصوصا كثيرة تتضمن هذه الدعوى الزائفة.. كما يركز المؤلف في هذه المقدمة على قضية المروحة ويؤكد أنها لم تكن سوى تبرير فقط للحملة الفرنسية على الجزائر، وإلا فإن نية الاحتلال والاستدمار كانت قائمة من قبل. كما يفند المؤلف دعوى كره الجزائريين للعثمانيين، ويثبت أنها مجرد أكذوبة أريد بها اقتطاع العهد العثماني من التاريخ الجزائري.

بعد هذه المقدمة عقد المؤلف مدخلا تمهيديا، أكد فيه عراقة الأمة الجزائرية وامتدادها في التاريخ، وأن هذه الأمة ظلت ثلاثة قرون متوالية سيدة البحر الأبيض المتوسط، وكانت تؤدي دورا محوريا في العلاقات الدولية، وتحسب لها الدول الأخرى ألف حساب. ثم أورد نصوصا كثيرة لمؤرخين فرنسيين وحتى كتاب عرب يحاولون فيها إنكار أن تكون الجزائر قد تكونت كأمة في يوم من الأيام. ثم يكر المؤلف على هذه الدعاوى بالنقض ويؤكد بالوثائق أن الجزائر كانت قائمة كأمة ذات كيان وسيـــادة منذ

العصر النوميدي والعهد الإسلامي. ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن بداية العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية، تلك التي تعود إلى تلك المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر والتي شهدت تعرضها إلى الغارات الأجنبية مما جعلها تستنجد بعدد من البحارة العثمانيين لمساعدتها على رد تلك الغارات. ويعتبر المؤلف هذا التحالف بين هؤلاء البحارة والجزائريين، الذي أدى إلى نشأة الدولة الجزائرية الحديثة سنة 1516م، الدرع الواقي الذي حفظ المغرب العربي كله من الذوبان والتلاشي أمام الغارات الأوربية والأمريكية. ويبين المؤلف أن الجزائر تمكنت بعد ذلك من صد كل الغارات التي شُنت على سواحلها، بل أصبحت مع الزمن قوة بحرية ضاربة في البحر البيض المتوسط، مكنتها من أن تفرض ضرائب على الدول التي تمخر سفنها عباب البحر لضمان أمن هذه السفن وضمان الجزائر لأمنها الذاتي.

على إثر هذا المدخل، عقد المؤلف فصلا مطولا للحديث عن أولية ومآل العلاقات بين الجزائر والخلافة العثمانية وأوروبا والولايات المتحدة قبل سنة 1830م، ويتحدث بالتفصيل مستشهدا بالوثائق المكتوبة بلغات مختلفة، عن طبيعة هذه العلاقات، وما أفرزته من معاهدات بين الجزائر كدولة ذات سيادة وكيان مستقل وبين هذه الدول كلها. وفي السياق يتحدث المؤلف عن علاقات الجزائر بكل من: الدولة العثمانية، الفاتيكان، إيطاليا، البرتغال، ألمانيا، روسيا، الدانمارك، السويد، هولاندا، اسبانيا، بريطانيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا فيما يتعلق بمضمون الجزء الأول من الكتاب، أما الجزء الثاني منه، فخصه المؤلف للحديث عن العلاقات بين الجزائر وفرنسا قبل سنة 1830م، فيتحدث في البداية عن نشأة العلاقات الجزائرية الفرنسية والمعاهدات التجارية الأولى التي قامت بينهما، والمساعدات التي قدمتها الجزائر لفرنسا قبل سنة 1830م. كما يتحدث أيضا عن النوايا العدوانية الفرنسية ضد الجزائر منذ القرن الثالث عشر، ويورد بالتفصيل المشاريع التي سبق أن خُططت للاعتداء على الجزائر من قبل ملوك فرنسا، ثم الغارات العدوانية التي شنتها فرنسا على الجزائر والحروب التي قامت بينهما.

وخص المؤلف المعاهدات بين الجزائر وفرنسا بفصل مستقل، حيث عرف بالتفصيل بالمعاهدات الخمسة والستين التي أبرمت بينهما قبل الاحتلال.

وعقد الفصل الأخير من الكتاب للحديث عن العدوان الاستدماري الفرنسي على الجزائر سنة 1830 وأسبابه، وكذا المعاهدات التي عقدت بين فرنسا والجزائريين بعد الاحتلال، بدءا من اتفاقية تسليم الجزائر العاصمة بين الداي حسين وشارل العاشر في جويلية 1830، إلى اتفاقيات ايفيان في مارس 1962.

يعود المؤلف بعد ذلك للحديث عن العهد العثماني في الجزائر، ويؤكد أن التهم التي أريد إلصاقها به ما هي إلا تشكيكات سخيفة، لا تقوم أمام النقد العلمي. ويورد المؤلف خمسة من هذه التهم، ويكر عليها بالنقض، ويثبت أنها مجرد مفتريات لا أساس لها من الصحة.

ينتهي المؤلف في الأخير إلى خلاصة عن شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، مؤكدا أن تلك الهيبة كانت تتمثل في أن الدول الكبرى رغم ما كانت تحيكه من مؤامرات ضد الجزائر، كانت مع ذلك مضطرة لأن تدفع لها الضرائب الباهضة، بل وتحاول التقرب منها أكثر، وتستنجد بعضها بالأخرى للتوسط لديها، وعندما لا ينفعها ذلك تفزع إلى الخلافة العثمانية علها تتدخل، وعندما لا يجديها ذلك ترضخ لإرادة الجزائر وتقبل بأحكامها عليها مقابل حماية سفنها من أي عدوان يمكن أن تتعرض له من أي طرف كان.

ينتهي المؤلف في الأخير إلى التأكيد على أهمية التاريخ وضرورة العناية به، ويذكر بأهمية الوثائق والمحافظة عليها.

ما يمكن التأكيد عليه هنا؛ أن هذا الكتاب مليئ بالوثائق المصورة عن أصولها الخطية والمطبوعة، وهي وثائق نادرة، ومكتوبة بلغات عالمية مختلفة، ولا شك أن المؤلف قد بذل جهودا جبارة في سبيل الحصول عليها. وهذه الوثائق هي التي جعلت الكتاب في القمة من حيث الطرح العلمي والتوثيق المنهجي.

ثانيا: المحاور الرئيسة التي دارت حولها أعمال مولود قاسم:

تندرج أعمال مولود قاسم ضمن جملة من المحاور الفكرية التي فرضتها الظروف الثقافية والسياسية والتاريخية التي عاشها المجتمع الجزائري خلال عشرين سنة، أي بداية من استعادة السيادة الوطنية في بداية الستينات إلى بداية الثمانينات من القرن الماضي.

ولست هنا بصدد تحليل أو عرض أفكار مولود قاسم في هذه القضايا ومواقفه منها، وإنما أكتفي فقط بإثارتها وتنبيه الباحثين إليها، مع الإشارة إلى مواضعها من مؤلفاته، حتى يتسنى الوقوف عليها لمن يريد الرجوع إليها ودراستها بتوسع.

ويمكن القول أن أهم القضايا التي شغلت الرأي العام الوطني والساحة الثقافية والفكرية الجزائرية، خلال تلك المرحلة، ووجدت صداها الواسع في فكر مولود قاسم هي:

أ- قضية الأصالة والمعاصرة:

شغلت قضية المحافظة على الأصول مع مواكبة معطيات العصر، فكر مولود قاسم، واستأثرت بجانب كبير من اهتماماته، خاصة في تلك الفترة الحرجة التي مر بها العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة في السبعينات من القرن الماضي، حيث كانت هناك موجة حادة من الهجوم على كل ما هو التزام بالإسلام ومحافظة على أحكامه وتعاليمه في المظهر والمخبر. هذه الموجة التي كان هناك ما يبررها من سلوك كثير من المسلمين الذين لم يفهموا الإسلام حق الفهم، وتصوروا أنه جملة من المظاهر والسلوكات والأفكار التي ينبغي الجمود عليها دون أدنى استعداد لتغييرها، مع أن هذه المظاهر والأفكار والسلوكات هي في كثير من الأحيان ليست من صميم أحكام الإسلام وتعاليمه وإنما هي إفرازات لمرحلة التخلف والانحطاط التي مرت بها أمة الإسلام في الحقب الأخيرة من تاريخها الطويل.

ويحكم أن مولود قاسم رحمه الله كان يرابط على ثغر هام من ثغور الإسلام، وهو وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ويشرف في كل سنة على عقد وتنظيم ملتقى الفكر الإسلامي، كان يلاحظ ما ينشأ من مناقشات وما يظهر من إفرازات فكرية وسلوكية متعلقة بهذه القضية، فكان لا بد أن تشغل اهتمامه وأن تستأثر بجانب كبير من فكره.

يظهر هذا في كثير من الموضوعات المنشورة في كتابيه (إنية وأصالة) و(أصالية أم انفصالية؟)، حيث نقف على عناوين بارزة وتعليقات مطولة تدور حول هذه القضية، ويمكن الإشارة هنا إلى بعض تلك العناوين.

ففي كتاب (إنية وأصالة)، إلى جانب المقدمة نجد مثلا العناوين الآتية: الإنية والأصالة، أمتم علينا ديننا أماتكم الله، تفتح لا انفتاح، أصالتنا تعني لا إغلاق الأبواب

والنوافذ ولا إزاحة السقوف والرفوف، نتسامح ولكن لا نسمح في قيمنا، أبعدوا عنا الخمريات والغلاميات وأعطونا موسيقى وطنية ذات بعد عالمي، بقدر أصالتنا يكون إسهامنا في الفكر الإنساني، معنى التعليم الأصلي، هل كان صوت عائشة عورة؟، عمائم أم غمائم؟، إنما الأمم، اعتبار ماضينا لبناء المستقبل، الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية، الانحلال بداية الاضمحلال، الأصالة تتضمن التفتح ونحن من أنصار الحوار مع الجميع، إنيتنا أو مَنيَّتنا، الإسلام نظام شامل والعيب فينا... الخ.

وفي كتاب (أصالية أم انفصالية؟)، نقف كذلك بعد المقدمة المطولة، على جملة من العناوين، ومنها مثلا: الأصالة ليست التقوقع ولا التفرقع، الإسلام دنيا وآخرة، يعاب إسلامنا والعيب فينا، أنيام في خيام ألا من قيام؟، استهلاك أم هلاك؟، صناعة ومناعة، لا قيام بدون قيم، التمسك لا التنسك، العلم عمل، المسجد جامع وجامعة... الخ.

ب- قضية المحافظة على الهوية الوطنية الجزائرية:

لاحظ مولود قاسم ما واكب مرحلة استعادة السيادة الوطنية من محاولات لطمس الهوية الوطنية وتغريب المجتمع الجزائري، فمن جهة كانت هناك محاولات لتشويه صورة الإسلام والمامه بالقصور، ومن جهة ثانية كانت هناك محاولات للتملص من اللغة العربية واحتقارها والعمل على تغييبها من واقع المجتمع الجزائري.

بذل مولود قاسم أثناء وجوده على رأس وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية جهودا جبارة في المحافظة على مقومات الهوية الوطنية. وإلى جانب هذه الجهود العملية كان يصارع ويكافح وينافح عن هذه المقومات بفكره متمثلا في قلمه ولسانه.

وقد كانت ملتقيات الفكر الإسلامي وأعداد مجلة (الأصالة) منابر استثمرها مولود قاسم أحسن استثمار في المنافحة عن مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية.

يظهر هذا أيضا فيما نقف عليه من عناوين لمقالات وتعليقات في كتابيه (إنية وأصالة) و(أصالية أم انفصالية؟).

ففي مجال الدفاع عن الإسلام والكشف عن حقيقة تعاليمه وسموها وحاجة المجتمع الجزائري إليها وتنقيتها مما علق بها، نقف في كتاب (إنية وأصالة) على هذه العناوين: الإسلام ثورة شاملة، جمعة أو أحد؟، جامع كتشاوة عاد إلى أصله ومتى تعود الجمعة؟، الفكر العربي والفكر الإسلامي، نتسامح ولكن لا نسمح في قيمنا، الإسلام دين ودولة ونظـــام اجتماعي كامل، بعد اربعـــة عشر قرنا من نـــزول "اقرأ" أمة أمية لا تكتب ولا

تحسب، توحيد الصوم والأعياد من اهم مظاهر الوحدة الإسلامية، خرافة الفصل بين الدين والدولة في أوربا وأمريكا، كنتم خير أمة، دور علماء الإسلام كما كان بالأمس وينبغي أن يكون اليوم ودائما، لا ضرر ولا ضرار، الإسلام نظام شامل والعيب فينا. وفي كتاب (أصالية أم انفصالية؟)، نجد: الإسلام دنيا وآخرة، شعب الجزائر مسلم، يعاب إسلامنا والعيب فينا، مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام، العمل عبادة، العروبة بدون الإسلام جاهلية.

وفي مجال الدفاع عن اللغة العربية والعمل على دحر الهجمات التي تشن عليها، نقرأ في (إنية وأصالة): تعريب الأمخاخ والقلوب قبل تعريب الألسنة، قيمة اللغة في نظر بعض الأمم، تكلم لغة قومك، علمية العربية ماضيا ومستقبلا، اللغة والشخصية في حياة الأمم، بربريسك

ج- تنقية تاريخ الجزائر مما علق به من تزييف وتحريف:

اهتم مولود قاسم نايت بلقاسم رحمه الله بتاريخ الجزائر اهتمام خاصا، وخصص له جانبا كبيرا من أنشطته الفكرية، من كتابات ومحاضرات، سواء في أثناء مرحلة ثورة التحرير، أو في مرحلة ما بعد استعادة السيادة الوطنية، وقد ظل هذا الموضوع يشغله رحمه الله إلى أن لحق بربه عز وجل.

فإلى جانب كتابه (الجزائر) المنشور بالألمانية، والذي عرف فيه بجوانب من شخصية الجزائر وتاريخها، وإلى جانب تكريسه لكتابين كاملين عن تاريخ الجزائر ومكانتها الدولية وعظمة ثورتها التحريرية.

إلى جانب هذه الكتب الثلاثة، نقف في كتابيه الآخرين على كثير من الموضوعات المكرسة للإبانة عن عراقة الشخصية الجزائرية وحضورها العالمي عبر التاريخ.

فنقرأ في كتاب (إنية وأصالة): مغزى الاحتفال بذكرى أمجادنا، كفاح أمة، العيد عيدان عاشر وألفي والذكرى ذكريات، تحية إلى بلكين، لماذا تاريخ الجزائر في هذه الملتقيات؟، إلياذة الجزائر، للأمم أيامها.

ونقرأ في كتاب (أصالية أم انفصالية؟): أما تزال براقش؟، شعب الجزائر مسلم، الثورة الجزائرية وبعض المخربشين هنا وهناك، منسيين لستم يا بني رستم، اهتمام الأمم بأيامها، لسنا يتامى التاريخ، الجزائر وابن خلـــدون، هل آل عثمان كالنرمـــان؟ التاريخ

ذاكرة الأمم، استمرارية الأمم أو مواقف ألمانية ونمسوية وسويدية من كفاحنا التحريري المسلح.

إلى جانب ما ذكرناه من مؤلفات وموضوعات، وقفنا على دراسة مطولة لمولود قاسم رحمه الله بعنوان (دور فاتح نوفمبر في استرجاع ليبيا فزانها والمغرب وتونس استقلالهما بل وافريقيا كلها حريتها)، نشرتها مجلة (الثقافة) في عددها الممتاز (83، س: 14)، الصادر بمناسبة الذكرى الثلاثين لاندلاع ثورة التحرير، في ذي الحجة 1404 ومحرم 1405 هـ، سبتمبر وأكتوبر 1984م. وهي في الأصل جزء من كتاب (ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر).

وفي العدد (85، س: 14) من مجلة (الثقافة) أيضا، الصادر في ربيع الثاني، جمادى الأولى 1405 هـ/ يناير، فبراير 1985م؛ دراسة أخرى مطولة بعنوان (لمحة عن مجد الجزائر وديمومة شخصيتها البارزة المتميزة عبر العصور والأعاصير)، الصفحات: 13-55

ووقفنا كذلك على دراسة مطولة أخرى، بعنوان (مفاهيم وصيغ خاطئة من تاريخنا)، هي في الأصل محاضرة ألقاها في قصر الثقافة بالجزائر العاصمة بدعوة من المركز الوطني للدراسات التاريخية يوم الإثنين 22 جمادى الثانية 1406 هـ، 3 مارس 1986م، ونشرتها بالعربية والفرنسية مجلة (التاريخ) الصادرة عن المركز في عددها الثاني والعشرين الصادر في النصف الثاني من سنة 1986. كما نشرتها مجلة (الثقافة) في العدد: 94، الصادر في ذي القعدة، ذي الحجة 1406 هـ/ يوليو، أغسطس 1986م، الصفحات: 11-44.

ولا شك أن من يرغب من الباحثين في دراسة قضايا تاريخ الجزائر والرؤية التاريخية في فكر مولود قاسم سيقف على مادة ثرية وغزيرة تسعفه في بناء نظرية مولود قاسم في التاريخ بوجه عام والجزائري بالخصوص.

تلك أهم المحاور التي شغلت فكر مولود قاسم رحمه الله وتجلت في مؤلفاته ومقالاته ومحاضراته، والحقيقة أن هناك قضايا أخرى شغلته، لكن في مناسبات متفرقة وعالجها بتعليقات في حينها، ويمكن لمن أراد معرفتها أن يقف عليها من خلال مؤلفاته المنشورة.

ثالثا: القيمة العلمية لمؤلفات مولود قاسم:

إن إبراز القيمة العلمية لأعمال مولود قاسم نايت بلقاسم رحمه الله العلمية والفكرية يُعد من تحصيل الحاصل، ومما لا يختلف فيه عاقلان مخلصان ممن قرأوا هذه الأعمال

واستفادوا منها، لكن مع ذلك لا مانع من التأكيد على جملة من النقاط التي تُذَكّر بالقيمة العلمية لأعمال هذا الرجل وتؤكد أهميتها وتبرز وجه الحاجة إليها:

1- أعمال مولود قاسم الفكرية هي أعمال متفردة وغير مسبوقة، ولا يمكن لغيره أن ينسج على منوالها، ولو أراد ذلك. والسر في ذلك أن مولود قاسم رجل ذو شخصية متحررة ومتفتحة وينهل من منابع فكرية متعددة ومتنوعة، أتاح له ذلك انفتاحه على ثقافات متعددة واطلاعه الواسع على الفكر الإسلامي والإنساني بفضل إتقانه لعدد من اللغات العالمية. ولذلك فإن قراءة أعمال مولود قاسم من شأنها أن تتيح الإفادة من الفكر الإنساني الذي نهل منه و لم يتسن لغيره الاطلاع عليه والاستفادة منه.

2- تعبر أعمال مولود قاسم الفكرية أصدق تعبير عن شخصيته الإنسانية وخصائصه النفسية، ويمكن لقارئ هذه الأعمال أن يلاحظ بيسر كيف تنعكس نفسية مولود قاسم وخصائص شخصيته في كل جملة يخطها وفي كل عبارة يقولها.

فالقارئ حين يطالع إنتاج مولود قاسم يحس وكأنه يسمع شخصا يتكلم أو يراه وهو يخطب مزمجرا متوعدا متهكما مقررا للحجج الدامغة والبراهين الساطعة بكل إخلاص وقوة. فمولود قاسم المتكلم هو مولود قاسم الكاتب، لا فرق إلا في أن الأول مسموع والثاني مقروء لا غير.

3- أعمال مولود قاسم المؤلَّفة ابتداء هي مراجع علمية وأكاديمية من طراز علمي عالٍ، لا يدانيها في علميتها إلا القليل من الكتب المؤلفة. ولذلك فإن هذه الأعمال لا يمكن الاستغناء عنها لمن يريد أن يكتب في موضوعات تاريخية قريبة الصلة بالموضوعات التي تناولها مولود قاسم في مؤلفاته.

4- حصل مولود قاسم ثقافة موسوعية عالمية مكنته من الاطلاع على الإنتاج الفكري العالمي في لغاته المختلفة، هذه الثقافة وظفها مولود قاسم في مؤلفاته التي أنشأها ابتداء، وخاصة في كتابيه (بعض مآثر فاتح نوفمبر)، و(شخصية الجزائر الدولية)، حيث تظهر هذه الموسوعية الثقافية واضحة، ومتجلية في تلك النقول التي يقتبسها من مصادر ومراجع مكتوبة بلغات مختلفة، ويوظفها في سياق تأليفه دون أدنى حرج أو مشقة.

هذا الثراء والتنوع في الثقافة وفي القدرة على الاستفادة من المراجع والمصادر المختلفة، تجعل هذه المؤلفات في القمة من حيث العمق المعرفي والثراء العلمي.

5- بعض أعمال مولود قاسم هي –كما أسلفنا- صدى للصراع الفكري الذي شهدته الجزائر خلال عقدي الستينات والسبعينات من القرن الماضي، والذي تميز بالنزاع الصامت والعنيف في آن واحد بين الوطنيين والمتغربين، وبين المفرنسين والمعربين. وقد كانت أعمال مولود قاسم تعبيرا صارخا عن توجهه الإسلامي العربي المناصر للتعريب وللمحافظة على هوية الأمة وأصالتها الحضارية دون تقوقع أو انزواء. لذلك فإن من يريد أن يدرس واقع الصراع الفكري في الجزائر خلال تلك المرحلة لا مناص له من الرجوع إلى أفكار وآراء مولود قاسم التي أطلقها في تلك المرحلة، والمسجلة خاصة في كتابيه (إنية وأصالة) و(أصالية أم انفصالية؟).

6- أعمال مولود قاسم الفكرية والأكاديمية هي ميدان خصب لا يزال ينتظر جهود الباحثين الجامعيين، الذين بإمكانهم أن يتناولوا هذا الفكر من جوانب مختلفة وأن يحللوا مواقف مولود قاسم وآراءه في قضايا عصره والمشكلات التي عايشها أو كان أحد أطرافها.

كل هذه العناصر، تجعل إعادة طباعة مؤلفات مولود قاسم وجمع ونشر ما تفرق من مقالاته ومحاضراته وتدخلاته والمقابلات الصحفية التي أجريت معه، والعمل على ترجمتها إلى لغات العالم الحية، من أوكد الأعمال المنوطة بالهيئات العلمية والثقافية الرسمية والشعبية في البلاد، كالمجلس الإسلامي الأعلى والمجلس الأعلى للغة العربية ووزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وكليات العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية وكليات الآداب واللغات في الجامعات الجزائرية المختلفة، والمتمكنين من الباحثين والمترجمين.

ولا شك أن القيام بذلك هو بعض ما يمكن الوفاء به لروح هذا الرجل الفذ الذي أفنى حياته في سبيل الجزائر وظل مرابطا على ثغور الهوية الوطنية منافحا عنها صادا الأعادي عنها مانعا لهم من اختراقها حتى توفاه الله عز وجل إلى رحابه، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، هو ومن سبقه أو لحقه من علماء الجزائر البررة ورجالاتها الأفذاذ.

scholars and "imams"; such an objective can be summed up in the following points:

1- "Arabisation" of the other universities throughout Algeria and provide them with professors that use Arabic as the language of teaching.
2- Taking into account the moral dimension when forming the physician, the engineer, and the electronician by equipping then with islamic ethics.
3- Make them know the role and the contribution of islamic civilization in the different specialisms by creating a chair of islamic civilization in the different faculties.
4- Formation of excellents "imams" holding high degrees (BA, PHD) to rise the challenges and put an end to imported ideological confusions and civilizational disfiguration that might influence our youth.

References:

(1) Ali Yusuf, A. (1992) The Holy Quran: Translation and Commentary. Islamic Propagation centre International.

(2) Benaamane, A. (1993) Mouloud Kacem Nait Belkacem "Ramz Kifah Ummah" Symbol of a Nations Fight. Dar El Oumma.

(3) Echaab daily newspaper February 2nd, 1992.
Interview with Mouloud Kacem Nait Belkacem
By: Said Ben Ayed.

(4) Speech of the President of the Republic Abdel Aziz Bouteflika. National Colloquium on Mouloud Kacem Nait Belkacem. Organized by the High Islamic Council 2005.

him who realized miracles not only in Algeria, or Egypt, or Tunisia, or Moroco, but also in Bako and in the capital of the Ottoman empire "Istanbul", thanks to the famous architect "Sinane". Those people left miraculous buildings such as Alhambra castle in Spain and beautiful mosques in Istanbul, Fez, Cairo, Algiers and Telemcen…

Mouloud Kacem wanted the Algerian physician studying in the islamic university to know the role of Ibn Sina, Ibn Roshd, and Ibn Zahr, the universally known physicians. Here, we may cite the book "The Canon" of Ibn Sina that was taught in all the universities of the world and especially in the university of Louvain" in Belgium till 1909, in addition to the book "El Kouliet" by Ibn Roshd which was taught in all the european universities till the nineteenth century and the book of Al Razi which consisted of thirty volumes that was namely taught in the faculty of medicine in the university of Paris during the reign of Louis XI.

Mouloud Kacem also mentioned the role of the works of Al Khawarizmi in mathematics and his contribution in the foundation of some concepts of algebra and

the logarithm which derived from his name. Add to that Ibn Al Haithem in optics and Chemistry

So, According to Mouloud Kacem, the objective behind the foundation of the islamic university was to form excellent

5- throughout the country.

6- Thanks to its faculties of medicine, agriculture, engineering and electronics spread the country, it will help in the "arabisation" of their universities, as we have mentioned, to provide the disciples of the above cited faculties in addition to their field of specialism with two essential elements. First, to encourage the physician and the engineer to stick to islamic morals so that they do not feel as if they graduated from Moscow(!). Therefore, the physicians will be satiated with the morals of Islam; a muslim in the service of the muslim family in that when he examines a woman he does not let her husband outside, an act which led to moral catastrophes that usually ended in court.

Mouloud Kacem was convinced that a Muslim physician respects the family and does not shut his door to examine a woman he cannot marry letting her father or her husband outside. The same thing can be said about the muslim architect who would also be satiated with islamic ethics; he would, for example, conceive or build balconies of houses in the manner that enables a muslim woman to do her ablutions without being seen by others, or passers by. The second element is to provide the muslim physician and architect with the role islamic civilization played in the domains of their specialisms by creating a chair of islamic civilization in each faculty. The muslim architect would know that there existed muslim architects before

1- It will be the first university that uses Arabic as the language of study, and will serve as a model to other universities.

2- It will form students from secondary schools to obtain B.A and doctorate degrees so that to become excellent "imams" in different mosques throughout the country.

3- Thanks to its faculties of medicine, agriculture, engineering and electronics spread the country, it will help in the "arabisation" of their universities, as we have mentioned, to provide the disciples of the above cited faculties in addition to their field of specialism with two essential elements. First, to encourage the physician and the engineer to stick to islamic morals so that they do not feel as if they graduated from Moscow(!). Therefore, the physicians will be satiated with the morals of Islam; a muslim in the service of the muslim family in that when he examines a woman he does not let her husband outside, an act which led to moral catastrophes that usually ended in court.

4- It will be the first university that uses Arabic as the language of study, and will serve as a model to other universities.

It will form students from secondary schools to obtain B.A and doctorate degrees so that to become excellent "imams" in different mosques

"Among the believers are men who have been true to their covenant with God. Of them some have completed their vow (to the extreme) and some still wait, but they have never changed (their determination) in the least." [1]

Mouloud Kacem Nait Belkacem was born on January 6th, 1972 at Belian in the wilaya of Béjaia. He devoted his youth to the study of Islam and literature " He spoke more then five languages[2]. He was, as the president of the republic Abdelaziz Bouteflika said:" a man of principles and positions"[3] He was the man who could influence us with him thought, his examples and his initiatives. The latter consist in the foundation of what is called today Emir Abdelkader Islamic University.

Si Mouloud, as many of his companions call him, claimed that he was the first parson to suggest the foundation of an islamic university to colonel Abdelghani, the president of the religious committee in the capital of Massinissa, Ahmed Bey and Ibn Badis. He also told Houari Boumediene that we had many mosques and that what we were lacking indeed was an islamic university consisting of different faculties such as Medicine, Engineering, Agriculture etc…

In addition to traditional islamic faculties existing in other islamic countries like the faculties of Jurisprudence, and the principles of islamic law "Chariaa and Usul Uddine" and Arabic language, it will have a triangular role is that:

Mouloud kacem Nait Belkacem and the Idea of Founding the Islamic University in Constantine*

Mr. OUSKOURT Mohammed
Maitre assistant chargé de cours
Department of languages
Ferhat Abbas University

ملخص: يتناول هذا الموضوع فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية التي كان وراءها المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم والبطل الراحل الرئيس هواري بومدين؛ والدور المنوط بها في تكوين الإطارات الجزائرية – لاسيما الأطباء والمهندسين في شتى المجالات – تكوينا ينبثق من تعاليم الدين الإسلامي وكذا الحضارة الإسلامية، وبالتالي ربط هؤلاء بتراثهم العلمي الذي يزخر بعلماء أجلاء أنارو العالم بما نبغوا فيه من علوم، وذلك ما يجعل هذه الجامعة منارة يهتدى بها في العالم الإسلامي .

We must die for men are mortal. However, great men like Mouloud Kacem Nait Belkacem are still alive in the memory of the people who knew him. Even those who did not have the opportunity to know him directly, respect him via his ideas, his thoughts and his projects. They loved him because he believed in his country, his language and his religion. Allah Subhanahu Wa Taala (S.W.T) said:

-* Some of the ideas lying in this article are a translation of part of an interview with Mouloud Kacem Nait Belkacem:

جريدة الشعب في 2 فيفري 1992 تحت عنوان : جامعة الأمير عبد القادر أعلن عنها في 1971 أجرى الحوار سعيد بن زياد

مقتطفات من آثار الأستاذ

مولود قاسم نايت بلقاسم

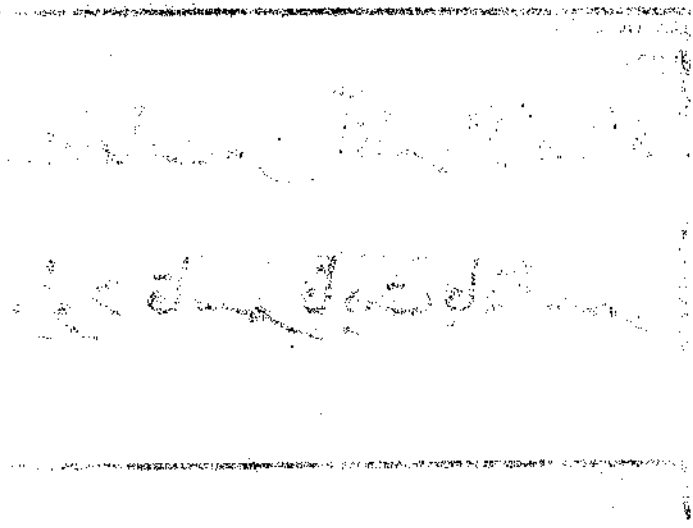

مغزى ملتقيات الفكر الإسلامي

الأصالة هي: أن يكون الإنسان ابن عصره، مع البقاء على أدق مصره، ودون أن يصبح نسخة غيره.

هذا الموضوع في الواقع أشرت إليه منذ الملتقى الرابع الذي انعقد سنة 1390هـ/ 1970م في قسنطينة في كلمة افتتاحية تحت عنوان" الإنية والأصالة ".

وحتى هذه الكلمة : " الإنية "، ليست من إبداعنا، فهي لذلك القطب، ذلك النجم اللامع ليس في تاريخ الإسلام وحده، ولكن في تاريخ الإنسانية، في تاريخ الفكر الإنساني، في تاريخ الحضارة الإنسانية العالمية، وهو أبو علي بن سينا. فابن سينا هو الذي تحت هذه الكلمة، كلمة الإنية. ما معنى الإنية ؟ من " إني"، وهي موجودة، ومفصلة ومشروحة في كتابه المشهور: الإشارات والتنبيهات.

الأصالة مجلة ثقافية شهرية، العدد 45

مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام

إن العدل في الإسلام ليس فقط أساس المجتمع الإسلامي في أصالته وعلى ما ينبغي أن يكون، وليس ركنا من أركان الإسلام متمثلا في الزكاة وما في حكمها فحسب، كما سنرى، وليس فقط صفة من صفات الله في قوله تعالى: ﴿ ... **قائما بالقسط**﴾ ، (سورة آل عمران، من الآية 18) ولا يدخل فقط في مئات الأحكام الإسلامية التي هي من صميم العبادات كشرط في صحتها، بل هو أيضا أساس من أسس العقيدة نفسها، متصل بصميم الإيمان. فلنتأمل قليلا في قوله تعالى: ﴿ **أريت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين** ﴾، (سورة الماعون، الآية 1 – 3) ولننظر إلى حديث رسوله صلى الله عليه وسلم : "**ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعانا وجاره جائع**"، فالعدل هنا، أو التكافل الاجتماعي عموما، مرتبط بالإيمان نفسه، بأصل العقيدة ذاتها .

الأصالة، مجلة ثقافية ، العدد 32

الموسيقى الكاملة

نقدم اليوم للقراء، وخاصة للطلبة، هذا الكتيب عن تعليم المبادئ الأولية للموسيقى الكلاسيكية العالمية للدكتور حكيم بن عطية، مدير المعهد الموسيقي البلدي للعاصمة، بالعربية والفرنسية، وهي أول محاولة في الجزائر فيما نعلم.

وقد حان الوقت لنا أن نعلم هذه الموسيقى لشبابنا في المدارس بلغتهم، وبدأنا فعلا بتدريسها في بعض ثانويات التعليم الأصلي. وتعميمه على جميع المدارس متوقف فقط على وجود الأساتذة بكفاءة وكفاية. ونظن أن هذا الكتيب سيساعد إلى حد كبير على تعميم هذا التعليم و أدائه الدور المنتظر منه في تربية الذوق، وشحذ الحس، بل والخلق أيضا.

وذلك أن هذه الموسيقى، إذ تمتع العقل والروح معا، ترهف الحس، وتربي الذوق، بل وتعالج الجسم أيضا، حيث أصبحت اليوم تستعمل أكثر فأكثر في مستشفيات وعيادات البلدان المتقدمة لا في العلاج النفساني فحسب، بل وفي العلاج الجسماني أيضا، طبقا للنظرية الطبية القائلة بأن كثيرا من الأمراض التي كان يظن حتى الآن [1] إنها جسمانية بحتة هي في الواقع ذات طابع مزدوج، نفساني–جسماني (psychosomatique)، تعالج ككل بهذه الموسيقى في عدة بلدان أوروبية، منها على الخصوص جمهورية ألمانيا الاتحادية، والنمسا، والجمهورية الديمقراطية الألمانية.[2]

ثم إن هذه الموسيقى ليست من ذلك النوع المخدر للأعصاب والنفوس، أو المهيج لها، ولا من ذلك النوع الذي يبعث على الانحلال الخلقي، كتلك الدندنة التي تتغنى بالخمر، والغلمان، وتذهب في غلامياتها إلى وصف "قده" و"خده" و"ثغره"، الخ....الخ... من كلام أقذع من هذا بكثير وأفظع، من تلك السخافات التي عجلت بفقدان الأندلس، وتمييع الأوساط التي تسمى ب "العليا" في نظر بعض السذج والقوم التبع؟

فالموسيقى الكلاسيكية العالمية في أغلبها ولدى أساطينها هي موسيقى تهذيب النفس، والسمو بالروح والعقل، وترسيخ القيم الخلقية العليا على كل من المستويين الفردي والوطني، بل والعالمي.

1- وإن كان ابن سينا والرازي خاصة قد نبها إلى هذه الطبيعة المزدوجة منذ أكثر من ألف سنة.

2- W.j. Revers , G.Harrer, W.C.M. Simon : « Neue Wege der Musiktherapie. Grundzuege einer alten und neuen Heilmethode ».

بعد أربعة عشر قرنا من نزول اقرأ
أمة أمية لا تكتب ولا تحسب

... بل ضرورة استعمال الحساب الفلكي في العبادات وبالتالي اتخاذ تقويم قمري ثابت على الحساب استنادا إلى روح الشريعة الإسلامية ومقاصدها التي تدعو إلى اليقين الذي يفيده العلم بوسائله الحديثة، مما يمكننا من التثبت من إمكانية رؤية الهلال يوم مولده، علميا، سواء رؤي أم لم ير بالعين المجردة حيث أن رؤيته ليست تعبدية وغاية في ذاتها، وإنما هي وسيلة وأداة، فمتى تحققت إمكانية رؤيته ثبتت لنا شرعا وصح العمل بها، بل وجب أي أن الرؤية الحكمية تغني عن الرؤية الفعلية غير المضمونة.

وأضاف رشيد رضا بأننا نعمل به في الصيام، وذلك أننا نعلم جميعا أن مؤذنينا وأئمتنا – سامحهم الله – يؤذنون ويصلون بالاستناد إلى ساعات صنعها، نصارى ويهود ! ومجوس هنا وهناك، ولا يتحققون إطلاقا أو غالبا من غروب الشمس ومن الغسق ولا من تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود !

وذكرناهم أيضا بفتوى أصدرها الأستاذ علال الفاسي وهو من علماء القرويين ومجتهدي هذا العصر إذ قال إن ذلك الحديث " صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته " إنا أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب، الشهر هكذا الخ، قد خرج تخريج الكلام المعلل، وهو جهل العرب إذ ذاك، أما وقد زال ذلك الجهل فتنطبق عليه القاعدة الأصولية المعروفة القائلة بأن المعلول يدور مع العلة وجودا وعدما "، أي إنه ما دامت الأمية قد زالت أي أصبحنا نقرأ ونحسب، سقط علينا الإلزام بالعمل بالرؤية بالعين المجردة، بل وجب علينا العمل بالوسائل التي تفيد القطع وهي الوسائل العلمية.

مجلة الأصالة، العدد 21

الجزائر وابن خلدون :

تأثيرها في حياته ومقدمته[1]

- ضرورة إعادة قراءة ابن خلدون بمنظار جديد، وروح جديدة، ومنهجية علمية جديدة، لكن في الوقت نفسه أقرب إلى عصره.

وإن الجزائر التي درجت منذ استعادة استقلالها وسيادتها على الاحتفال بالرجال وآثارهم، من جزائريين، ومسلمين عامة، وغيرهم، من مختلف القارات، لجدير بها أن تتولى كبر[2] الدعوة إلى الاحتفال بهذه المقدمة التي جمع كثير من عناصرها على أديمها، وألفت في أرضها، وكان لها مع مؤلفها ذلك الارتباط الوثيق والصلة الوشيجة.

وتلخيصا لما قد يكون لا شك قيل هنا -ونحن في آخر الملتقى- عن هذه العلاقة الحميمة بين الجزائر وابن خلدون، نذكر فقط بأنه هو نفسه قد أشاد مرارا، في تعريفه بنفسه، بأساتذته الجزائريين الذين لقيهم وأخذ عنهم سواء بتونس، أو في فاس، أو في تلمسان، أو ببجاية، مثل ابني الإمام، أبي زيد عبد الرحمان وأبي موسى عيسى، من برشك[3]، قرب تنس، وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي،"شيخ العلوم العقلية بالغرب،

---

1 - كلمة اختتام الملتقى الدولي حول ابن خلدون والذكرى المائوية السادسة لمقدمته الذي عقد في الجزائر العاصمة بتاريخ 20 رجب 1398هـ/26 يونيو 1978م.

2 - كبر (بالكسر ثم السكون): مبادرة ومسؤولية في لغة ابن خلدون.

3 - برشك بلدة صغيرة أسسها الاندلسيون، وخربها سنة 1608 سيمون دانسر Simon Danser، الذي جاء من بلجيكا، واعتنق الإسلام وكان "رئيسا" بحريا، وأخذ اسم مراد رئيس، ثم فر "بمدفعين برونزيين ممتازين"، إلى فرنسا وسلمهما للدوق دوغيز Duc de Guise في عهد حسين باشا في الجزائر ولويس 13 في فرنسا، ونسيب في حرب بين فرنسا والجزائر، ولم يرجع المدفعان إلى الجزائر إلا سنة 1628 وقد ترك لنا اسمه محرفا على المخي المسمى بئر مندراييس،أنظر: Garrot : Histoire générale de l'Algerie وإنسية وأصالة لصاحب هذه الكلمة.وقد انتهى المشكل بين البلدين بعد مدة من عقد معاهدة تور Le Traité de Tours بين سنان آغا، مندوب حسين باشا، ولويس الثالث عشر، ملك فرنسا، سنة 1618، برجوع المدفعين، كما ذكرنا، سنة 1628.

هذا وقد بنى الفرنسيون في العهد الاستعماري بلدة على موقع برشك وسموها: Francis Garnier، وتسمى الآن حي حواء في نواحي تنس.

الذي شهد لي بالتبريز فيها "، كما يقول ابن خلدون-، وهو من تلمسان مولدا ومنشأ، وأبي عبد الله المقري صاحب النفح، وأبي علي ابن باديس القسنطيني، وغيرهم.

وكما درس على جزائريين، فقد درس لهم أيضا في جامع القصبة في بجاية، ومدرسة العباد في تلمسان.

وفي ميدان التجربة العلمية في الجزائر، فقد شارك عبقرينا في كثير من الحوادث، والتقلبات، والانقلابات[1] وكان وزير مالية في بجاية، حيث تعرف على وديانها وجبالها، "يجمع المغارم، ويستوفي الجباية، ويستخلص الأموال". وكان فيها حاجبا، أي رئيس وزراء، "خلص له فيها الاستبداد"، أي الحكم المطلق و" التصرف المنفرد في الأمور".

وأخيرا، وليس آخرا، عندما مل وكل من كل بيعة وهيعة، وجد في الجزائر السكن[2] والسكينة، إذ تزوج من قسنطينة زوجته الوحيدة، حتى مات، وأم أولاده، وخلا لنفسه للتفكير والروية في بسكرة، وتفرغ للدرس والعلم، وعكف على إجراء القلم في قلعة بني سلامة قرب تيهرت (تيارت) مع أسرته، "متفرغا عن الشواغل كلها". عاكفا على تدريس علم، أو قراءة كتاب، أو إعمال قلم في تدوين أو تأليف" مدة "أربعة أعوام"، وشرع في التأليف حتى أخرج لنا هذه" المقدمة على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة".

مجلة الأصالة العدد 59/58

جمعة .. أو أحد..

من المعلوم أن هناك سورة في القرآن، سميت الجمعة، وفيها وردت آيتان بخصوص هذا اليوم المبارك :

1. ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم جمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع** ﴾، (سورة الجمعة ، الآية 9)
2. ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله** ﴾ (سورة الجمعة ، الآية 10) صدق الله العظيم. ومن هنا يتضح أمران:

1- أو "التعريجات" كما يقول هو

2 - بمعنى الزوجة والمعنى العام

أ- إن وقت صلاة الجمعة لابد فيه من التوقف عن العمل لأدائها

ب-إن الإســـلام لا يطالبنا بيوم كامل كعطلة أسبوعية. ولكنه إذا كان لابد من مـــراعاة يـــوم كامل، فالمنطق، والذوق السليم، والحشمة، والاحترام لأنفسنا، كل ذلك يفرض علينا أن يكون يوم العطلة -إذا كان لابد من عطلة يوم كامل- بيوم الجمعة.

وفي حديـــث للبخاري: ﴿ هدانا الله ليوم الجمعة، والناس لنا تبع: اليهود غدا والنصارى بعد غد ﴾.

آراء ومواقف الفيلسوف عثمان أمين

يقول الشاعر الأندلسي عبد المجيد بن عبدون في رثاء المتوكل بن الأفطس:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور ؟

هكذا الوضع الآن مع الصورة المعلقة أمامكم ووراءنا للمرحوم عثمان أمين، الذي كان كما يعرفه الكثير منكم ممن درس عليه، أو ممن عرفه في ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر، هكذا كان حيا، يتدفق حيوية في فكره، وفي مشيته، وفي كلامه، ولم يكن من ذلك النوع السبهلل، كما كان يقول، من النوع الذي أسميه المرتخي الأوصال، المفكك الأجزاء، لا، لم يكن ذلك، بل كان الحيوية بعينها، وكان الحياة مركزة، كان الحياة مجسمة، هكذا كان الدكتور عثمان أمين كما عرفناه من بداية الخمسينات.

نحن إذ نحتفل الليلة بذكراه، بهذه الذكرى بعد مرور ستة أشهر بالضبط على وفاته، فإنما نبقى أوفياء لما أعلنا عنه من بضع وقت من أننا سنحتفل بالمناسبات الوطنية الجزائرية، من شخصيات، وأحداث تاريخية هامة ، ونحتفل بالشخصيات والأحداث الإسلامية، كما هو الحال الآن بالنسبة له، وبالنسبة للصادق بسيس بعد أيام، وبالنسبة لآخرين فيما مضى، كالشيخ أبو زهرة رحمه الله، وعثمان الكعاك رحمه الله، والشاذلي بلقاضي رحمه الله الخ.... ونحتفل أيضا بالشخصيات العالمية بصفة عامة، كما احتفلنا ببيتهوفن مثلا وغيره ممن يمثلون قيما في أعلى مستوى الحضارة الإنسانية، والفكر الإنساني.

الثورة الثقافية هي العمود الثالث لاشتراكيتنا الإسلامية

حضرات السادة:

... إننا إذا أردنا أن نحيي حضارتنا فعلينا أن نحيي تراثنا، وعلينا أن نخصب ذلك التراث بإضافة نتائج جهودنا، لئلا نعيش دائما على حساب الأسلاف، ولنفند رأي الأعداء والأصدقاء المزعومين، ومنهم غوستاف لوبون، الذي كتب أن حضارة العرب مثل حضارة اليونان كانت عظيمة، ولكنها ذهبت ولن تعود ؟

وعلينا بعد ذلك أن نلقح أذهاننا بلغات غيرنا، وإلا نبقى مغلقين على أنفسنا، وأن يكف كثير من شبابنا عن ضياع وقته في أوروبا بدون الاستفادة من إقامته الطويلة فيها، فكثير من شبابنا يقيمون سنوات في بلدان أوروبية ولا يتعلمون حتى لغتها.

وبخصوص الجزائر، فإنها إذ تعمد الآن إلى إصلاح تعليمها، وإعطاء لغتنا وثقافتنا الإسلامية مكانتها، وإلغاء كل قسم فرنسي بمجرد ما يقوم بجنبه قسم باللغة القومية في جميع مستويات ومواد التعليم، فإنها في نفس الوقت قررت تعزيز التعليم الأصلي الذي له الآن معاهد ثانوية في كل ولاية، وفروع إضافية أحيانا في نفس الولاية، وسيتوج هذا التعليم الذي يقوم في مستواه الثانوي على برامج وزارة التعليم الابتدائي والثانوي مع زيادة التركيز على العربية والمواد الإسلامية، بإنشاء ثلاث كليات عليا، للشريعة وأصول الدين ، واللغة العربية في المدن الكبرى الثلاث، قسنطينة والجزائر ووهران، وهذا يدخل في إطار ثورتنا الثقافية التي تكون مع الثورتين الصناعية والزراعية الأعمدة الثلاثة التي يقوم عليها بنياننا الاشتراكي الإسلامي، وذلك اعتقادا منا أن الازدهار الاقتصادي وحده لا يجعل من أية دولة كانت إلا عملاقا برجلين من خزف، وأن بناءنا ينبغي أن يكون متكاملا بالأعمدة الثلاثة المذكورة ليكون صلبا متينا.

لسنا يتامى التاريخ

- **الأمـــة الجزائرية أنشأت وحدتها الحالية قبل قرون من الوحدة الألمانية والفرنسية بالنسبة لبعض مقاطعات هذه الأخيرة.**
- **الألفـــاظ والتســـميات ليست ذات قيمة شكلية فحسب، وإنما تدل على مبادئ، ومفاهيم ووقائع.**

ويجب التأكيد بخصوص الوثائق المكتوبة — وهذا أمر بديهي بالنسبة إلى تاريخ أي بلد من البلدان، وتاريخ بلدنا بوجه خاص — أن أقل قطعة ورق، وأقل قصاصة صحيفة من صحف الماضي، هي تلك الصحف، أو بالأحرى: الصحائف أو الخفائف التي كانت تصدر مثلا في كثير من جهات بلادنا إبان العهد الاستعماري، وأية رسالة عائلية يعثر عليها في سقف أو في كهف ((بلدية ممتزجة)) [i] من ذلك العهد يمكن أن تكون ذات أهمية لا تقدر بثمن بالنسبة إلى مؤرخ اليوم، أو باحث المستقبل. إنها كلها مصادر لاستقاء معلومات عن أحداث وقعت قد لا نجدها لا في كتب التاريخ المقررة ولا حتى في الموسوعات.

وعلى سبيل المثال، الذي ربما كان من قبيل ما يندر به، ولكنه مما يحز في النفوس أيضا، أننا سنحاول عبثا لو بحثنا في كتب التاريخ المقررة أو أي ضرب من ضروب الكتب الأخرى عن القرار السيئ الشنيع الذكر الذي اتخذته ((المجالس العامة الفرنسية)) بالجزائر في الأربعينات بشأن تعليم اللغة العربية، على إثر المشروع الذي لا يقل عنه شناعة مما كان يعرف ((بالقانون الأساسي للجزائر سنة 1947)).

مجلة الأصالة العدد 56 سنة 1978م

المسجد جامع وجامعة

... قلـنا لكم أكثر من مرة إن المسجد كان في الأساس مدرسة، كان معهدا فيه تخرج الصحابة في صدر الإسلام، وفيه تخرج غيرهم في عهود متتالية. وإذا ما نسيتم وجب علينا أن نذكركم بأن الجامع كان جامعة أيضا، وإن أجدادنا كانوا يفضلون صفة المذكر فيقولون الجامع، يعني الجامعة كما يقال اليوم في العصر الحديث، عصر التأنيث.

فقد كان الجامع يقوم بدور الجامعة اليوم، هكذا كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومساجد أخرى كالجامع الأموي بدمشق، والجامع الأعظم ببغداد، وجامع الأزهر بمصر، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب، والجوامع العديدة الكبيرة عندنا في تيهرت، وفي بجاية وتلمسان، وفي بسكرة، وفي طبنة، والعاصمة ومازونة، وقسنطينة، وآخرها الجامع الأخضر مثلا، حيث كان يدرس ابن باديس رحمه الله.

كان المسجد دار علم . هكذا كان جامع قرطبة بالأندلس، كان المسجد جامعا وجامعة، كان جامعا يجمع الأمة لا للصلاة فقط، ولكن للعلوم أيضا.

و لهذا كررنا لكم مرارا، في أكثر من منشور، أن عليكم أن تقوموا أيضا بالتعليم في المساجد. والتعليم يتمثل في ثلاث مراحل : الدروس المسجدية التي أوصلت البعض حتى إلى مستوى الأهلية، بل وحتى إلى مستوى البكالوريا، وتحفيظ القرآن للصغار، ومكافحة الأمية لدى الكبار.

وينبغي أن تكون الدروس المسجدية التقليدية التي تنصب على مختلف المواد حسب مستوى الإمام. وحسب رغبة المصلين المأمومين، كالتفسير، والحديث، والفقه، والتوحيد، الخ. وهناك مكافحة الأمية التي يهملها الكثير منكم، ويحتقروها، ولا يعبأون بها، ويظنون أنها مسألة ثانوية، ومسألة بذخ وترف، كما يقول البعض منكم. لا، أبدا. بل هي في الصميم.

مجلة الأصالة العدد 47/46 سنة 1977م

تعريب الأمخاخ والقلوب

هذه هي المشكلة التي أمامنا حلها قبل كل شيء عند ما نتكلم عن شخصيتنا. فإذا أردنا التعريب فعلينا قبل كل شيء البدء بتطهير الأدمغة وتصفية القلوب لدى هذه الطائفة من مواطنينا، من إخواننا في كل شيء إلا في هذا الإمساخ، فقبل استئصال هذه الزائدة الدودية لدى هذه الطائفة، أي قبل تعريب الأمخاخ والقلوب، لا يمكن لنا النجاح في تعريب الألسنة، وذلك أن كل العراقيل من هذه الطائفة وهي مع الأسف — على الأقل من الآن ولا تزال — الماسكة بالزمام في أغلب دوائرنا الحكومية. هذا الوضع خلقه الاستعمار وأراده عن ترو وقصد وعلينا الآن معالجته معالجة ناجعة، إن لم تكن جذرية فعلى الأقل تدريجية، ولكن لنفهم هذه الطائفة أن عليها الارعواء والتدارك.

مجلة الأصالة العدد 23 / السنة 1975م

قيمة اللغة في نظر بعض الأمم

في مقال سابق ((تعريب الأمخاخ والقلوب)) قلنا إن الاستعمار قد نجح لدينا إلى حد كبير في المجالين العقلي والعاطفي، وإن علينا، قبل تعريب الألسنة، تعريب الأمخاخ والقلوب. فلدينا عناصر لا تكتفي بالحكم على العربية — ومنتهى الحقارة احتقار الإنسان للغته — بل نجدها تتجاوز هذا إلى حد الرغبة في فرض عالمية الفرنسية ورسميتها على بقية أجزاء العالم. فلقد رغب مثلا طلبة جزائريون جاءوا إلى ألمانيا للدراسة في أن يمتحنوا في الأخير — أي بعد سنوات من الدراسة والإقامة هناك — بالفرنسية !... ورفض الألمان ذلك طبعا.

وقد سمعت كثيرا من إخواننا — حتى من بين عناصرنا الوطنية — يستغربون من أن الألمان، أو النمساويين، أو غيرهم من الأوروبيين لا يفهمون الفرنسية، ويقولون عنهم ((ما أجهلهم، كلمتهم بالفرنسية فلم يفهموا. ماذا يفقهون في هذا البلد؟)) هذه العناصر نجدها حتى من بين أولئك الذين أقاموا في هذا البلد أو ذاك سنوات بدون أن يتعلموا لغته . فهم يذكرونني — مع الفارق الكبير- بذلك الإسباني الذي بعـــد أن أقام في كوبنهاغـــن سنين

طوالا و لم يتعلم الدانماركية أجاب بما يأتي عن إسباني آخر سأله عن رأيه في الدانماركيين : ((إنهم يا صاحبي كلهم أحمرة. إني في عاصمتهم منذ عشرين سنة و لم يتعلموا مني التكلم بالإسبانية بعد)).

هذه الطائفة تريد ((جزائر حديثة ... ذات لغة حديثة تلائم العصر))... وبعبارة أخرى يريدون أن يجعلونا على مستوى واحد – في هذه النقطة – مع تلك البلاد التي يسمونها ((أفريقيا المتكلمة بالفرنسية)) مثل ...

فإذا كانت هذه الطائفة ستتغلب فأقول ما أحلى ذلك العهد...[1] إذا كانت مدارس حزب الشعب ومدارس جمعية العلماء منتشرة خلال لقطر كله رغم جميع الصعوبات، وكانت المطالبة باللغة القومية مقرونة بالصراع من أجل مجلس تأسيسي ذي سيادة، من أجل الاستقلال التام بجميع عناصره، وكان هناك إجماع على ذلك.

وقلنا أيضا في المقال السابق إن اللغة ليست إلا الصورة الخارجية للتفكير والإحساس. الواقع أنها أكثر من هذا. فهي تلك الصورة التي تعطي محتواها لونا، وشكلا وقواما. فهي ذلك التيار الذي يبعث الروح في جميع أركان الكيان الوطني، وذلك الاسمنت الذي يضمن وحدة البيان القومي والذي بدون تلاحمه لا يمكن أن يكون أي كيان لأمة من الأمم.

والإسلام نفسه يعترف بهذه القيمة الجوهرية للغة. فلأن العرب كانت أمة تعتز بلغتها وتفتخر بها. أنزل القرآن بصفة إعجازية لهم، وكان إحدى معجزات الإسلام وإحدى أسلحة الرسول في التغلب على عنجهية الجاهلية.

وفي التاريخ الحديث نجد أن اللغة لعبت دورا رئيسيا في تكوين أو انبعاث دول أو دويلات. فمعروف تعصب الفلاميين في بلجيكا للغتهم، وحرصهم على خلق فروق بينها والهولندية الأم وذلك لنسيان عهد الاحتلال. وكلنا نعرف الدور الذي كان للغة في انبعاث الأمة التشيكوسلوفاكية. فقد حاول كل من النمسويين والألمان احتقار التشيكية واعتبارها ((لهجة أفضاض))، وذلك لنفي كل ماض ثقافي قومي عن هذه الأمة، وبالتالي نفي وجودها. ولا يزال النورويجيون حتى اليوم في صراعهم مع آثار الاحتلالين الدانماركي

1 – كما يقول الفرنسيون ((QUE LA République était belle sous l'Empire))

والسويدي في لغتهم. فمع التآخي الكامل في أغلب الميادين مع هذين البلدين، ورغم القرابة الوثيقة في اللغة إلى حد التفاهم بدون دراسة أحد منهم للغة الآخر.

مجلة الأصالة العدد 24 سنة 1975م

أصالية أم انفصالية

تمر أمة الإسلام اليوم بظروف عصبية، إن لم تعالجها بسرعة تصبح مصيبة. ظروف حرجة خانقة، إن تمادت فيها أضحت شانقة . تجربة مرت بأمم مضت، وعرفتها حضارات قضت ! إنها نجمت عن إهمال حقيقة، هي في حسم المصير فاصلة دقيقة، وللقدر المحتوم أخت شقيقة : وهي أن الأمم الحية من جسم وروح، يعتريها موت وجروح، فبإهمال أحدهما تحل قروح، وبتكاملهما أعياد و فروح.

وأمة الإسلام بعد أن أهملت الجسم ثنت بالروح، وهل يحتاج هذا إلى الشروح؟ تعلقت قرونا بالخرافات، أصبحت تكملها الآن بالانحرافات! فبعد أن وقفت من التقدم الحق موقف السلب، انقلبت على القيم بالسب و الثلب! فلا تقدما فعلا حققت، ولا تخلفا حقا سحقت، ولا رواسب عميقة محقت، ولا بالركب السائر لحقت! فخسرت في كلتا الدارين، واحترقت بلفح النارين! فلا هي بقيت الإسلام – العروبة، ولا هي أصبحت أمريكا – أوروبة ! فلا هي أنجزت هدف التنمية، ولا حفظت لشخصيتها عدا التسمية ! فإذا بها في الخسران مثل تركية[1] فقدان ومسخ مثل الحركية[2] فلم ينفعها من إمام منذ الجويني، والأمل اليوم هو الخميني !

---

1 – التي أخذت من الغرب بعض المظاهر الخارجية كالملبس (القبعة) والحروف اللاتينية ؟ ولكنها بقيت بلدا متخلفا ..ففقدت ما لديها، و لم تكتسب ما لدى غيرها من ايجابيات..وحافظت على سلبياتها، وأضافت إليها سلبيات الغرب ..

2 – الحركية بسكون الراء هم الذين انضموا إلى الجيش الفرنسي المعتدي أثناء كفاحنا التحريري، ويوجدون الآن في مشتشات في فرنسا؟ فلا هم بقوا جزائريين، ولا أصبحوا حتى فرنسيين متساوين، ففقدوا أنفسهم، و لم يصبحوا حتى غيرهم؟ فخسروا روحيا، ولا كسبوا حتى ماديا؟

إنها بزائف الرقي هي الحالمة، ولأصالتها هي الثالمة، ولإنيتها هي الكالمة[1]، ولنفسها عين الظالمة، عمدا وكأنها غير العالمة ! فأمست في قبح التقليد غرابا، وياليتها كانت ترابا! وفي البلادة تحكي النعامة، وكل قبيلة في ذاك تنوي الزعامة !

إن أصالة الأمم هي الحصانة، ملتزمة في الأخذ والترك الرصانة. فالتقليد المخرب ليس التقدم، كما أن الجمود عين التردم. فالأصالة هي الماضي والعصرانية، وتلك هي فلسفة العمرانية ! فالأصالة الجمع وهو عين الصواب، وعن تحدي العصر صحيح الجواب.

ومن هنا قلنا أصالة وأصالية، وضد كل فصل وانفصالية.

ملاحظة : من مقدمة الكتاب لمولود قاسم نايت بلقاسم.

منسيين لستم، يابني رستم !

حضرات السادة

أيام أن أفلح أفلح، وكان الإمام إماما !

" مساهمة الرستميين في حضارة الإسلام وفكره"، ونحن في عاصمتهم الثانية ورجلان — سدارتة، التي وصل سلطانها الدنيوي حينا من الدهر إلى ونيبا غربا، وهي المدينة الثانية في غانا، وإلى قرطبة شمالا، وامتد إشعاعها الروحي برهة إلى بحر عمان شرقا، وزنجبار جنوبا، وأعطت للفكر الإسلامي أمثال الورجلاني، بعد أن اضطرت الدولة الرستمية إلى ترك تيهرت[2] حيث كان عبد الرحمن قد نشر الرحمة، وأين أفلح أفلح، وكان الإمام إماما !

لكن للدولة أيام تداولها بينها، ونريد، كعادتنا في كل ملتقياتنا، أن نلقي نظرة على ما لكل منها وما عليها، كيف نشأت وازدهرت، ثم ماتت واندثرت، ولكل شيء إذا ما تم نقصان، وتلك سنة الله فيمن سبق !

---

1 كلم يكلم : يجرح

2 يقال إن معناها بالأمازيغية الرمانية : " التيوة "

شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية
قبل سنة 1830م

كنت نويت أن أعنون مقدمة هذه الدراسة هكذا :

" فصل المقال وحد النضال، فيما بيننا وتاريخنا من الاتصال أو الانفصال "[1].

إن القصد من هذه الدراسة هو إحكام الصلة بين حلقات سلسلة تاريخ أمتنا الجزائرية العريقة، وإبراز ما كان لها من شخصية دولية متميزة، ووجود دولي بارز، وهيبة عالمية أطبقت الآفاق.

وما كنا في حاجة إلى الاستدلال على الشمس في رابعة النهار، لولا محاولات فصم عرى تاريخنا، ولولا اقتطاع فصول رائعة من سيرة أمتنا، ولولا ميل إلى تمزيق صفحات ذهبية من سجل بلادنا، صفحات تشمل قرونا ثلاثة من تاريخنا الطويل، ولولا " أنهم " – أي من تعلمون ! – أنكروا لنا فعلا – بل ولا يزالون ينكرون حتى اليوم !– ذلك الوجود المتميز البارز، بل وحتى مجرد الوجود كأمة بين الأمم، بل وحتى كمجرد شعب بين الشعوب، كما سيجد القارئ لذلك في هذه الدراسة أمثلة، وآخرها في سبتمبر 1982 م، أي بعد احتفالنا بالذكرى العشرين لاستعادة حريتنا، واسترجاع استقلالنا، واسترداد سيادتنا !

تالله إنه لعناد عجيب، لا يعادلهم فيه إلا حيوان غير نجيب !

وقد ذهبوا في إنكارهم هذا في الماضي– غير مترددين أمام تزييف التاريخ– إلى حد الادعاء أن المغرب (الكبير) – ومنه الجزائر، وهي القلب، والمقصود بالذات – لم يستطع تكوين دولة يضمن لها الدوام... فيقول غوتيي مثلا :

((فمن المؤكد أن مثل هذا الهيكل الجغرافي يتحكم في التاريخ. فإليه (– الهيكل الجغرافي أو التضاريس !–) ينسب دوما هذا العجز لدى المغرب عن تكوين دولة دائمة))[2] .

---

1 - استيحاء من عنوان لكتاب معروف للفيلسوف الطبيب ابن رشد : " فصل المقال، فيما بين الفلسفة والشريعة من الاتصال ".

2 - E-F. Gautier : Le passé de l'Afrique du Nord (Les siècles obscurs) : Il est certain qu'une pareille structure géographique ne peut pas manquer d'avoir commandé l'histoire . On lui a souvent attribué cette incapacité du Maghreb à se constituer en Etat durable)) p 9-10.

ثم يضيف مباشرة :

((من الصحيح أن المغرب (الكبير) لم يتوصل أبدا إلى تحقيق وحدة سياسية))[1]

كما لو كانت التضاريس عائقا أمام بلد ما في الأرض عن تكوين دولة ! وهذا العجز المزعوم، بسبب الهيكل أو الشكل الجغرافي، التضاريس، مما تفرضه الجغرافيا، وتجعله محتوما – وهي التي لا تتغير – أقرب إلى أن يسمى بـ ((العجز الفطري))، inaptitude congénitale ، وهو ما لم يتردد بعضهم في تسميته، فعلا، بهذا الاسم، ووصفه بذلك الوصف !

وقد ساير جوليان مواطنه – وقرينه في هذه الرؤية – غوتيي، في هذا التحليل، ((فوضحه)) أكثر ، بالإشارة إلى ما ((للتبعية الاقتصادية)) - بسب هذه ((الحتمية الجغرافية)) – حسب غوتيي- أو ((الاقتصادية)) – حسب جوليان – ((من دخل في هذا العجز عن تحقيق وحدته بوسائله الخاصة)) ويؤكد، في نفس السياق، أن أية دولة مغربية غير قابلة للحياة [2] .

ونعود إلى غوتيي الذي يردف، في نفس الفقرة، فيحكم، بكل جزم وحزم، وبدون أي تردد، ولا رجعة، ولا احتمال للتعديل، فيقول :

((إن الدولة المغربية (لبلدان المغرب) هي مثل الفقاع ينبت في ليلة، ويتعفن في صبيحة)) [3] .

بل وأكثر من هذا وأفظع : فنجد العم جوليان... نبي التاريخ، أو إمام المؤرخين، في نظر كثير منا في هذا المغرب ... [4] يذهب إلى أبعد من هذا ... ويكاد يصف سكان هذا المغرب بأنهم ((لقطاء)) فيقول في الفقرة الأولى، من الصفحة الأولى، من الفصل الأول،

---

1 - Idem : ibid p 10: ((Il est vrai que le Maghreb n'est jamais arrivé à l'unité politique)).

2 - Ch.A julien : Histoire de L'afrique du Nord p .14

3 - Idem : ibid: ((L'Etat maghrébin est un Etat champignon qui pousse en une nuit et moisit en une matinée))p10

4 - انظر دراستنا : ((بعض مآثر أول نوفمبر)) مطبعة البعث ...قرنار

من ((الكتاب)) في التاريخ، في نظر من ذكرنا، تحت عنوان : ((الحالة المدنية للبلاد وسكانها))، عن نشأة بلدان المغرب، ودوله، ومجتمعاته، ما يلي :

((إن إفريقيا الشمالية الفرنسية، التي تشمل المغرب، والجزائر، وتونس، ليست لها حالة مدنية دقيقة)) [1].

هذا فيما يخص المغرب عموما. أما فيما يعني الجزائر بالذات، فنجد أغلب مؤرخيهم، وسائر رجال دولتهم — بالنسبة لهؤلاء الأخيرين حتى ما قبل تصريح الرئيس ميتران في مطار الجزائر العاصمة بمناسبة زيارته الرسمية — وكثيرا من صحافييهم حتى اليوم، ينكرون علينا الوجود كأمة، والماضي كدولة، بل وحتى كشعب، حتى كمجرد شعب، على مر التاريخ!

ويركزون خاصة، بل وبصفة أخص، على عهد من أزهر عهودنا، وأمجد عصورنا، ألا وهو عهد الدايات، أو العهد العثماني، الذي يشوهونه، ويصفونه بأنه عهد ((سيطرة تركية))، و ((حكم أجنبي))، جاءوا، هم، متفضلين علينا، غير مدعوين ولا مشكورين، لتحريرنا منه، ووجدوا - مع الأسف اللاذع، الذي يجرح في الصميم ! - في المشرق العربي، ولكن حتى لدينا أيضا، في الجزائر، من القوم التبع من يثرثر بذلك، ويخربشه، حتى اليوم !

ورفعا للبس عن عهد — قلنا عنه، ونكرر، ونعيد، إنه — من أزهر وأزهى عصورنا، ومن أمجد فترات تاريخنا العريق، وإزالة للغشاوة عن أذهان وعيون النشء الطالع والأجيال، قمنا بهذه المحاولة، وشملنا بها، في استعراض خاطف — ولو بمجرد الذكر - العهود السابقة من تاريخ أمتنا الأثيلة الأصيلة، ولكن ركزنا، بالدرجة الأولى، على ذلك العهد الذي ركز عليه الاستدمار الفرنسي كل التركيز، ولا يزال الكثير من المخربشين الفرنسيين يركزون عليه، أو على الأقل يشيرون إليه، ولو بمجرد الإشارة، بمناسبة وبدون مناسبة، وأغلب الظن أنهم لن يفتأوا حتى يوم الدين.

ملاحظة : من مقدمة الكتاب مولود قاسم نايت بلقاسم.

---

[1] Ch.A. julien : ibid, chap.1er p.1, 1er paragraphe : ((L'Afrique francaise du Nord, qui comprend le Maroc, L'Algérie et la Tunisie , ne possède pas d'etat civil précis »

عن تاريخ وحضارة عنابة عبد العصور

وقد حاولت أن أذكر بمعالم هذه العدالة الاجتماعية نظرية وتطبيقا، معتمدا في ذلك على آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وعلى أمثلة واقعية من سيرة الرسول ﷺ وبعض الخلفاء الراشدين وعلى فتاوى واجتهادات لبعض كبار علماء الإسلام من حيث أبواب هذه العدالة الاجتماعية، وأركان العدالة الاقتصادية، التي هي شرط تطبيقها، ومقاصد الشريعة من هذه العدالة التي هي مصلحة الأمة بالدرجة الأولى. و هذا المبدأ الأساسي صالح لكل زمان ومكان، الأمر الذي يستبعد عن الإسلام كل ما يلصقه به أتباعه الجهلة وأعداؤه المتجاهلون من تهم الاستغلال والإذلال والطبقيات والدرجات، وغير ذلك من التهم الباطلة التي نسمعها من حين لآخر.

وقلنا : إن الإسلام بالعكس من هذه الادعاءات، هو دين العدالة الاجتماعية الحقة كما طبقها خاصة الرسول ﷺ والعمران (عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز) وكما هي في الشريعة الإسلامية، مقاصد ونظريات، وتطبيقا، في العهود الزاهرة للإسلام، وما تزال صالحة اليوم وغدا مع الاجتهاد ومراعاة الزمان والمكان وأخذ مصلحة الأمة في الدرجة الأولى بالاعتبار، وهو جوهر مقاصد شريعتنا السمحاء، مما لا يستبعد إطلاقا الاستفادة من تجارب الأمم، الناجحة منها والفاشلة، بل الإسلام يحثنا على الاستفادة من تجارب الأمم على أساس جوهرنا مهما كانت ديانة هذه الأمم أو جنسيتها أو مكانها وزمانها.

مجلة الأصالة العدد 35/34، جوان/جويلية 1976م

souffrances, dues celles-là au froid insupportable régnant dans certains pays d'Europe et la malnutrition. Le froid, la vacuité de l'abdomen, la lourdeur du travail auquel ils sont astreins font encourir à ces travailleurs des risques énormes. Malgré cela, la plupart d'entre eux préfèrent supporter cela que de rompre le jeûne et le compenser par la suite. Ils préfèrent, disent-ils, jeûner et avoir la conscience tranquille, la certitude du devoir accompli. D'autres n'ont cessé de nous poser la question à cause des multiples retombées socio– professionnelles du jeûne dans ces pays-là, entre autres, défaillances physiques exposant à des accidents et, bien entendu, du fait souvent de cette faiblesse, des insuffisances au plan du rendement qui entraînent le licenciement.

A ces multiples sollicitations, je dois dire que nos ulémas n'ont jamais apporté de réponse autre que celle qui renvoie purement et simplement au principe intangible proclamé depuis 14 siècles, détaillé dans les divers rites, principe selon lequel il n'est pas seulement licite de boire ou de manger lorsque la survie est à ce prix, mais encore obligatoire. Il existe du reste d'autres cas, en dehors de la rupture du jeûne. Ainsi, celui-là qui, risquant de mourir de soif, ne trouve en fait de boisson, pour l'étancher, que du vin, est mis dans l'obligation d"en boire, même si par ailleurs, l'absorption de boisson alcoolisée est illicite en Islam. Bien plus, s'il meurt de soif, ayant préféré cela au péché, il est considéré comme suicidaire et par conséquent mécréant. Autre cas, celui de la personne affamée et risquant de tomber gravement malade ou même de mourir de faim. Si la seule possibilité d'assouvir cette faim est de manger du non-égorgé ou encore du porc, eh bien cette personne est dans l'obligation de le faire.

DE PLAIN-PIED DANS L'ERE INDUSTRIELLE[1]

Entretien avec Monsieur Mouloud Kassim NAIT-BELKACEM ministre de L'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses

Monsieur le Ministre, l'un des résultats les plus commentés du dernier séminaire sur la pensée islamique est certainement la fetwa prise en faveur des travailleurs du complexe sidérurgique d'EL-Hadjar. Diversement commentée d'ailleurs, car, tandis que certains y voient la preuve d'une grande tolérance en vigueur dans la religion islamique, tandis qu'à l'inverse d'autres se plaisent à y voir une brèche ouverte dans cette même religion et portant l'espoir d'en voir un assouplissement progressif qui aboutirait à terme à l'atténuation de la rigueur culturelle, il en est qui , tout simplement, n'ont pas pleinement compris le sens et la portée d'une telle dérogation et craignent qu'elle ne mène à ce qu'ils appellent ((la liquidation de la religion)), alors que d'autres,comme tel grand journal japonais, l'ont carrément taxée de ((plus dure que l'acier de Annaba)).

Pour les uns comme pour les autres, nous aimerions, Monsieur le Ministre, que vous fournissiez quelques précisions sur le contenu de cette fatwa et sur les raisons qui en ont déterminé l'élaboration.

Je tiens à dire tout d'abord que le problème nous a été posé à plusieurs reprises, à titre individuel, par certains de nos citoyens se trouvant en Europe qui travaillent dans les fonderies et autres usines et sont exposés au feu, à la poussière…En plus de cette puissance du feu à laquelle ils sont soumis continuellement, il y a également d'autres

1 - propos recueillis par M.Mouloud Achour et publiés par El –Moudjahid culturel dans sa livraison du 08 septembre 1976.

وحدة وحصانة

لقد نشرت أخيرا جدا مجلة " در شبيغل" الألمانية مقالا عن الإسلام جاء فيه أن "خلافة جديدة توحد المسلمين من المغرب إلى أندونيسيا ستبقى حلما من أحلام المثاليين، وأمنية من أماني الطوباويين".

هل يبقى الأمر في عصر التجمعات الكبرى، عبر الأجناس والقارات، والأديان واللغات، على ما هو عليه لأمة الإسلام من التشتت والتفرق، والتنازع والتمزق، وهي التي ينبغي أن يجمعها كل شيء وألا يفرق بينها أي شيء ؟

هل من جواب على التحدي ؟ هل سيبقى العقد هكذا منثرا، والمجد إلى الأبد مندثرا ؟ وسلامة عقيدتها وصحة إيمانها ؟ ألم يعبث العابثون بعقول الكثير من أبنائها وبناتها، بعد أن ظننا أنها- أي هذه الأمة - باستعادة الاستقلال، الذي كان تآمر عليه المبشرون مع الجنرالات بالتمهيد للاحتلال، ستضع عندها حدا لعبث التبشير، فتستأصل جذوره، وتجتث أصوله وبذوره ؟

هل ننسى في الجزائر مثلا ما قام به دوفوكو من دور في هذا المجال، الذي أدى به إلى ما نعرفه من مآل ؟ ولا فيجري بعده، ألم يجهد نفسه في تنصير اليتامى في 1866 إثر المجاعة، وإن لم تكن لمساعيه كل النجاعة ؟

كثير من السذج لدينا يستخفون بمحاولات الذين هم بالضلال والردة مبشرون، ويقولون خطأ عنهم إنما هم لجهودهم مبذرون.

ولكنهم ينسون أن أحد أساطين التبشير وهو زويمر، هو الذي قال: إن الغاية من التبشير ليس التمسيح بالضرورة، ولكن يكفينا أن نذبذب المسلمين، ونشككهم في عقيدتهم، ونزعزع ثقتهم بأنفسهم وأصالتهم.

مجلة الأصالة العدد 11– الصادرة في /جانفي، فيفري 1972–

الإنية والأصالة

... ولكن يجب علينا اليوم أن نعترف أنه، بعد زوال الخصم واختفائه من سطح أرضنا، قد بدأت تلك الحصانة تضعف، وأخذ ذلك الشعور بالإنية والأصالة يتضاءل، وأصبح الكثير يتساهل فيما لا ينبغي أن يتساهل فيه إطلاقا وبأية صورة من الصور، إذا لم نرد الإمحاء والذوبان.

ولقد نجح أعداؤنا عندما عقدوا بعض قادة العالم الثالث، وكونوا لديهم ازدواجا في الشخصية، انجر عنه ازدواج النقائص والسلبيات، وانعدام كلي للمزايا والفضائل، إذ تجردوا من مزاياهم ولم يكتسبوا مزايا أسيادهم، بدون أن يتخلصوا من عيوبهم التي ضموا إليها عيوب المجتمعات الغربية عنهم، والتي حاولوا أن يتقمصوا شخصيتها عبثا وسدى، وبقوا في تخلفهم يعمهون.

مجلة الأصالة — العدد الأول الصادر في محرم 1391 هـ الموافق لـ مارس 1971م

الأساتذة الأجانب وكتابة تاريخنا

... أما في مبدأ دعوة الأساتذة الأوروبيين، فيكفي أننا أدرجنا في جدول أعمالنا النقطة الثالثة، الخاصة بدورهم في الماضي في كتابة تاريخنا، وأضفنا إلى ذلك ضرورة كتابة تاريخنا بأنفسنا ابتداء من الآن، ولهذا كان حضورهم واجبا، وإلا تكلمنا عنهم ونقدناهم في غيبتهم، ولم نعطهم فرصة الرد والتصحيح، والحق يقال، إن من بينهم من أنصفوا، وإن كانوا قلة، والآخرون يحتاجون إلى أن يسمعونا ونسمعهم في ملتقى كهذا، ولا نحكم عليهم في الغياب، والنتيجة كانت إيجابية في الغالب، بل في الأغلب، بما سمعناه منهم وسمعوه منا، وكانت الفائدة متبادلة، وسوف ندعو منهم عددا كلما دعا جدول أعمالنا إلى ذلك.

مجلة الأصالة الصادرة من 24 يوليو إلى 30 أغسطس 1972

لقاء مع مولود قاسم

عبد العالي الحمامصي

هذا الرجل .. مولود قاسم وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر واحد من أنشط العناصر الجزائرية المثقفة .. والتي تقع على عاتقها مهمة تأكيد الانتماء الجزائري للعروبة والإسلام .. وهو يقوم بدور بالغ الأهمية في إعادة اللسان الجزائري لأصوله العربية. وهو يجمع في ثقافته بين أصالة التراث وعظمته، وبين معطيات العصر وحداثته، ومن أجل هذا ووفقا لهذا انطلقت دعوته: " لنكن أبناء عصرنا مع المحافظة على أدمة مصرنا" تعبيرا عن الأصالة والمعاصرة طريقا لبناء الوطن الجزائري الجديد. وخلال انعقاد المؤتمر الحادي عشر للفكر الإسلامي بورجلان التقيت بمولود قاسم لأطرح عليه بعض التساؤلات التي قدم هنا إجابته عليها ..

مجلة الأصالة، السنة الخامسة جمادى الأولى 1395 هـ الموافق لـ ماي 1975م

اللغة والشخصية في حياة الأمم

... فليتجند لهذا الهدف الوطني كل من في إمكانه القيام بشيء للإسهام في تحقيقه، بالبدء بنفسه وعائلته وأصدقائه، وبالإقناع، والتوعية، والتنبيه، والقدوة الحسنة، أو العدوى الإيجابية، ليعمل كل منا في مجاله ودائرة نشاطه، وبجهوده الخاصة، وليضرب المثل العملي الحي في هذا الاتجاه كما لو كان تحقيق هذا الهدف الوطني العظيم مهمة ملقاة على عاتقه وحده، وكمبشر، وعليها وحدها كمبشرة، متوقفا عليه وحده، وعليها وحدها، وإذ ذاك فقط تكون لمساعي المسؤولين في هذا المجال فعالية وقوة، وإذا ذاك فقط يوجد جو حماسي عام يكتنف جهود المسؤولين ويشجعهم على المضي بسرعة وتجاوز المراحل عوض الاكتفاء باجتيازها، وبأقصى سرعة ممكنة !

وبذلك فقط نكون قد دخلنا في المرحلة الفاصلة الحاسمة لتحقيق هدفنا هذا لاسترداد هذا العنصر الأساسي من شخصيتنا، كما كان يقول فيخته، هذه الأصالة

القومية، هذه الرابطة الوطنية المعززة والضامنة لوحدة الأمة، ألا وهي لغتنا التي تساهم في إطارها في الجهد الحضاري الإنساني المشترك، والتي هي رمز شخصيتنا، وعنوان حياتنا، ولساننا الذي نفصح به عن وجودنا بين الأمم.

من كتابه: " ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر داخلا وخارجا "

طبعة الجزائر، دار البعث، ص 58 - 61

صناعة ومناعة !

... " ضرورة التصنيع في العالم الإسلامي ووجوب اختيار أحسن الطرق لتجنب أمراض المجتمعات الصناعية " وتبحث عن كيفية الخروج من مأزق وجدت فيه الإنسانية نفسها على مر العصور والحضارات، ولكنه ازداد اليوم حدة أكثر من أي وقت مضى خلال التاريخ، ولم يسبق أن مرت به على هذه الشدة تجارب الأمم، وهو حتمية التصنيع، بل الإسراع في هذا التصنيع من جهة، حتى لا يبقى عالمنا الإسلامي يقدم طاقاته البشرية والمادية مواد أولية وتبقى لشعوبه في سلم التصنيف العالمي قيمة ثانوية، ومن جهة أخرى ضرورة تحاشي الانعكاسات السلبية لما يخلقه الازدهار المادي البحت من فراغ في النفوس وضحالة في العقول، وضعف في القيم التي تجعل من الإنسان إنسانا، وذلك أنه ما من مجتمع اقتصر في حضارته على الجانب المادي المجرد، وأهمل البعدين الروحي والأخلاقي، إلا وانحل واختل، وأي نظام مهما كان قويا إذا كان متهالكا على الاستهلاك انتهى إلى الهلاك.

ولقد أكد على هذه البديهيات المستخلصة من تجارب الشعوب وتاريخ الحضارات علماء ومفكرون خاصة في أوروبا اليوم، ونكتفي هنا بذكر معاصرين اثنين، أحدهما هو أرنولد طوينبي، من أقدم دولة صناعية في أوروبا، وثانيهما من أحدثها في عصرنا هو خوسي أورتيغا إي فاسيط .

وإن ما يشاهده أو يسمع عنه الملاحظ اليوم في أوروبا الغرب والشرق من مظاهر ما يسمى حقا بأزمة حضارة لأكبر منذر لكل ذي عقل تتجاوز اهتماماته نحو أمته يومها إلى غدها، ويروم لها الخلود ما خلد الإنسان.

مجلة الأصالة السنة الخامسة شعبان –رمضان 1396هـ الموافق لـ أوت -سبتمبر 1976م

بيتهوفن الفنان العبقري والثوري والأخلاقي

... إننا نقيم الليلة ذكرى وفاة رجل من أعظم الرجال في تاريخ البشرية، وممن قدموا لها أجل الخدمات، لا فقط بتلك الروائع الفنية الخالدة التي تروح عن النفس، وتسمو بالروح إلى المدارج العليا من الروحانية والمتعة الفكرية، ولكن أيضا بما عبرت من قيم إنسانية عليا هي الفيصل بين الحيوان العاقل وغير العاقل، وإن كانت تجارب علمية حديثة أثبتت أن كثيرا من ذوات الأربع، بل والحشرات، بل والنباتات، تتذوق الموسيقى العليا وتنتعش بها أكثر من عديد من بني آدم وحواء، أو ذلك الحيوان المسمى بالعاقل، تمييزا له عن بني جنسه في كل شيء آخر غير العقل، على فرض صحة المفروض!

مجلة الأصالة السنة السادسة ربيع الثاني 1397 هـ الموافق لـ أفريل 1977م

ردود الفعل الأولى على فاتح نوفمبر

و الآن: كيف كانت ردود الفعل على أول نوفمبر ؟

1- **لدى الجزائريين أولا:** جماهيرا، وأحزابا، ومنظمات، وهيئات، وصحافة ؟

2- **ولدى الإستدمار الفرنسي في الجزائر:** إدارة، ومدمرين، ومنظمات، وكنيسة، وصحافة، وشخصيات ؟

3- **وفي فرنسا:** حكومة، ومؤسسات، وصحافة، وكتابا، وشخصيات ؟

4 - **وفي العالم العربي والإسلامي:**

5- **وفي باقي الدنيا ؟**

1- لدى الجزائريين :

كان رد الفعل عند جماهير الشعب مزيجا من الفرح والتساؤل:

هل يصدقون بما يسمعون ويقرأون ؟

لقد كان التشاؤم مخيما، وكانت الروح المعنوية في الحضيض، وكان التخوف من المستقبل غالبا، بل وكان اليأس يدب إلى نفوس الكثيرين، كما سبق أن ذكرنا عند عرض الوضع السياسي في الجزائر سنة 1954 قبل فاتح نوفمبر. كما كان الجهل بالإعداد والاستعداد مطبقا، طبعا، ولم يعد الناس، حتى أكثرهم وعيا، ينتظرون شيئا، وما كانوا يتوقعون !

أما عند الأحزاب والهيئات، (الجزائرية دائما) فكان الأمر يختلف قليلا: فالعنصر الأول من هذا المزيج، وهو الفرح، لا نجد له صدى، أي أنه لم يكن هناك فرح لديها، ولا حتى بين السطور ! اللهم إلا فرحة التشفي !

وفعلا فتكفي نظرة خاطفة، بدون تحليل معمق، على البيانات التي أصدرتها الأحزاب والهيئات، والمقالات التي نشرتها في صحافتها، لأخذ صور تقريبية، إن لم تكن واضحة دقيقة كل الوضوح والدقة، عن مدى الشعور بالدهشة، وأثر المفاجأة ، ولكن أيضا بنوع من الاستنكاف والتخوف من العواقب، وخاصة من الفشل، مع إلقاء التبعة على الاستدمار مقدما، ولم تكن حوادث 8 ماي 1945 ببعيدة عن الأذهان!

وقد يكون هناك أيضا من طرف هذه الأحزاب والهيئات نوع من التهرب والتملص، والتنصل من المشاركة في المسؤولية والتخلص، لأن بعضها كانت مبدئيا ضد تلك الأعمال، والأخرى لأنها كانت ترى أن لم يحن وقتها بعد، أو لأنها وقعت بغير علمها حتى لو كانت تعرف شيئا ما عنها، أو لأنها ليست صاحبة البادرة فيها، فلا تريد أن تشارك، بتأييدها، في مسؤوليتها بعد وقوعها.

على أن لسان الحال عند سائر هذه الأحزاب والهيئات، زيادة على إلقاء التبعة على الاستدمار فيما وقع، بل ولسان المقال أيضا بصراحة، عند الجميع، كان يقول للإدارة الفرنسية الاستدمارية، بكثير من النكاية والتشفي:

" ألم نقل لك؟ "، " ألم يسبق أن أنذرناك ؟" فذوقي الآن ثمرة تعنتك، وتصلبك، وغطرستك، وتصاممك، وعنادك ! و كم كنا نود أن نصل إلى النتيجة بدون كل هذا ! ".

وذلك أنه، باستثناء البعض القليل، لم يكن يشك أحد بالأمس، ولا يشك أحد اليوم، في أن جميع هذه الأحزاب والهيئات، بمختلف نوعياتها، باستثناء الأوروبيين في هيئة معينة أو حزب معين من هذه الأحزاب والهيئات، والجزائريين المنخرطين في أحزاب فرنسية بحتة، والخونة المنغمسين في الإدارة الاستدمارية والمرتبطة مصالحهم بها، نقول إن

جميع تلك الأحزاب والهيئات كانت تريد الاستقلال طبعا . ولكن كيف ومتى ؟ وهذا كله هو ما يفسر لنا مقدما ردود الفعل عندها غداة فاتح نوفمبر، بالرجوع دوما إلى منطلقاتها وخلفياتها.

2- أما عند الأوروبيين، من إدارة، وهيئات، وصحافة، وشخصيات، وسكان:

في الجزائر وفي فرنسا، فكانت الصدمة العظمى، وكان الاهتزاز، وكان الفزع، وكان الهلع، وكان الخوف من النهاية، واقتراب الساعة، وانشقاق القمر!

والآن فإلى شيء من التفصيل، ولنبدأ بالبداية : **في الجزائر !**

في الجزائر :

أ – لدى فدائي أول نوفمبر: أحسن دليل على التزامهم، وانضباطهم، وحماسهم، وروح التضحية لديهم، لإيمانهم بما هم مقدمون عليه، هو ذلك التنسيق المحكم للأعمال، والتنفيذ الصارم في الجملة لما تقرر، والدقة في مراعاة التوقيت الملتزم به، من أريس وإشمول شرقا إلى سيدي علي وترقة غربا، في الساعة الواحدة والدقيقة الواحدة، من الليلة الواحدة، مما كان أكثر إثارة للدهشة، والاستغراب والفزع عند الاستدمار، كما سنرى في ردود فعل الصحافة الفرنسية في الجزائر وفرنسا، التي سمت ما حدث ليلة فاتح نوفمبر **بالزلزال!**

ب – أما عند الأحزاب والهيئات عندنا، فأول البلاغات communiqués الصادرة كان للبيانيين (الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري)، والشيوعيين (الحزب الشيوعي الجزائري)، بتاريخ 02 نوفمبر، ونشرا في " الجزائر الجمهورية " الشيوعية (39) يوم الثالث منه، ثم نشر بلاغ البيانيين، مرة أخرى، وحده في جريدتهم " الجمهورية الجزائرية " (40) في أول عدد منها صدر بعد فاتح نوفمبر.

وفي العدد الصادر بتاريخ 04 نوفمبر من الجزائر الجمهورية (41) نشر تصريحان déclarationsلشقي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (الانتصاريين)، أحدهما للمصاليين، باسم المكتب السياسي للحركة، والثاني للمركزيين ، باسم اللجنة المركزية لنفس الحركة ، ثم نشرا من جديد في جريدة كل منهما بتاريخ 05 نوفمبر في : " الجزائر الحرة " (42) للمصاليين ، وفي "الأمة الجزائرية " (43) للمركزيين، التي نشرت معه بلاغا البيانيين والشيوعيين، و لم تنشر معهما بلاغ المصاليين، الأشقاء الذين أصبحوا أعداء. أمـــا

"الجزائر الحرة" فلم تنشر إلا بيان المصاليين وحده، لا تصريح " الإخوة الأعداء" ولا بلاغي " الأعداء الأعداء ".

أما بالنسبة للهيئات، فقد أصدر الإتحاد العام للنقابات " الجزائرية " (UGSA-CGT) الشيوعية بلاغا يوم 04 نوفمبر، نشرته " الجزائر الجمهورية " (44) في اليوم التالي، لا يختلف في مضمونه عن بلاغ الشيوعيين .

فإذا أردنا أن نحلل هذه البلاغات والتصريحات وجدنا أنها متفقة في الصيغ التالية، مع فروق دقيقة :

1- أنها " حوادث خطيرة " Des événements graves " De graves événements " بالنسبة للبيانيين والمركزيين، و " حوادث مماثلة لحوادث تونس والمغرب" بالنسبة للمصاليين Des événements semblables aux événements de Tunisie et Maroc" " وأنها " حوادث " فقط " Des évenements " بالنسبة للشيوعيين، بدون صفة لها.

2- أما الأعمال التي تمت في هذه الحوادث فهي في التصريحات والبلاغات "اعتداءات" " Attentats "، بالنسبة للمركزيين، وهي " أعمال مسلحة " " Actions armées "، بالنسبة للشيوعيين وهي " أعمال " Actions" فقط، بدون وصف، للنقابة الشيوعية .

3- **والأحزاب والهيئات كلها:** الانتصاريون بشقيهم، والبيانيون، والعلماء، والشيوعيون، والنقابة الشيوعية، متفقون على أن أسباب هذه الحوادث هي القمع، والاضطهاد، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وعلى أن هناك مشكلا سياسيا، وليست المشاكل الاقتصادية والاجتماعية فقط، كما قال المسؤولون الفرنسيون على سائر المستويات، ومتفقون أيضا، على أن .. " الحل الوحيد هو في الاستجابة للمطامح المشروعة للبلاد ".

مجلة الأصالة، عدد خاص (التعريب)، سنة 1973- 1974

ملحق بالصور

مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الموسوعي.

صورة افتتاح جلسة الملتقى الحادي عشر للتعرف على الفكر الإسلامي
يتوسطها الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم.

في زيارة لإحدى المزارع اثناء انعقاد الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي

جانب من الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي.

الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية
يلقي كلمة الافتتاح

من مجلة الأصالة عدد 35/34 السنة الخامسة جمادى الثانية
يونيو – يوليو 1976 م. – رجب 1396 هجرية –

مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم
الأصلي والشؤون الدينية.

الوزير الجزائري مولود نايت بلقاسم مع مندوب **مجلة "الثقافة"**
(مصر).

الرئيس هواري بومدين رئيس مجلس الثورة والحكومة يحضر جلسة الافتتاح مع عدد من أعضاء مجلس الثورة والحكومة ومستشاريه والسلطات المحلية وعلى يمينه الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم.

الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم

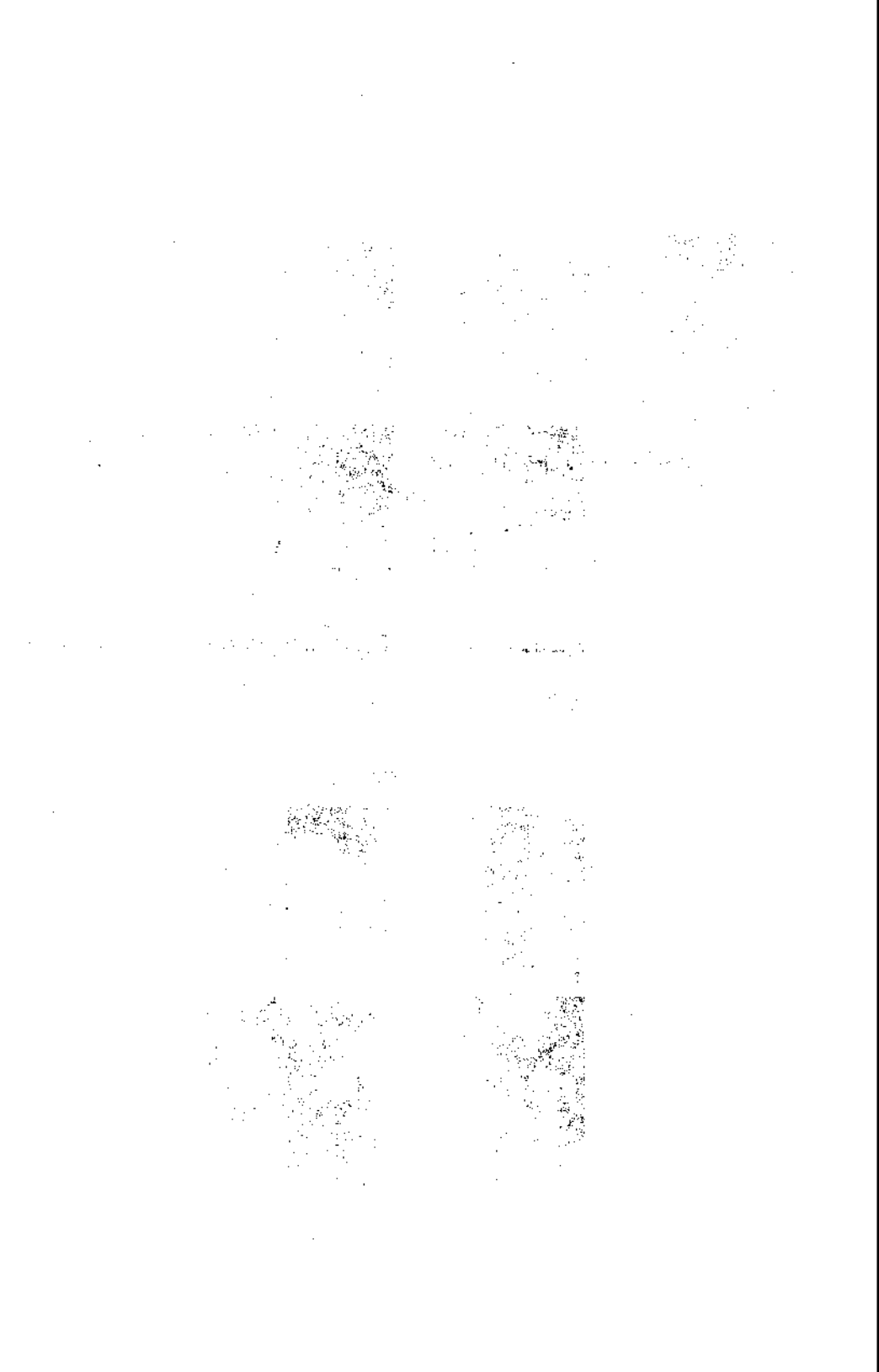

المحتويات

01 – كلمة مدير الجامعة

أ.د. عبد الله بوخلخال 05

02 – تقديم

د. إسماعيل سامعي – نائب مدير الجامعة للتكوين العالي

والتكوين المتواصل والشهادات 09

*** معالم من حياة المفكر الثائر**
مولود قاسم نايت بلقاسم

57-13

03 – كلمة فخامة رئيس الجمهورية

السيد عبد العزيز بوتفليقة 15

04 – وحدة الجزائر في قلب وعقل " مولودها " الثائر

د. أحمد بن نعمان 25

05 – مولود قاسم السمفونية العذبة، العازفة، دوما على النغم الوطني

أ.د/ عبد الرزاق قسوم – جامعة الجزائر – 51

*** جهود الأستاذ مولود نايت بلقاسم**
في مجال التكوين والتعليم الديني

89 - 59

06 – تجديد المؤسسات الدينية وترقيتها (التكوين والتعليم)

أ. محمد الصغير بلعلام – المجلس الإسلامي الأعلى–الجزائر– 61

07 – الأستاذ مولود قاسم وموقفه من المرأة والأسرة

د. بلقاسم شتوان – جامعة الأمير عبد القادر – 77

08 – جهود مولود قاسم نايت بلقاسم في مجال بلورة الفكر الإسلامي

أ. سعاد بيطاط – جامعة الأمير عبد القادر – 85

* الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم والتاريخ الوطني

122 - 91

09 – مولود قاسم فيلسوف رابط في جبهة التاريخ

أ. محمد الهادي الحسني – جامعة الجزائر – 93

10 – مولود قاسم وتاريخ الجزائر من خلال كتابه ((شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830

أ. عايدة حباطي 109

* الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم والفكر الفلسفي

174 - 123

11 – إشكالية الخطاب بين الفيلسوف الألماني فيختيه ومولود قاسم نايت بلقاسم

د. الأخضر شريط – جامعة الجزائر – 125

12– مصطلحات ومفاهيم لها دلالات في قاموس مولود قاسم

أ.بوبكر بعداش – جامعة الأمير عبد القادر – 141

13 – مؤلفات مولود قاسم نايت بلقاسم: محاورها الفكرية وقيمتها العلمية

د. مسعود فلوسي – جامعة الحاج لخضر – باتنة 153

Mouloud Kassem Nait Belkacem and the – 14
Idea of founding the Islamic University in Constantine
أ. محمد أوسكورت – جامعة فرحات عباس، سطيف – 169

* مقتطفات من آثار الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم 203 - 175

* بعض نشاطاته بالصور 205

Mouloud Kassem-Nait [illegible]

[illegible]